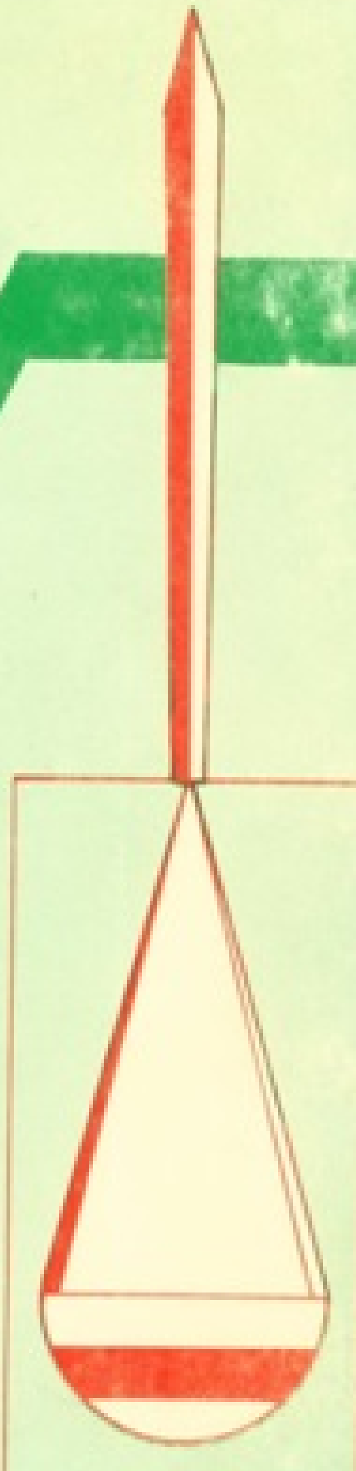
المحامى أحمد حسين يعقوب



النظام السياسى فى الاسلام

راى الشيعة

راى السنة

حكم الشرع



النظام السياسي في الاسلام

رأي السنة رأي الشيعة

حكم الشرع

المحامي

أحمد حسين يعقوب

﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ .

[قرآن كريم]

﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ .

[قرآن كريم]

مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
شارع شهدا - قم - ايران

الكتاب:	النظام السياسي في الاسلام
المؤلف:	المحامي احمد حسين يعقوب
الطبعة:	الثاني - رمضان ١٤١٢
المطبعة:	الصدر ـ قم المقدسة
الكمية:	٣٠٠٠
الناشر:	مؤسسة انصاريان ـ قم المقدسة ـ
	شارع شهداء ص ـ ب ـ ١٨٧ ـ تلفن (٢١٧٤٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله ، والصلاة والسلام على محمد وأهله ، واللعنة الدائمة على مناوئيهم ، ومنكري فضائلهم ، وغاصبي حقوقهم ، وجاحدي فضائلهم . . . إلى يوم الدين . . آمين .

وبعد :

كانت لي رحلة ممتعة عِبر تصفّحي للسفر القيّم للأستاذ المبجّل المحامي أحمد حسين يعقوب في رسالته : «النظام السياسي في الإسلام» بكلّ ما فيه من بُعد تاريخي، وتحليل علمي، وعمق فكري، ومحاولة جادّة على جادّة الحقيقة ، وبعث لأفكارٍ بكرٍ من زوايا الاهمال ، مع تأطيره لكلّ هذا وذاك بروح موضوعية، وإنصاف رائع ، يُعدّ - بحق - مظهراً لنوع من الخلاّقيّة والروح الحرّة الأبيّة من أن يرى الحق يهضم ، أو الباطل يُعلم ، فكان محامياً حقّاً قولاً وفعلاً ، وشهرةً وتنفيذاً ، امتاز به كاتبنا في كتابه هذا ، ونحن اذ نثمّن له هذا العمل الجبّار ، ونبارك له مثل هذا المشروع المضني ، نسأل الله له كل توفيق وتأييد وتسديد . . . ولا يفوتنا - في هذه العجالة - من التنبيه على وجود ملاحظات علمية وتاريخية أو استنتاجات عقائدية فاتت كاتبنا المبجل - وحقّ له أن تفوته ، مع كل ما حمله من أعباء ومسؤولية - فهو في الوقت الذي يصرّح في صفحة ٥

: « *لكن الحقيقة بعده [كذا] موزّعة بنسبة ما ، ما بين الحكم والمعارضة* » .

يقول في صفحة ٢٨٤ : « *وقد تبيّن لنا أنّ الوليّ بعد الرسول هو عليّ بنصّ القرآن الكريم ، وقد تبيّن أيضاً أن الولي بعد الرسول هو علي بنص السُنة المطهرة ، وقد تبين بنصّ السُنة المطهّرة أنّ من أطاع علياً فقد أطاع الله وقد أطاع الرسول ، وبالتالي من أطاع علياً فهو من حزب الله ، ومن عصىٰ علياً فقد عصىٰ الرسول ، ومن يعصي الرسول فهو من حزب الشيطان* . . . » .

ويحقّ لنا أن نتساءل من أستاذنا من هي المعارضة التي تملك بعض الحقيقة ؟! . إن كان علياً عليه السلام وحزبه ـ فهم يملكون كل الحقيقة ، إذ هم مع الحقّ والحقّ معهم . . وهم مع القرآن والقرآن معهم . . وهم الفائزون يوم القيامة . . وهم . . .

وإلاّ لما صحّ أنّ إطاعة عليّ إطاعة الرسول ، واطاعة لله ، وعصيانه عصيان لهما ، ويستحيل علىٰ الله سبحانه ورسوله صلىٰ الله عليه وآله أنّ يجعل من يملك بعض الحقيقة إماماً للناس وسراجاً ووليّاً . . « اذ لا ينال عهدي الظالمين » .وحسبنا آيات التطهير ،والولاية ،والمباهلة،وغيرهامن نصوص غرف منها كاتبنا غُرفة ولا نرىٰ ضرورة في تكرارها .

ثم ها هو ـ دام فضله ـ يتحدث عن لسان المعارضة في صفحة ٦ : « *.. وإمّا أنّ تكون معاداة صارخة للواقع التاريخي بعد وفاة الرسول صلىٰ الله عليه وآله ، والصاق كل نقيصة بهذا الواقع وبمن يؤيده ، دون معرفة علمية برأي الحكم آنذاك وظروفه ، وهذا نهج الكثير من أهل الشيعة* . . » .

إنّ باحثنا الفاضل قد أصاب في هذه الملاحظة ، وهي نهج كل شيعي يعتقد أنّ الانحراف وخروج الحقّ عن أهله بدأ من السقيفة وينتهي إليها ، وإلاّ فهل يعقل أن تكون رسالة أُريد لها الديمومة والبقاء ـ وهي التامّة والخاتمة ـ أن يؤول أمرها إلى ما وصلت إليه من تمزق وانحراف ، وزيغ وضلال . . إلى يومنا هذا ؟! .

وما هو ربط (المعرفة العلمية برأي الحكم آنذاك وظروفه) مع كلّ هذا وذاك ؟!

شهد الله لم أجد ما أُبرر به كلام أُستاذنا ـ مع كل ما أحمل له من تقدير واحترام وحسن ظنّ ـ ، وهل صِرْف وجود مشتركات بين الفريقين من إله واحد ونبي واحـد ودين واحد ، يبرر تصحيح كل ما صدر باسم الإسلام والدين والإله والنبي (ص) . ! وإلاّ فإن بين كل مختلفين مشتركات ، وبين الليل والنهار اشتراك كما أن بين السواد والبياض العارضين مشتركات ، ولا أُحبّ أن أُسهب في الحديث عن المفترقات والخلافات . .

والذي اعتقده شخصياً أنّ أُستاذنا قد رجع عن فكرته هذه بعد أن اتّم كتابه وبدأ يعتقد بما تعتقده المعارضة ـ علىٰ حدّ تعبيره ـ ، كما أنّا نرفض التعبير بالمعارضة ـ إلاّ علىٰ أن يكون مصطلحاً سياسياً ـ وإلاّ فإنّ ما تعتقده الشيعة أنّ النظام بخروجه عن الجادّة ، وتركه ما أختاره الله ورسوله ، وسحقه لبعض القيم والمبادئ لم يُبقِ مجالاً للتصحيح والتبرير ، ولماذا المجاملات ؟ وإلىٰ متىٰ يا ترىٰ ؟ ولِمَ النفاق ؟ وما معنىٰ المعرفة برأي الحكم وظروفه ؟! وهل تبرر ـ مثل هذه المعرفة ـ سحق كل القيم والحقيقة . . ؟! وهل الحقيقة إلاّ شيء واحد فإما هنا أو هناك ؟ وهل تسوّغ لنا الظروف ـ بعد كل الذي حدث وبعد أنْ مُزّق الدين باسم الدين ، ونبذ الكتاب وترك الرسول (ص) مسجّىٰ ، وتداولها القوم تداول الكرة يلعب بها الصبيان و . . . ـ ان نسكت ونتغاضىٰ ، ونحابي ونجامل . . !

ولقد كفتنا الزهراء البتول سلام الله عليها وعلىٰ ابيها وبعلها وبنيها ـ وهي بنت الوحي وأُم أبيها ، رضيعة الرسالة وربّة العصمة وربيبتها وهي تقول في خطبتها في مسجد أبيها ، وعلىٰ مسمع كلّ من حضر ، وقد نقل الخطبة الخاص والعام ، والصديق والعدو . .

أقول كفتنا سلام الله عليها كلّ قيل وقال وتشريق وتغريب إذ تقول :

[. . . حتى إذا أختار الله لنبيه دار أنبيائه (ومأوى اصفيائه) ظهر فيكم حسيكة (ظهرت خلة) النفاق ، وسمل جلباب الدين ، ونطق كاظم الغاوين ، ونبغ خامل الآملين (الأقلين) وهدر فنيق المبطلين ، فخطر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً (صارخاً) بكم فألفاكم لدعوته (فوجدكم لدعائه) مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحظين . . ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً ، وأحشكم فألفاكم غضاباً فوسمتم غير إبلكم ، واوردتم غير شربكم .

هذا ، والعهد قريب والكلم رحيب ، والجرح لّما يندمل (والرسول لّما يقبر ابتداراً) زعمتم خوف الفتنة ، ألا في الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ، . . .] إلى آخر خطبتها صلوات الله عليها[1] ،

وهي مفصلة جداً ، لم نجد نصاً تاريخياً ذكرته العامة أو الخاصة قيل أو يمكن أن يقال لتوضيح ابعاد المظلمة وبُعد الهوّة والانحراف الحاكم آنذاك . . وهي حريّة بالدرس المستقلّ . .

ثم ها هي صلوات الله عليها تبرر عزل بعلها عن كل ما جرى ، فتصرخ بنساء المهاجرين والأنصار قائلة :

[. . . وما الذي نقموا من أبي الحسن ؟! نقموا والله نكير سيفه ، وشدّة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات الله ، وتالله لو تكافّوا عن زمام نبذه إليه رسول الله صلّ الله عليه وآله لا عتقله ، ولسار إليهم سيراً سُجحاً ، لا تُكلم حشاشته ، ولا يتعتع راكبه ،

---

(١) بلاغات النساء ـ ابن طيفور ـ : ١٣ ـ ١٤ وعشرات المصادر .

ولأوردهم مَنهلاً نميراً فضفاضاً ، يطفح ضفّتاه ، ولاصدرهم بطاناً قد تحيّر بهم الرأي ، غير متحلّ بطائل ، إلّا بغَمر الناهل ، وردعة سورة الساغب ، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض ، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون .

ألّا هلمّ فاستمع ، وما عشت اراك الدهر عجبه ، وإن تعجب فقد اعجبك الحادث ، إلى أيّ لجأ استندوا ، وبأيّ عروة تمسّكوا ! لبئس المولى ولبئس العَشير ، ولبئس للظالمين بدلاً ! استبدلوا ـ والله ـ الذُنابَى بالقوادم ، والعجز بالكاهل ، فرغماً لمعاطس قوم يَحسَبون أنهم يُحسِنون صُنْعاً ﴿ الا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾.

وَيْحَهُمْ : ﴿ أفمن يَهدي إلى الحقّ أحقُّ إن يتّبع أمّن لا يهِدّي إلّا أن يُهدى فما لَكم كيف تحكمون ﴾ ؟ لما لَعَمر الله لقد لَقِحت ، فَنَظِرَة رَيْثما تنتج ، ثم أحتلبوها طِلاعَ القَعْب دَماً عَبيطاً وذِعاقاً مُمِرقاً هنالك يَخسَر المبطلون ، ويعرف التالون غِبُّ ما أَسَّسَ الأولون ، ثم طيبوا عن انفسكم نفساً ، واطمئنوا للفتنة جأشاً ، وابشروا بسيفٍ صارم ، وهرج شامل ، واستبداد من الظالمين ، يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حَصيداً ، فيا حسرةً عليكم ، وأنىّ لكم وقد عُمِّيَتْ عليكم ، أنلزمكموها وانتم لها كارهون[1]].

إنها آية مما كان آنذاك وما يكون ، ولا يسعنا شرح كلامها صلوات الله عليها وأنّى لنا ، فهي تفرغ عن لسان أبيها صلوات الله عليه وعلى آله درساً

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن الحديد : ١٦ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، وغيره.

ومدرسة وعِبرة وعَبرة .

والأمرّ بعد كل هذا وذاك قولته أخيراً صفحة ٣٣ : *أمام النقد الذي تعرضت له النظريات السابقة ظهرت نظرية جديدة منسجمة مع الواقع !! ومفادها : أنّ رئيس الدولة كائناً من كان !! هو الذي يسمّي خليفته من بعده . . »* .

وهو يردّ هذا ، ومع ذاك يطالبنا بمعرفة علمية برأي الحكم آنذاك وظروفه ، ويريد منّا الإنصاف والمجاملة والمحاباة . . ونِعْم ما قال باحثنا في صفحة ٣٦ : « *فأهل السُّنّة تشبثوا بكلّ شيء ليبرروا الواقع الذي حدث ، تشبثوا بالنصّ ، وعندما خذلهم النصّ تشبثوا بالافتراض ، وعندما انهار الافتراض تشبثوا بالشورى ، وعندما انهارت الشورى تشبثوا بالرأفة بالمسلمين والحرص على وحدتهم ومستقبلهم حتى لا يتركوا همل بلا راع . . !!* » .

ثم ها هو يقول : ٦٩ : *ويبدو أنه بهذه النقطة تتفق الفرقتان : أهل السنة وأهل الشيعة ، وهي أن : الإمام لا يصبح اماماً فعلياً إلّا اذا بايعته الأمة ، وبتعبير ادق : الخليفة لا يصبح خليفة إلّا اذا بايعته الأمة* » . ويقول مثل ذلك من صفحة : ٣٦ : « . . *ولكنه لا يستطيع ان يمارس مهام رئاسة الدولة اذا لم تبايعه الأمة . .* » .

هذا وغيره صحيح إلى حد ما ، لكنّ الامام امام سواء بايعته الأمة ام لا ، والخليفة خليفة من الله ورسوله سواء ارتضته الأمة أم لا ، كالرسول بلا فرق ، والبيعة ما هي إلّا أمر صوري يراد منها الاقرار العملي للأمة ، وطريق السماء منحصر بأهل البيت سواء بايعتهم الأمة أم لم تبايعهم ، ولا يصح الأخذ عن غيرهم ولا مبايعة من سواهم ، وبحث البيعة حديث ذو شجون ، لنا معه وقفة وملحوظة . .

وعليه فقوله ـ صفحة : ٧٣ : « *من الناحية الشرعية : لا يصبح الامام رئيساً للدولة إلّا إذا بايعته الأمة ، فمبايعة الأمة له يعني اقرار له بالطاعة ،*

والتزامها بقيادته ضمن الشرع ، ويعني ان الخليفة ملتزم معها بالشرع ايضاً ـ لا يخفىٰ ما فيه .

ونعم ما قال أخيراً في صفحة : ١١٧ : في بيان البيعة العامة في التاريخ : ـ . . *وهذه الاساليب ليست غير شرعية فحسب ، بل هي ضد الدين نفسه ، وليس لهكذا خلافة نصيب من الشرعية سوىٰ اسم الخلافة . .*

أقول ما كانت السقيفة والشورىٰ والناكثون والقاسطون والمارقون إلّا نماذج مصغرة لكل ما سموه بيعة ، واطروّه كـ:دين . . . وعبّروا عنه بـ ! الاسلام !!

وها هو يتبجح بفعل الخليفة الثاني بقوله صفحة : ١٠٩ : « *وقد تنبّه إلىٰ ذلك الفاروق عند توزيع الأُعطيات ، وأخذ بعين الاعتبار توزيع العطايا حسب الطبقة ولم يساوِ بين أول من أسلم بآخر من أسلم ، ولا ساوىٰ بين من قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتىٰ حُوصِرَ بجزيرة الشرك مع الرجل الذي قاتل مع الاسلام كلّ معركة حتىٰ أعزّ الله دينه ، لأن هذه المساواة تغضب وجه الله* . . . » .

شهد الله إنّ هذا مما يضحك الثكلىٰ . . اذ عَدّ الخروج عن سنة رسول الله فخراً ! والبدعة في الدين عَزاً ! وتأسيس الطبقية التي حاربها الاسلام وجاء للقضاء عليها مكرمة ! وتناسى « إنّ اكرمكم عند الله اتقاكم » فضيلة . . وما عِشت ارك الدهر عجباً .

ويصرح بعد ذلك في صفحة ١٧٨ : « *وقصد عمر نبيل ، وهكذا قصد أبي بكر !!* . . » . وهل يكفي القصد او يصحح العمل . . هذا لو صححنا القصد ، وفتحنا باب التوجيه والتبرير ، لما بقي حجر علىٰ حجر ، ولصح لابن ملجم قتلُ علي عليه السلام ، وقتل يزيد لشبل رسول الله (ص) وريحانته ، ولجازت جرائم التاريخ . . .

ومن المؤاخذات التاريخية عليه حين يقول في صفحة ١٧ : « *أول مرة يطلق فيها هذا اللقب ـ أمير المؤمنين ـ كان علىٰ عمر بن الخطاب تاريخياً كما*

يقول . . » إلىٰ آخره .

وهذا لقب كبقية الألقاب التي غصبت من أبي الحسنين عليه السلام مع كلّ ما ابتز منه ، فنحن نجد هذا اللقب ممّا اختص به صلوات الله عليه أيام رسول الله (ص) وحباه به نبيّ الاسلام ، وارادته له السماء وأقرّه عليه الواقع التاريخي ، ونصوص الفريقين قائمة علىٰ ذلك . . ولا أسهب في الحديث ، وإنّما أتعرض إلىٰ جملة من نصوص العامة ، ناهيك عن مئات من كتب الخاصة ، بل هو من ضروريات مذهبهم .

أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء : ١ / ٦٣ بإسناده عن أنس قال : قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ، يا أنس ! اسكب لي وضوءاً ، ثم قام فصلّىٰ ركعتين . ثم قال : يا أنس ! أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، وخاتم الوصيّين .

قال أنس : قلت : اللهم اجعله رجلاً من الأنصار وكتمته ، إذ جاء عليّ فقال : من هذا يا أنس ؟ فقلت : عليّ ، فقام مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ، ويمسح عرق علي بوجهه . . إلىٰ آخره .

وآخر عن ابن مردويه عن طريق ابن عباس قال : كان رسول الله (ص) في بيته فغدا عليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالغداة . . . إلىٰ أن قال : فقال له دحية : إني لاحبك وإن لك عندي مدحة أزفها لك ، أنت أمير المؤمنين ، وقائد الغرّ المحجّلين . . . فقال (ص) : يا علي لم يكن دحية ولكن كان جبرئيل سماك بإسم سماك الله به . . .

وغيرها كثير ، ويؤكدها ويعضدها عدة احاديث منها ما اخرجه ابو نعيم في حلية الاولياء : ١ / ٦٤ من طريق ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : ما انزل الله آية فيها ﴿ يا أيها الذين آمنوا . . . ﴾ إلاّ وعلي رأسها واميرها[1] .

---

(١) انظر الرياض النظرة : ٢ / ٢٠٦ ، الكفاية للكنجي : ٥٤ ، تذكرة سبط الجوزي : ٨ ، =

وبعد كل هذا : [*فليست الفوارق بينهم ـ أي الشيعة ـ وبين أهل السُنّة فوارق اجتهادية ليس إلّا* ، ـ علىٰ حدّ تعبيره في صفحة ٢٩٧ ـ بل جذرية أساسية جوهرية في المبدأ والمنتهىٰ . . وهذا لا ينافي احترام اموالهم واعراضهم كحرمة دمهم عندنا ، وأن نكون يداً واحدة علىٰ من سوانا ، وأن نجاملهم بمقدار ما تسعنا المجاملة ، ونغض الطرف عن كل ما يكيلون لنا من سباب وتُهم . . وتكفير ومروق . . وتهاجم وتحامل . .

وعلىٰ كلّ فهذا غيض من فيض ممّا جال في ذهننا القاصر ، ونقدّم عذرنا لأستاذنا سلفاً ، وهو بحقّ كان له جهد مشكور مأثور . . يجزيه عليه الثناء الجميل منّا والأجر الجزيل والخير الكثير من ربّ العالمين وكل باحث عن الحقيقة . . ولـولا هذه وامثالها من الدراسات التي تدعونا إلىٰ الطمأنينة علىٰ مستقبل مشرق وإلىٰ الثقة بأننا مسلّموها بعدنا إلىٰ المتممين المجدّدين لا إلىٰ المفرّطين المضيّعين الّذين لم يعرفوا من الإسلام إلّا اسمه ، ومن القرآن إلّا رسمه ، ومن الأحكام إلّا لقلقة وحشرجة . .

كثر الله من أمثاله وسدّد خطاهم وهداهم إلىٰ الصراط المستقيم ، صراط الّذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

عبدالله النجفي

قم ـ ١٤١٢ هـ

= الصواعق المحرقة : ٧٦ ، كنز العمال : ٦ / ٢٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١١٥ وغيرها .

الاهــــداء :

إلى التي تقـود زورقهـا بمعاكسـة تيار الحياة، فتكره من يحبها، وتحب من يكرهها، وتقطع من يصلها وتصل من يقطعها، وتغدر بمن يفي لها، وتفي لمن يغدر بها.

إلى التي تتسـاوى في حيـاتهـا الأضداد، فيغدو بواقعها الليل كالنهار، والحب كالكـراهيـة، والخيـر كالشـر، والغـدر كالـوفاء، والأبيض كالأسود، والرجاء كالقنوط، والفكرة تماماً كالسكرة.

إلى التي قطعت الصلة بمـاضيهـا، وتعـامت عن حاضـرهـا، وأدارت ظهرها لمستقبلها.

إلى التي تعتبر: الحقيقة، والحب، والوصل، والوفاء، مجرد كلمات «اُجتثت من فوق الأرض ما لهـا من قرار»، حتى إذا جاءتهـا الفكـرة وفـارقتها السكـرة أبصـرت، فندمت، وضـربت كفـاً بكف، واستبشـر من حولهـا، وشـرعـوا بالبنـاء والـزرع، لكنهـا تعمى بعد إبصار، فتهدم كلما بُني، وتقلع بأظافرها كلما زرع، ثم تدوس عليه بأقدامها بعد انسحاب الفكرة وسيطرة السكرة.

إلـى الـتـي شغفتنـا حبـاً، ومـا زالت، وستبقى حتى في ما وراء اُفق الموت. رغم كل الجراح والألم والشعور بالاحباط، إلى ظالمتي الغالية «ا . ي».

[المـؤلـف]

مقدمة الكتاب

الحمد لله منزل الكتاب، والصلاة والسلام على رسوله الذي اختصه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله شيوخ البطاح السادة الأفذاذ.

أمـــا بـعـــد :

فإن الكتابة عن النظام السياسي الإسلامي بالأسلوب المنهجي المعاصر لدراسة الفكـر السيـاسي، ليست نزهـة فكـرية كما يبدو للوهلة الأولى، إنما هي عملية شاقة، ومضنية، تتطلب :

١ ـ معرفة مميزة بقواعد الشرع الحنيف ـ قرآنه وسنته ـ بما فيها مجريات الأحداث التي أدت لقيام الدولة الإسلامية الأولى، دولة الرسول ﷺ.

٢ ـ وتحتاج إلى اطلاع واسع على التاريخ السياسي الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ حتى سقـط آخـر سلاطـين الـدولـة العثمانية، على اعتبار أن هذا التاريخ صور لتطبيق النظام السياسي الإسلامي كلياً أو جزئياً.

٣ ـ ولا بد أيضـاً من الاطـلاع المـوضـوعي والمنصف على رأي المعـارضـة بعـد وفاة الـرسـول ﷺ ومن مصادر المعارضة نفسها، لا من مصادر الدول التي نشأت في ظلالها تلك المعارضة ـ لأن أية دولة على الاطلاق، بما فيها دولة الرسول نفسه، كانت تلقى معـارضـة، بغض النظـر عن شرعية أو عدم شرعية تلك المعارضة، ونستطيـع القـول بكل ارتياح أن الرسول ﷺ وحده كحاكم هو الذي يملك كل الحقيقة، لكن الحقيقة بعده موزعة بنسبة ما، ما بين الحكم والمعارضة.

كل ذلـك من خلال استرداد الحـوادث التاريخية وتحليلها وفقاً لمناهج الاستقراء والاستدلال والمقارنة.

وبـاختصـار، كانت كتابتي للنظام السياسي الإسلامي تجربة هائلة تنوء بحملها طاقتي، مهما بلغت ثقتي بنفسي. ومع هذا، كانت تلك التجربة تشدني وتأسرني تماماً، وحافزي لاقتحام هذا الهول، رغبتي الجامحة بوضع بحث متكامل ومميز عن النظام السياسي الإسلامي وعلى غير مثال يعالج النظام السياسي الإسلامي بموضوعية وتجرد كاملين، وكما وضعه الله تعالى وطبقه رسوله الأمين. ثم أضع هذا البحث تحت تصرف عاشقي هذا النظام من أهل السنة ومن أهل الشيعة معاً، وأمام طلاب الحقيقة من أبناء الملل الأخرى. وهـذا مطلب كبير ومهمة عسيرة وشاقة ومليئة بالمفاجآت وقف غيري على ابوابها متردداً - بغير ادعاء - أو غرف منها غرفاً يسيرا لا يشفي الغليل، ولا يرشد الضليل، واطلقوا على تلك الوقفات أبحاثاً، فغصت المكتبات بمثل تلك الأبحاث، وحصل أصحابها على ألقاب الفقهاء أو العلماء، وكيل لهم المديح بغير حساب، مع أن تلك «الأبحاث» التي عالجت النظام السياسي الإسلامي في العصر الحديث، على الأقل، مبتسرة، وانتقائية ومقلدة، وقاصرة عن الاقناع، فهي:

١ - إما أن تكون وصفاً للواقع التاريخي الذي ساد بعد وفاة الرسول ﷺ، وتمجيداً له، واعتباره المثال وجزءاً لا يتجزأ من الدين، وتشنيعاً على الذين يعارضون ذلك الواقع - تشنيع يصل إلى درجة التكفير، وكيل التهم جزافاً بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير، ولا حتى معرفة علمية برأي المعارضة. وهذا نهج الكثير من مؤلفي أهل السنة.

٢ - وإما أن تكون معاداة صارخة للواقع التاريخي بعد وفاة الرسول ﷺ، والصاق كل نقيصة بهذا الواقع وبمن يؤيده، دون معرفة علمية برأي الحكم آنذاك وظروفه وهذا نهج الكثير من أهل الشيعة.

مع أن للفريقين إلـهً واحداً هو الله جل وعلا، ولهما نبي واحد هو محمد ﷺ، ولهم دين واحد هو الإسلام أقام الله دولته وأدامها. تلك أركان ثلاثة لا خلاف عليها بين الفريقين، ومن يقول من الفريقين عن الآخر غير ذلك فقد ظلم، وبغى، وقلد تقليداً أعمى، فكلا الفريقين ينهل من القرآن والسنة.

ونتيجة لهذين الموقفين المتناقضين بلا ضرورة، ولجهل كل واحد من الفريقين برأي الآخر، بقي النظام السياسي الإسلامي مجهولاً، وكنزاً مدفوناً لا يعرف حقيقته

حتى أولئك الذين يحملون ألقاب العلماء والفقهاء، وينادون بتطبيق الإسلام، واقامة دولته .

وكلما جاء جيل من المؤلفين، دفن حقيقة هذا النظام بجهله، وحثا فوقه تراب العادة، فأظهروا نظام الإسلام كأنه نظام استبدادي، مع أنه نظام إلهي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وفي ظلال هذا كله، تشعبت الأمة وعصفت بها الأهواء، فلا هي استفادت من عبر تاريخها الماضي، ولا هي قادرة على استشراف مستقبلها.

إزاء هذا كله، نبذت المنهجين بعد استيعابها، وقطعت صلتي بالطريقتين بعد اكتشافهما، ويممت شطر الشرع الحنيف، قرآنه وسنته، أبغي الهدى، والحقيقة المجردة كما وردت بالشرع وبالشرع وحده. وبعد وقوفي على الحقيقة الشرعية المجردة، شرعت بوضع خطة البحث، فقسمته إلى أربعة أبواب:

١ - الباب الأول: تناولت فيه الإمام وكيفية توليته، وسقت فيه:

أ - رأي أهل السنة بموضوعية وتجرد علمي كاملين ومن مصادر أهل السنة.

ب - ورأي أهل الشيعة بموضوعية وتجرد علمي كاملين، ومن مصادر أهل الشيعة.

جـ - ثم سقت الرأي الشرعي الحنيف على اعتبار أنه الميزان والحكم.

د - ورافقت الإمام وهو مواطن في الدولة الإسلامية، ثم ولياً للعهد، ثم إماماً وكيف يمارس اختصاصاته.

هـ - ولم أتهرب، بل تصديت لكل سؤال بالجواب.

و - ولم يأت السياق عبثاً، إنما كان مستنداً لمئات المراجع.

٢ - وفي الباب الثاني: بينت كيف أقام الرسول ﷺ دولته، وسرت معه وهو فرد محاصر في جزيرة الشرك حتى كوّن مقومات الدولة ركناً ركناً وحتى مارس سلطاته كرئيس للدولة.

٣ - وفي الباب الثالث: بينت مفهوم الدولة وطبيعتها في الإسلام.

٤ - أما الباب الرابع والأخير، فأوضحت فيه الأحزاب السياسية في الإسلام، حتى إذا انتهى القارىء المنصف من قراءة هذا البحث، يشعر أنني بفضل الله ومشيئته

قد أجبت على كل سؤال، وأنني قد وضحت النظــام الإســلامي تماماً. فجـاء البحث جديداً بمنهجه، فريداً بتبويبه، شاملاً بمضمونه.

اللهم اجعـل عمـلي هذا خالصـاً لوجهـك الكـريم، لا اشتهاء فيه ولا ادعاء، وهدية خالصة إلى رسوله الأمين محمد ﷺ، وإلى أهل بيته الطاهرين وآله الأكرمين، وإلى بني هاشم وبني المطلب، ملحـــة الأرض المــاجـــدين الــذين طوقـوا كل مسلم بصنائعهم المجيدة إلى يوم الدين.

اللهم اجعـل عمـلي هذا صدقة تطفيء بها خطاياي، ومجلبة لرضاك. اللهم إن أخطأت فمن نفسي، إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي. وإن أصبت، فمنك إنك نعم المولى ونعم النصير.

﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾.

[المـــؤلـف]

الباب الأول

تــولية الإمـــام

الفصل الأول

تـولية الإمـــام

أولاً : ألقاب رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي :

اطلق على رئيس الدولة الإسلامية عبر التاريخ السياسي الإسلامي ، مجموعة من الألقـاب . ولكـل واحـد منهـا مداه ومفهـومه وزمانه . لكنها أطلقت على شخص واحـد ، وهـو الـذي يتـولى رئاسة دولة المسلمين ، ولكل واحد من هذه الألقاب سنده الشرعي ، وأهمها :

أ ـ ولي الأمر :

لغة من ولي أمر أحد فهو وليه ، فولي القاصر أبوه وجده لأبيه ثم وصي أحدهما ثم الحاكم الشرعي . ومعناه أن هؤلاء هم الذين يلون أمره ويتصرفون بشؤونه .

والمعنى الاصطلاحي لولي الأمر منسجم مع المعنى اللغوي الذي أوردناه وما يؤيـده هذا الفهم قولـه تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصـلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[1] .

(١) راجع كتاب المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص١٨٧ ـ ١٨٨ ، ويمكن مراجعة كلمة ولي في الصحـاح وفي مختـار الصحـاح . وهنالك اجماع بان هذه الأية نزلت في علي ، وقد نقل هذا الاجماع اكثر من واحد كالامام القوشجي في مبحث الامامة والتجريد وفي الباب ١٨ من غاية المرام ١٨ حديثا عن طريق أهل السنة تثبت نزولها في علي . ويمكن الاطلاع على تفسير هذه الأية في تفسير الامام أبي اسحاق أحمد بن محمد بن ابرهيم النيسابوري الثعلبي والذي قال عنه بن خلكان في وفياته «انه اوحد زمانه في علم التفسير» . والثابت عن ائمة أهل البيت الكرام ان هذه الأية نزلت في علي عندما تصدق بخـاتمـه وهـو راكـع . وراجـع ذلك في صحيح النسائي وفي تفسير سورة المائدة من كتاب الجمع بين الصحـاح الـسـنة ، وراجـع تفسيـر الأيـة في كتـاب أسباب النزول للواحدي ، وقد اخرجه الخطيب في المتفق . وراجـع مسـندي بن مردويـه وأبي الشـيخ . وراجـع كنـز العمـال الحديث ٥٩٩١ ـ ٣٩١ ج٦ وراجع منتخب الكنز ص٤٣٨ ج٥ من مسند الامام أحمد . راجع الأيات ٥٤ـ٥٥ من سورة المائدة .

فيكون المعنى : أن الذي يلي أموركم فيكون أولى بها منكم، هو الله ورسوله وعلي، وقد أثبت الله الولاية لنفسه ولنبيه على نسق واحد، وولاية النبي والولي مثلها وعلى اسلوبها كما سنتولى اثبات ذلك في حينه.

وكان يعرف الرسول ﷺ بأنه ولي المؤمنين وولي المسلمين للدلالة على رئاسته للمسلمين قبل قيام الدولة، وكدلالة على رئاسته للدولة بعد قيامها، وكدلالة على اختصاصه بتصريف شؤون المسلمين ورئاسته لهم في الدنيا والدين معاً. والأهم من ذلك أن الرسول ﷺ قد بيّن هذا المعنى في أحاديث واضحة ومحددة ولا تحتمل التأويل، ونورد على سبيل المثال فيضاً منها :

- قال ﷺ لعلي : «أنت ولي في الدنيا والآخرة»(١).
- وقال ﷺ لعلي أيضاً : «أنت ولي كل مؤمن بعدي»(٢).
- وقال ﷺ أيضاً : «عليّ مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي»(٣).
- وقال ﷺ لرجل : «لا تقع في عليّ فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي»(٤).

وهكذا، فهم الصحابة الكرام كلمة ولي :

فهذا أبو بكر الصديق، يبرر اختياره لعمر خليفة له من بعده، فيقول : (اني ما وليت ذي قرابة)(٥).

إنه يصف عملية تنصيب رئيس الدولة بالتولية، والمحصلة أن رئيس الدولة هو وليّ الأمر.

---

(١) راجع مسند الامام أحمد جـ١ ص٣٣٠، وراجع الخصائص العلوية للنسائي ص٦ وراجع المستدرك للحاكم جـ٣ ص١٢٣.

(٢) اخرجه النسائي في خصائصه واحمد بن حنبل في مسنده جـ٤ ص٤٣٨ والحاكم في مستدركه ص١١١ والذهبي في تلخيص المستدرك. وابن ابي شيبه والمتقي الهندي في كنز العمال جـ٦ ص٤٠٠ والترمذي، وعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد في شرح النهج جـ٣ ص٤٥٠.

(٣) راجع مسند الامام أحمد ص٣٥٦، ٣٤٧ جـ٥ و ص١١٠ جـ٣ من المستدرك للحاكم وص٤٨٣ جـ٢ من مسند الامام أحمد، واخرجه الطبراني وراجع ص١٠٣ من الصواعق المحرقة لابن حجر وراجع جـ٦ ص٢٩٨ من كنز العمال.

(٤) راجع الحديث ٢٥٧٥ ص١٥٥ جـ٦ و ص٣٩٧ جـ٦ من كنز العمال و ص١٨٧ من المراجعات للامام العاملي.

(٥) راجع على سبيل المثال: تاريخ الطبري جـ٣ ص٤٢٩ وراجع سيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧ وراجع الطبقات لابن سعد جـ٣ ص٣٦٤ وراجع الامامه والسياسة لابن قتيبة ص٢٣ وما فوق.

ثم هذا هو عمر يردد كلمة التولية مرات ومرات وهو على فراش الموت، فتراه يقول: (لو كان أبو عبيدة حياً لوليته، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته، ولو كان خالد بن الوليد حياً لوليته). وأحياناً يستعمل مع كلمة التولية كلمة (استخلفته ووليته) كأن كلمة الاستخلاف لا تغني عن كلمة التولية[1].

وقد استعملت كلمة التولية من الصديق والفاروق مرات ومرات اشارة إلى عملية تنصيب رئيس الدولة واستخلافه. وليس أوضح من كلمة أبي بكر في أول خطبة سياسية له (إني قد وُليتُ عليكم ولست بخيركم).

ومن الملفت للانتباه أن الفاروق والصديق لم يجدا كلمة تغني عن كلمة التولية على الرغم من التصاق هذه الكلمة شرعاً بعلي بن أبي طالب. ودليلنا على ذلك أنه لم يصدف على الاطلاق أن الرسول ﷺ قد قال لمسلم قط «أنت وليهم من بعدي، أو من كنت مولاه فهذا فلان مولاه»... أقول على الاطلاق لم تقل هذه الكلمة شرعاً إلا لعلي. ولم تطلق هذه الكلمة شرعاً إلا على عليّ. مما يدل دلالة قاطعة على عمق التصاق الكلمة بالمعنيين اللغوي والشرعي.

فلم يجد الخليفتان أي كلمة تعبر عن معنى رئاسة الدولة مثل كلمة التولية المشتقة من الولي، حتى ولا كلمة الاستخلاف. فلذلك تجد عمر يقول لو كان... حياً وليته واستخلفته، فكأن كلمة الاستخلاف لا تغني، فجاءت كلمة التولية لتوضيحها.

والرسول ﷺ كان ولي أمر المؤمنين حتى قبل أن تنشأ الدولة يوجههم ويصرف أمورهم، ويرتبطون به برابطة التبعية واطاعة أوامره، حتى إذا قامت الدولة أعلن ذلك وشمل هذا الاعلان كافة رعايا الدولة[2].

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٢٣ وراجع تاريخ الطبري جـ٤ ص٢٢٧ وما بعد «فان ولوا والياً فأحسنوا مؤازرته» وراجع ص٢١٥ نظام الحكم للقاسمي. - راجع ص٣٥٣ جـ٣ سطر ١٥ من شرح النهج لابن أبي الحديد.

(٢) راجع جـ١ ص٥٠١ من سيرة ابن هشام، وراجع مجموعة الوثائق السياسية ص١٥ وما بعدها، وراجع الرسول العربي وفن الحرب عند العرب لمصطفى طلاس، وراجع نظام الحكم لظافر القاسمي ص٣٠.

وفي زمن الخلفاء الراشدين كان ينظر لرئيس الدولة (الخليفة) على أنه ولي الأمر وينادى كذلك. ولم يختلف الأمر من حيث التسمية في زمن الخلفاء الأمويين والعباسيين والعثمانيين، فقد كان يعرف كل (خليفة) على أنه ولي الأمر.

حتى إذا انتقل الأمر إلى بني عثمان استثقل السلاطين على أنفسهم أن يتسموا بالخلفاء (تأثراً) بالقاعدة الشرعية القائلة: (الأئمة من قريش) وبنو عثمان ليسوا عرباً. فلذلك كانوا يعرفون بالسلاطين، ومع هذا كان العامة والخاصة يعرفون أن السلطان هو ولي الأمر كناية عن رئاسة الدولة الإسلامية أو التعبير عن لقب رئيسها. ولتعلم أن اللقب الحقيقي لرئيس الدولة الإسلامية هو (ولي)، إرجع إلى كنز العمال[1].

يقول أبوبكر: (أنا ولي رسول الله)، ويقول عمر: (أنا ولي رسول الله وولي أبي بكر وأمرهما إلي وإلى من ولي الأمر)[2].

ب ـ الإمـــــام:

يأتي لقب الإمام متزامناً ومتزاملاً مع لقب ولي الأمر تاريخياً.

وأمّ القوم لغة تقدمهم، والإمام كل من أؤتم به قوم، سواءً أكانوا على الخطأ أو الصواب، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له، ويعني المثال، ويعني المقصود. والإمام هو الخيط الذي يمد على البناء ويسوى عليه، والحادي إمام الإبل لأنه الهادي لها[1].

وقد وردت كلمة إمام اصطلاحاً في القرآن الكريم بمعان مختلفة، ولكنها تتفق جوهرياً مع المعنى اللغوي. قال تعالى:

﴿إني جاعلك للناس إماما﴾[3] وهي عن سيدنا إبراهيم وتعني القدوة.

﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾[4] وتعني الزعامة الكافرة.

---

(١) راجع الحديث ١٨٧٦٨ و ١٨٧٦٩ جـ٧.

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ١ = والقاموس المحيط مادة امه.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٤

(٤) سورة البقرة الآية ١٢.

﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا﴾(١) وتعني الزعامة المؤمنة والقدوة.
﴿واجعلني للمتقين إماما﴾(٢) يعني هادياً ووليأ وهي عن الرسول ﷺ.
﴿فانتقمنا منهم وانهما لبإمام مبين﴾(٣).

ومـا يعنينـا أن الإمـامـة تعني الـزعامة والرئاسة برة كانت أم فاجرة، وبالتحديد رئاسة الدولة، لأن الغلبة تكون للرئاسة، والمغلوبون عادة يقلدون غالبهم ويقتدون به صالحاً كان أم طالحاً. ولذلك قيل: الناس على دين ملوكهم، والفرق في الحالتين أنها إما أن تكون مثال خير أو مثال شر.

وقد أخذت كلمة إمام معناها الواضح في الدين اصطلاحاً، فقد عرف الرازي الإمـام بأنـه كل شيء يقتـدى به في الـدين، فالإمـام أبـو حنيفة هو القدوة في الفقه، والبخاري هو القدوة في الحديث، والغزالي هو القدوة في التوحيد(٤).

وقيـادة الأمـة تسمى الامامة الكبرى أو العظمى، وإمامة الصلاة تسمى الإمامة الصغرى، واطلاق لفظ الإمام يعني صاحب الإمامة الكبرى(٥).

والخـلاصـة أن كلمـة إمـام استقـرت اصطـلاحـاً على أنها تعني رئيس الدولة المعين وفق الشـرع تمـامـاً. والشيعـة يسمـون ولاة الأمور الذين لا يعترفون بولايتهم «بـالخلفـاء»، ويسمـون عليـاً والحسن والحسين وبقيـة الأئمة الاثني عشر «بالأئمة» ويطلقون هذا اللقب على كل إمام يعترفون بإمامته(٦).

والحقيقة أن إمام المسلمين هو قدوتهم ومثلهم الأعلى، وهو الوارث الحقيقي لعلم النبـوة، وهـو القـائم مقـام رسـول الله ﷺ. والرجل الذي يخلف الرسول ويقوم مقامه ينبغي أن يكون أصلح أهل زمانه، وأعلم أهل زمانه، وأقرب أهل زمانه لرسول

(١) سورة الانبياء الآية ٧٣.
(٢) سورة السجده الآية ٢٤.
(٣) سورة الحجر الآية ٧٩.
(٤) راجع تفسير الرازي جـ ١ ص ٧١٠.
(٥) الفصل في الملل والنحل.
(٦) النظريات السياسية في الإسلام ص١٠٥ د. محمد ضياء الدين الريس.

الله ﷺ مما يجعله قدوة. ومما يرتفع به عن الزلل، لأن من مهام الرسول أن يبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، ومن مهام خليفته أن يقوم بهذه الوظيفة لأن الدعوة إلى الله لا تتوقف. وبيان أحكام الدين مستمر إلى يوم القيامة. وبالتالي يجب أن يكون رئيس الدولة الإسلامية قدوة ومرجعاً دينياً بذاته وعلومه. وهكذا يصبح لقب الإمام أكثر الألقاب التصاقاً وملاءمة بمنصب رئيس الدولة الإسلامية. وهذا رأي الشيعة(١).

أما أهل السنة، فيتمنون لو تحقق ذلك، ولكنهم اصطدموا بحقائق واقعية مفروضة فجعلوا المنى هدفاً وحاولوا أن يلائموا بين الواقع وبين الشرع، وجوزوا شرعية الواقع، بحكم الحال والاضطرار كما يقول الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد.

ج - الخليفة:

كلمة خليفة لغة، تجمع على خلفاء وخُلائف(٢). قال تعالى:

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد نوح﴾(٣).

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض﴾(٤).

﴿وجعلناكم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾(٥).

﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾(٦).

ويلاحظ أن الخلافة لا تكون إلا لمن يموت أو يغيب، ومعنى خلفه أي كان خليفته، وتعني حلول شخص مكان شخص أو قوم مكان قوم، وهي في حق الغائب،

(١) راجع اعيان الشيعة للمجتهد الاكبر محسن الامين جـ١ قسم ٢ ص(٦ و٧) وراجع النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للطوسي ص٥٢، وراجع عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الائمة حسين يوسف مكي العاملي ص١٢ و١٣.

(٢) راجع مختارات الصحاح للرازي جـ١ ص٢٥٠ وراجع المعجم الوسيط ولسان العرب لابن منظور مادة خلف.

(٣) سورة الاعراف الآية ٦٩.

(٤) سورة الاعراف الآية ٧٤.

(٥) سورة يونس الآية ٧٤.

(٦) سورة يونس الآية ١٤.

أما الحاضر فلا[1]. وهي بالتالي ليست خلافة لله اصطلاحاً، إنما هي خلافة لرسول الله ﷺ لأن الله تعالى لا يحول ولا يزول[2].

ألم تر أن الخليفة أبو بكر الصديق استهجن على الذي ناداه يا خليفة الله وقال له الصديق: إنما أنا خليفة رسول الله[3].

واصطلاحاً عنت كلمة الخليفة الشخص الذي يتولى ادارة شؤون المسلمين ورئاسة دولتهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، وسمي خليفة لكونه قد خلف الرسول بهذه المهمة فيقال خليفة بالاطلاق ويقال خليفة رسول الله.

والخليفة مأخوذة من الخلافة، والخلافة عنت دينياً الإمارة على أمة من الناس والحكم بشريعة الٰهية.

﴿وإذ قال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح﴾[4].

﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾[5]. ويستفاد من ذلك:

١ - أن مَن يخلف الرسول ﷺ ويقوم مقامه يجب أن يكون أفضل أهل زمانه وعلى درجة من الكمال والعلم لأنه قائم مقام النبوة.

٢ - إن خلافة الرسول ﷺ هي اصلاح وتطبيق لشرع الله ويستبعد عقلاً أن تكون تسمية الخليفة أو ترشيحه متروكاً لأهواء الناس. ومن المحال أن لا تنظم الشريعة هذه الناحية.

د - أمير المؤمنين:

أول مرة يطلق فيها هذا اللقب كان على عمر بن الخطاب تاريخياً كما يقول ابن خلدون[6]. والمناسبة أن رجلاً دخل المدينة وأخذ يسأل عن عمر ويقول: أين

---

(١) نظام الحكم لظافر القاسمي ص١٣٣.

(٢ و٣) المقدمة لابن خلدون فصل ٢٦ ص ١٥٩.

(٤) سورة الاعراف الآية ٨١٤٣

(٥) سورة ص الآية ٢٦.

(٦) راجع مقدمة ابن خلدون ص ١٨٩ فصل ٣٢.

أمير المؤمنين؟ فقالوا: أصبت إسمه، إنه أمير المؤمنين حقاً. وسمعه الصحابة فاستحسنوه وقالوا: أصبت والله إسمه، وإنه والله أمير المؤمنين حقاً. فدعوه بذلك. وذهب لقباً له في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده.

والخلاصة أن هذه الألقاب كلها ألقاب للشخص الذي يتولى رئاسة دولة المسلمين، ولا تناقض بينها فهي منسجمة ومؤتلفة مع المعقول. فأمر سهل أن ينادى أول خليفة بخليفة رسول الله، لكنه صعب أن تقول للخليفة الثاني يا خليفة خليفة رسول الله، وتزداد الصعوبة بتتابع الخلفاء الذين خلفوا النبي ﷺ.

وإمام المسلمين هو قدوتهم ومثلهم الأعلى بعد الرسول ﷺ، وبالتالي هو وفد المسلمين إلى الله. فمن باب التقدير والتنويه بذلك ومن باب الدقة باستعمال الألفاظ فيمكن بكل الارتياح تسمية رئيس الدولة الإسلامية بالإمام «طبعاً إذا كان معيناً وفق الشرع وأفضل أهل زمانه».

والمجتمع الذي يرأسه الخليفة أو الإمام هو مجتمع عقائدي، يركز على عقيدة الإيمان بالله، وأفراد المجتمع ملتزمون بهذه العقيدة، فكل فرد منهم مؤمن بها، والخلافة بمعناها الحقيقي، كما يقول ابن خلدون: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي. والحمل هو الأمر والنهي أو بتعبير آخر هو السلطة، فالمتأمر شرعاً في هذا المجتمع هو الولي أو الخليفة أو أمير المؤمنين أو الإمام، وهو أمير الأفراد المؤمنين وللجماعة التي تعتنق الإسلام. وبالرغم من هذا، فليس لولي الأمر أو الخليفة أو أمير المؤمنين أو الإمام أي امتياز شخصي، والفرق بينه وبين غيره من حيث التكليف هو أنه أثقلهم حملاً، وفي العقوبة على جنايات النفس والمال لا فرق بين حاكم ومحكوم[1].

---

(١) راجع نظام الحكم في الإسلام يوسف موسى ص ١٣٢، وراجع متن الكنز وشرحه للزيلعي جـ٣ ص١٨٧.

علاقة تسمية الدولة بلقب الإمام أو بالإمام:

للقب رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي علاقة بتسمية الدولة الإسلامية. فقد أطلق على أتباع محمد طوال وجودهم في مكة لقب المسلمين أو أتباع محمد.

وبعد هجرة الرسول إلى المدينة عرفوا كذلك بأتباع محمد، فقد كان من جملة شروط صلح الحديبية أنه من أتى محمداً من قريش بغير اذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريش ممن مع محمد لم يردوه عليه[1].

ويلاحظ أنه قد أشير للدولة الإسلامية بمحمد، ولشعب الدولة بالذين مع محمد. وسميت الدولة فيما بعد بلقب رئيسها، فقيل: دولة الخلافة، وقيل دولة امارة المؤمنين، وقيل الإمامة، ولقب الإمام ألصق بالشرع إن كان متصفاً بصفاته. وسميت الدولة الإسلامية باسم عائلة رئيسها، فقيل الخلافة الأموية نسبة إلى العائلة الأموية التي ينتمي رئيس الدولة لها. وقيل الخلافة العباسية نسبة إلى العباس بن عبدالمطلب الذي يعود نسب رئيس الدولة إليه. وقيل الخلافة العثمانية نسبة إلى عثمان مؤسس الدولة العثمانية، مما يدل على أهمية رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي.

وقد أشير للدولة الإسلامية بكلمة المؤمنين، فقد وردت كلمة المؤمنين وكلمة المسلمين في مستهل الكتاب الذي أصدره الرسول ﷺ في بداية عهده بالمدينة المنورة[2].

---

(١) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص١٢١ و١٢٩.

(٢) راجع سيرة ابن هشام جـ١ ص٥٠١ ومجموعة الوثائق السياسية محمد حميد الله ص١٥ ونظام الحكم للقاسمي ص ٣١ والرسول العربي لمصطفى طلاس.

الفصل الثاني

٢ - تسمية رئيس الدولة أو ترشيحه في النظام السياسي الإسلامي

أ - معنى التسمية والترشيح :

معناها أن يقوم الإمام الحالي أورئيس الدولة الفعلي المعين حسب الشرع بتسمية ولي عهده وخليفته لتقوم الأمة بمبايعة ولي العهد، هذا بعد وفاة الإمام أو رئيس الدولة الفعلي أو خلو منصب الرئاسة.

وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية، فقد يموت الإمام فجأة فتختلف الأمة على من يتولى أمرها، ويؤدي هذا الاختلاف إلى الفتنة فالعداء. وتتفرق الأمة بعد أن كانت موحدة، ويطمع بها أعداؤها، وتضعف شوكتها ويملك أمرها فيما بعد من يغلب، وهكذا يوسد الأمر إلى غير أهله كما حدث في التاريخ.

ومن ناحية ثانية، فإن الإمام أثناء قيامه بمهام رئاسة الدولة بحاجة إلى من يساعده في تصريف شؤون الدولة والتخطيط لمستقبلها وتنفيذ خططها المستقبلية بنداً بنداً حسب أهميتها، فلا بد إذن من تسمية ولي العهد وترشيحه للأمة ليضمن الاستمرارية للدولة وللنظام، ويضمن النقلة الطبيعية إذا ما حدث لرئيس الدولة مكروه.

أو على الأقل، ليقوم ولي العهد بتصريف الأمور حتى ينصب هو أو أي رئيس جديد، وهكذا يتجنب الناس غوائل الفتنة ومغبة الانقسام.

وتلك أمور لم تفت المشرع الوضعي نفسه - على قصوره وعجزه - فبين وحدد الشخص الذي يخلف رئيس الدولة على الأقل ريثما ينتخب الرئيس الجديد، فأحياناً يقوم نائب الرئيس المنتخب بادارة الدولة بعد شغور منصب الرئاسة، وأحياناً تقوم هيئة منتخبة أو معينة، وأحياناً يأتي ابن الملك مكان أبيه أو الشقيق مكان شقيقه حسب قواعد الوراثة السياسية المعروفة في هذا النظام أو ذاك.

وهنا يثور التساؤل: هل يعقل أن يموت الرسول ﷺ دون أن يسمي أو يرشح للأمة خليفة من بعده؟. وهل يعقل أن يترك الأمة التي أحبها تتقاتل وتتعذب وبالتالي

تغلب على أمرها ويتولاها من يغلب بغض النظر عن ماهيته وايمانه؟. وهل يعقل أن يفوت الرسول المعصوم من ربه أمراً بهذه الأهمية؟. وهل يعقل أن لا يبين الشرع ـ وهو الذي بيّن كل شيء ـ الطريقة التي تنتقل بها السلطة في حالة وفاة الإمام أو خلو منصبه لأي سبب كان؟. ألا يناقض هذا ـ لو حدث ـ كمال الدين وتمام النعمة؟.

وقد رأينا أن المشرع الوضعي المعرّض للسقوط بالخطأ لم يغفل هذه الناحية، فكيف يغفلها المشرع الإلهي الذي أحاط بكل شيء؟ وكيف يغفلها الرسول المعصوم من ربه؟ مع أن الرسول ﷺ لم يفاجأ بالموت، إنما خيّر وأُمهل فاختار ما عند الله...

ب ـ المواقف السياسية من تسمية الإمام وترشيحه:

- ما هو موقف الشيعة من تسمية الإمام وترشيحه؟.
- ما هو موقف السنة من تسمية الإمام وترشيحه؟.
- ما هو موقف الشرع نفسه من تسمية الإمام وترشيحه؟.

فليس بالضرورة كما علمتنا أحداث التاريخ أن يكون الشيعة مع الشرع، وليس بالضرورة أيضاً أن تكون السنة مع الشرع، فقد يكون للسنة رأي لأنها حزب سياسي قائم بذاته بغض النظر عن حسن أو سوء تنظيم هذا الحزب.

وقد يكون للشيعة أيضاً رأي، لأنها حزب قائم بذاته بغض النظر عن حسن سمعة هذا الحزب أو سوئها، وبغض النظر عن كونها حكم أو معارضة.

ولكن المؤكد أن للشرع حكماً في كل قضية، لأنه تبيان لكل شيء. ومن المدهش حقاً أنه لا يوجد في الإسلام، أو بتعبير أدق، لا يوجد في النظام السياسي الإسلامي إلا حزب واحد هو حزب الله، كما سنوضح.

فهذا يعني أن أحدهما على خطأ، إما السنة وإما الشيعة، وربما كان الإثنان على خطأ، السنة والشيعة، وربما مزج كل واحد من الحزبين السنة والشيعة قليلاً من الحق مع قليل من الباطل فأصبح المزيج (لا حق ولا باطل). فبأي ميزان نزن الحزبين؟ وما هو الحكم بينهما؟.

إنـه لا حكم إلا للشرع، فهـو الـوحيـد الثـابت، وهـو الوحيد الذي تكفل الله بحفظه، توزن الآراء بميزان الشرع، فما صوّبه الشرع فهو صواب وما خطأه الشرع فهو خاطىء، فقـد يصيب أعـرابي ويخطىء عمـر، وقـد تعلم امـرأة ويجهـل عمـر، وقد يهتدي للحق زنجي أو أعجمي ويضل قرشي. فالله يؤتي فضله من يشاء.

١ - موقف حزب الشيعة من تسمية الإمام أو ترشيحه (ولاية العهد)[1]:

يقول أهل الشيعة أن الله تبارك وتعالى هو الذي اختار محمداً ﷺ نبياً ورسولاً، وسمـاه إمـاماً ورئيساً للدولة بعد قيامها، وأنه تعالى قد رعى محمداً وعصمه وأكمل له دينه، وأتم عليه نعمته، وأن هذا الدين قد بيّن كل شيء.

ويقولون أيضاً أن الرسول ﷺ قد سمى خليفته وولي عهده حال حياته بأمر من ربه وأعده ورباه وصنع على عين الله وعينه وهو علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، وقـد أعلن الـرسـول هذه التسميـة بأكثـر من مناسبة، وطوال حياته وهو يعد ولي عهده وخليفته لذلك.

ويقولون أن القرآن الكريم والسنة المطهرة زاخران بالنصوص الشرعية القاطعة التي تؤيد ذلك. ويقولون أيضاً أن الأئمة الشرعيين بلغوا لحد الآن اثنى عشر إماماً، وهم:

١ - علي بن أبي طالب.
٢ - الحسن بن علي.
٣ - الحسين بن علي.
٤ - زين العابدين.
٥ - ابنه محمد الباقر.
٦ - ابنه جعفر الصادق.
٧ - ابنه موسى الكاظم.
٨ - ابنه علي الرضا.
٩ - ابنه محمد الجواد.
١٠- ابنه علي الهادي.
١١- ابنه الحسـن العسكري.
١٢- ابنه محمد بن الحسن المهدي.

ويقولون أن كل إمام يعين بنص من سبقه (بنص كل واحد على من بعده). ولم تبـايعهم الأمـة على الـرغم من أنهم الأئمـة الشرعيون، ولذلك لم يتمكنوا من رئاسة الـدولـة ومن ممـارسـة واجبات الإمامة الدنيوية لعدم مبايعة الأمة لهم، ولأنهم والأمة غلبوا على أمرهم.

---

(١) راجع أعيان الشيعة للمجتهد الاكبر محسن الأمين جـ١ قسم ١ ص ٦-٧.

ويقولون أن الإمام الثاني عشر موجود ولآخر زمان التكليف منذ ولادته سنة ٢٥٦هـ، لأن كل زمان لا بد فيه من إمام معصوم لعموم الأدلة.

وسبب اختفاء هذا الإمام هو لمصلحة استأثر الله بعلمها أو لكثرة العدد وقلة الناصر.

— كمال الأئمة:

ويقولون أن من يخلف الرسول معصوم من الله تعالى، والعصمة لا يطلع عليها إلا الله تعالى، وعصمة الإمام ضرورية، لأنه لو كان غير ذلك لم يؤمن من اتباع الهوى خاصة وأنه معلم الأمة ما يجهلونه من أحكام الشرع وصدور الذنب منه يؤدي لعدم الوثوق بأقواله، وذلك ينافي الغرض المطلوب من إمامته. فالدليل الدال على عصمة الرسول دال على عصمة خليفته، لأنه القائم مقامه في حفظ الشرع وتأديته إلى الأمة. وقد أمدّ الله الأئمة بفيض من القابليات والاستعدادات والكمالات النفسية[1].

وقد ثبت ـ لي بالسنة المطهرة ـ أن علياً معصوم من الله. فهو مع الحق والحق معه يدور حيث دار، وهو مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا الحوض على رسول الله ﷺ، وسأوثق ذلك وأثبته عند بيان حكم الشرع من التسمية.

٢ ـ موقف أهل السنة من تسمية الإمام أو ترشيحه (ولاية العهد):

امتزج الواقع التاريخي عند أهل السنة بالدين، فأصبح جرح هذا الواقع أو خدشه جرحاً للدين نفسه. بل والأهم من ذلك، أن هذا الواقع التاريخي الذي حدث خاصة عهد الخلفاء الراشدين، أصبح في نظر أهل السنة عملياً جزء من النظام السياسي الإسلامي يقتدى كسوابق تاريخية ودستورية ويقاس عليه ولا يسمح إلا بتمجيده عند أهل السنة.

---

(١) راجع النافع يوم ال حشر في شرح الباب الحادي عشر للطوسي ص٥٢ وراجع عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الائمة حسين يوسف مكي العاملي ص١٢-٢٣ راجع أعيان الشيعة للمجتهد الأكبر محسن الأمين جـ١ ق٢ ص٦ و٧ وراجع النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للطوسي ص١٥٢ وراجع عقيدة الشيعة في الامام الصادق وسائر الائمة لحسين يوسف مكي العاملي ص١٢ و١٣.

ومن الطبيعي والحالة تلك، أن يكافح أهل السنة وأن يتذرعوا بكل وسيلة ممكنة لاثبات ملاءمة هذا الواقع التاريخي للشريعة الإسلامية وانطباقه عليها. لأن هذا الواقع التاريخي خاصة الصدر الأول من عهد الخلفاء الراشدين في نظر أهل السنة هو المثال وانهياره في رأيهم يعني انهيار الإسلام كنظام وانهيار صلاحيته للحياة السياسية.

ولعمري لقد أخطأوا باجتهادهم، فالإسلام كنظام ميزان تقاس به الأفعال ويقاس به الرجال، والرجال يقاسون بالحق ولا يقاس الحق بالرجال، فمن أصاب فلنفسه، ومن ضل فعليها.

نظريات أهل السنة بموضوع تسمية الإمام أو ترشيحه

١ - نظرية الصلاة:

يحتج كثير من علماء أهل السنة بأن الرسول ﷺ قد سمى خليفته ضمناً، وعيّن ولي عهده ضمناً، لأنه كلفه بوساطة زوجته وابنة الخليفة وهي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهما بأن يؤم الناس في الصلاة أثناء مرضه. وبما أنه قد أمّ الناس بالصلاة فعلاً، وبما أن الصلاة عماد الدين، فكأن الرسول ﷺ قد كلفه بالإمامة الكبرى أو إمارة المؤمنين[1].

— النظرية في الميزان العلمي:

١ - كان سالم مولى ابن حذيفة يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء[2]، وكان عتاب بن أسيد إمام مكة[3].

٢ - في غزوة ذات السلاسل كان عمرو بن العاص يؤم المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بكر وعمر وكان أميرهم[4].

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ٣ ص١٧٨ و ص٦ من الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري.

(٢) راجع شرح النهج لابن ابي الحديد جـ٢ ص٢٦٤ ونقلها عن الجوهري.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ٣ ص٨٧ و٨٨ السيره الحلبية جـ٢ ص٢٣ الخلفاء الراشدين مجلد ٤ طه حسين ص٢٣٢.

(٤) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص١٢٦.

(٥) وتلك حقيقة ذكرها اكثر المؤرخين.

٣ ـ وأثناء مرض عمر بن الخطاب كان صهيب الرومي يؤم المسلمين بما فيهم التسعة المبشرين في الجنة(١).

ألا يستطيع هؤلاء كلهم بناء على ذلك أن يطالبوا بإمارة المسلمين تحت شعار أنهم أمّوا الناس في الصلاة والصلاة عماد الدين؟. ثم إن صح التكليف فإنه كان أثناء مرض الرسول وقد حيل بين الرسول وكتابة وصيته التي وصفها الرسول بأنها تشكل تأميناً ضد الضلالة. وحجة الذين عارضوه في كتابة وصيته أن المرض قد اشتد به في ألطف أقوالهم ولا حاجة لهم بوصية الرسول لأن عندهم القرآن. فإذا كان مرض الرسول يمنعه من التصرف فماذا يقولون لو قال شخص أن أمر الرسول لأبي بكر بالصلاة كان أثناء المرض وقد منعتموه من كتابة وصيته لأنه مريض فكيف تجوزون أمره لأبي بكر بالصلاة مع أنه مريض؟.

وفكرة منع الرسول بأبي هو وأمي من كتابة وصيته حقيقة لا يمكن لأحد انكارها(٢). وحسب اجتهادهم أن الرسول ﷺ «حاشا له» قد هجر، وبكلامهم الملطف قد اشتد به الوجع. مع أن الرسول يؤكد أن الوحي أكثر ما كان يأتيه وهو مريض(٣). وإلى إمامة أبي بكر بالصلاة استند حقه بالخلافة(٤).

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٢٤ مثلاً.

(٢) راجع كتاب المرضى من صحيح البخاري وراجع ص٢٢ جـ١ من بخاري وراجع ص٣٢٥ جـ١ من مسند الامام أحمد وراجع كتاب السقيفه للجوهر وراجع ص٢٠ مجلد ٣ من شرح النهج لعلامة المعتزلة الحديدي وراجع ص١٨٨ جـ٢ من صحيح بخاري و ص٣٥٥ جـ١ ن مسند الامام احمد وراجع ص٢٢٢ جـ١ من صحيح مسلم وراجع الطبراني ص١٣٨ جـ١ من كنز العمال وراجع طبقات بن سعد جـ٢ ص٢٤٢ـ٢٤٥ وراجع ص١١٤ مجلد ٢ من الشرح الحديدي سطر ٢٧ وراجع تاريخ بغداد لابي الفضل أحمد بن أبي طاهر و ص٣٩٧ مجلد ٣ من شرح النهج وراجع ص٣٦٤ جـ٣ من الطبقات.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج٢ ص١٩٣.

(٤) انظر الحديث ١٤١١٦ من الكنز جـ٥ ص٦٣٤ والحديث ١٤١٣٤ جـ٥ ص٦٤٥ والحديث ١٤١٣٢ جـ٥ ص٦٤٤ من الكنز.

٢ ـ نظرية الصحبة والوزارة[١]:

ويدعم أهل السنة النظرية الأولى فيقولون أن الرسول ﷺ قد اختار أبا بكر للامامة بالصلاة لأنه صاحبه ووزيره ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾[١]، ويستدلون على ذلك بالحديث القائل: إن وزيريه ﷺ من أهل الأرض أبو بكر وعمر[١].

— النظرية في الميزان العلمي:

من المسلم فيه أن الرسول قد اصطحب أبا بكر معه بهجرته بناء على طلب أبي بكر وأنه قد صحبهما ابن اريقط الدليل المشرك المؤتمن. ماذا يكون الموقف لو أن دليلهما المشرك والذي أسلم فيما بعد طالب بالخلافة لأنه صحب الرسول في هجرته؟.

وكيف لا يطالب بالخلافة من نام في فراشه ليوهم المشركين الذين التفوا حول دار محمد أن النائم محمد ليفديه بنفسه فيقتلوه نيابة عن النبي[٢]؟.

وكيف نفسر النص الشرعي القائل: (هذا أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة)، وهذا الصديق الأكبر وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل وهذا يعسوب المؤمنين[٣].

وكيف نفسر النص الشرعي القائل: (أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة، وأنت أخي وأبو ولدي ومني وإليّ)[٤].

ثم كيف نفسر النصوص الشرعية القاطعة بولاية علي؟، كما سنثبت ذلك بعد قليل.

أما من حيث الوزارة، فحقيقة أن أبا بكر رضي الله عنه، كان واحداً من وزراء الرسول، ولكن أبا بكر نفسه يفرق بين منصب الإمارة ومنصب الوزارة. أنظر إلى قوله للأنصار في سقيفة بني ساعدة (نحن الأمراء وأنتم الوزراء)[٥].

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٦ و ص ١٧٨ جـ٣ من الطبقات.

(٢) اخرجه اصحاب السنن في مسانيدهم وذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسيره جـ٢ ص١٨٩.

(٣) اخرجه الطبراني في الكبير واخرجه البيهقي في سننه وابن عدي في الكامل وهو الحديث ٢٦٠٨ من احاديث الكنز ص١٥٦ جـ٦.

(٤) راجع الحديث رقم ٦١٠٥ من احاديث الكنز جـ٦ ص٤٠٢

(٥) راجع ص ١٩٨ جـ٣ من تاريخ الطبري وراجع ص ٧ من الامامة والسياسة لابن قتيبة.

فالـوزيـر، حسب مفهـوم أبي بكـر نفسه، يأتي بمرحلة تالية بعد الأمير. ثم إن هنـالـك أعداداً كبيرة من الوزراء، انظر إلى جواب زيد بن ثابت لخطيب تميم (نحن أنصار الله ووزراء رسول الله).[1]

٣ ـ الـقــرابـــة:

لقـد ركـز أهـل السنـة على نظرية القرابة، وأخذوا الأمر من الأنصار لأنهم أهل الـرسـول وعشيـرته، ولأن العرب تأبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم. وقد قال عمـر رضي الله عنـه: (من ينـازعنـا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته)؟، ولكن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونبيها من غيركم، والعرب لا ينبغي أن تولي الأمر إلا من كانت النبوة فيهم... من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم)[2].

— النظرية في الميزان العلمي:

محمد ﷺ من بني هاشم، وأبو بكر من بني تَيْم، وعمر من بني عدي، تلك حقـائق وأبـو عبيـدة من بني الحارث، فما هي علاقة بني هاشم بهذه البطون الثلاثة؟ إنه لم يكن لهذه البطون أي منصب من مناصب الشرف في الجاهلية، ولا تعتبر هذه البطون من نواصي قريش[3].

ثم أن عدي وتيم لم يحـاصـرا في شعـاب أبي طالب، بل كانـوا من الـذين حاصروا بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنوات في الشعب[4].

ثم أن الله بنص الشرع قدم هاشماً وأخرهم ورفع هاشماً ووضعهم[5].

(١) راجع نظام الحكم لظافر القاسمي.

(٢) راجع تارخ الطبري جـ٣ ص٢٠٩ وراجع الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ص٧ و٨.

(٣) راجـع الطبقـات لابن سعـد جـ١ ص٢٠-٢٥ وراجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٨٠ والسيره الحلبيةجـ١ ص٥٠ وجـ١ من الطبقات وص١٧٩ جـ٢ ن تاريخ الطبري وجـ١ ص٨٠ من الطبقات وجـ١ ص٤ من السيرة الجلية وجـ٢ ص١٧٧ من تاريخ الطبري وجـ١ ص٨٣ و٨٤ و٨٥ من السيره الجلية وص٢٧.

(٤) راجع الطبقات جـ١ ص٢٠٩ وص٣٣٦-٣٣٨ من السيرة الجلية وص٤٤٣-٤٤٥ جـ٢ من تاريخ الطبري.

(٥) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠-٢١.

وباختصار، فإذا كانوا أقرباء الرسول ﷺ فهل حوصروا في شعاب أبي طالب؟

قال عمر للأنصار: (إن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونبيها من غيركم وليس تمنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم[1].

٤ - نظرية كبر السن والخبرة بالأنساب:

ويستعين أهل السنة بكل شيء لتبرير الواقع. فقد قالوا أن أولى الناس وأحقهم بالخلافة من بعد الرسول ﷺ هو أبوبكر الصديق، لكبر سنه وعلمه بالأنساب، كما ذكر ذلك العقاد في كتابه «عبقرية الصديق».

— النظرية في الميزان العلمي:

هنالك أنبياء أوحى الله إليهم وهم غلمه كيوسف وعيسى ويحيى، واختارهم الله للنبوة وهم كذلك. ثم أن هنالك من ولد قبل النبي ﷺ نفسه.

أما علم أبي بكر بالأنساب فكان سلاحاً بيد المسلمين ولا ينكر كغيره من الأسلحة كعلم علي في مجال الحرب.

٥ - نظرية الافتراض:

وتستند هذه النظرية إلى قول عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت: (لو أن الرسول استخلف من يستخلف؟، فقالت: لو أن الرسول استخلف لأستخلف أبا بكر ومن بعده عمر ومن بعده أبا عبيدة).

أي أن أم المؤمنين تعرف الرسول وتعرف ماذا ينوي أن يفعل ويلاحظ أن الأمور قد جرت وفق هذا الافتراض. فأبو بكر هو الخليفة الأول، واتخذ عمر ولياً لعهده وسماه خليفة من بعده، وقد صرح عمر بأنه لو كان أبو عبيدة حياً لولاه واستخلفه[2].

---

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد جـ٢ ص٢٦٥ وراجع علي والمسالمون ص١٠٤-١٠٥ حيث نقل رسالة أبي بكر الصديق لابيه ورد الوالد عليها، وراجع شرح النهج للخولي جـ٣ ص٣٩ نقلا عن اجتماع الطبري.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ص١٨١ جـ٣.

راجع الامامة والسياسة ص٢٣ وراجع الكنز جـ٥ ص٦٤٤ الحديث ١٤١٣٢.

— النظرية في الميزان العلمي:

١ ـ أن أم المؤمنين تسلم ضمناً بأن الرسول لم يسم أباها خليفة له، وتسلم ضمناً بأن الرسول عندما كلفها بأن تأمر أباها ليؤم الناس في الصلاة لم يكن يقصد توليته.

٢ ـ والأهم من ذلك أن امرأً خطيراً كهذا الأمر لا يمكن أن يترك للافتراض.

٦ ـ نظرية التخلية:

إن الرسول ﷺ قد خلى على الناس أمرهم ولم يسم أحداً، وتستند هذه النظرية إلى قول عمر: (إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني) يعني أبا بكر عندما استخلفه، وإن ادع فقد ودع من هو خير مني) يعني أن الرسول لم يستخلف[1].

وهذا اعتراف صريح من الفاروق رضي الله عنه كاعتراف السيدة عائشة بأن الرسول ﷺ قد خلى على الناس أمرهم ولم يسم خليفة له وبالتالي نسفت كل النظريات السابقة تماماً.

— النظرية في الميزان العلمي[2]:

(ولكم في رسول الله أسوة حسنة). فإذا كان الرسول ﷺ قد خلى على الناس أمرهم، فلماذا لا يقتدى به سيدنا أبو بكر ويخلي على الناس أمرهم؟. ولماذا لم يفعل عمر ما فعل رسول الله ﷺ؟.

٧ ـ نظرية الشورى:

ومن أقوال أهل السنة ونظرياتهم بأن الخليفة يسمى عن طريق الشورى، كما حدث في سقيفة بني ساعدة، فأبو بكر كمسلم سمى عمر أو أبا عبيدة، ولكن عمر رفض تسمية أبي بكر وسمى أبا بكر ثم بايعه الناس[3].

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٢٣ وراجع الكنز جـ٥ ص٦٥٣ الحديث ١٤١٤٣ وراجع الكنز جـ٥ ص٦٥٢ الحديث ١٤١٤٠ وراجع جـ٥ ص٦٤٥ من الكنز الحديث ١٤١٣٤ وراجع جـ٥ ص٦٤٩، الحديث ١٤١٣٧.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص٦ وراجع تاريخ الطبري جـ٣ ص١٩٩.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص٥ وما فوق وراجع ص١٩٩ جـ٣ من تاريخ الطبري.

— **النظرية في الميزان العلمي:**

١ ـ هنـالـك اجماع بأنه لم يحضر من المهاجرين سوى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة، وأن بقية أهل الشورى كانوا غيبا[١].

٢ ـ وهنـالـك اجمـاع أيضـاً بأن الخزرج بزعامة سعد بن عبادة عارضوا بشدة مبايعة أبي بكـر، وهـدد زعيمهم سعد بن عبادة بالقتل بل صدر أمر بقتله[٢]. ولكنه لم يقتل حينذاك لأسباب أمنية وقتل فيما بعد في زمن عمر بن الخطاب غيلة، وقيل أن الجن قد قتلت سعد بن عبادة[٣].

٣ ـ أن الثـلاثـة الـذين حضروا اجتماع السقيفة أحدهم أصبح خليفة والآخر أصبح ولياً لعهده والثالث أصبح الخليفة الثالث المرتقب وأحد نواب الخليفة، بدليل أن أبا بكر اختار عمر خليفة له، أو على الأقل سماه خليفة من بعده وبدليل أن عمـر قد قال لو كان أبـو عبيـدة حيـاً لوليتـه واستخلفته، وهناك اجماع على هذه الحقائق بغض النظر عن الأسلوب[٤].

٤ ـ ثم طريقة البيعة فقد خرج أبو بكر كأمير من السقيفة، وخرج عمر كنائب للأمير، وخـرج الـذين بايعـوه كجيش منظم للأميـر ووجـدوا النـاس مجتمعين في المسجـد، وصـاح بهم عمـر كنـائب للأميـر: (مـالي أراكم حلقاً شتى، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الأنصار)[٥]. فليس أمام الناس إلا أن يبايعوا، ماذا يكون مصير من يعارض أو يمتنع عن البيعة؟ ألم يصدر الأمر بقتل سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج[٦]؟، وقتل بالفعل فيما بعد ونسب قتله إلى الجن[٧].

ألم يهـدد علي بن أبي طالب بالقتـل إن لم يبـايـع[٨] وهـو ولي الله؟ ألم تهـدد

(١) راجع الامامة والسياسة ص٥ وما فوق وراجع ص١٩٩ جـ٣ من تاريخ الطبري.

(٢) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٢١٠ وراجع ص١٠ من الامامة والسياسة.

(٣) راجع طبقات بن سعد جـ٣ ص٦١٧ وراجع هذا الموضوع مفصلا في جـ٥ ص١٥٩ من شرح النهج لابن ابي الحديد.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص١٣.

(٥) راجع الامامة والسياسة ص١١.

(٦) راجع ص٢١٠ جـ٣ من تاريخ الطبري وراجع ص١٠ من الامامة والسياسة.

(٧) راجع الطبقات لابن سعد جـ٣ ص٦١٧.

(٨) راجع الامامة والسياسة ص١٣.

فاطمة الزهراء بنت محمد بحرق بيتها[1]؟.

ألم يبك علي ويلتحق بقبر النبي صائحاً: (يا ابن أم، إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)[2]. ألم يهدد الحباب بن المنذر بالقتل[3]؟.

من له مثل مكانة علي بن أبي طالب فهو ولي الله، ومع هذا يهدد بالقتل. من له مكانة فاطمة الزهراء أو حرمة كحرمة بيتها فهو جزء من المسجد الشريف، ومع هذا تهدد بحرق بيتها[4].

من يجرؤ على الامتناع عن المبايعة في مثل هذه الظروف، وهل كان هنالك بديل عن المبايعة إلا مواجهة سلطة حقيقية.

يقول علي ابن أبي طالب مخاطباً أبا بكر:

فإن كنت بالقربى حججت خصيمهم ... فغيرك أولى بالنبي وأقرب
وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم ... فكيف بذلك والمشيرون غيب[5]؟

كل هذا يلقي ظلالاً كثيفة من الشك على نظرية الشورى بالمعنى البراق الذي يعرضه علماء السياسة عند أهل السنة. ومع هذا فإن عمر رضي الله عنه يؤكد بأنه لا ينبغي أن تكون خلافة إلا عن شورى[6]. وأن خلافة أبي بكر كانت فلتة[7].

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص١٢-١٣ على سبيل المثال وقد اوردناه مراجع التحريق بأكثر من مناسبة.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص١٣.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص٧ والمراجعات ص٢٩٥.

(٤) راجع بن قتيبة ص١٢-١٣ وراجع تاريخ الطبري في موضعين من احداث السنة الحادية عشر جـ٣ من تاريخه، وابن عبدربه المالكي في حديث السقيفة جـ٢ من العقد الفريد وأبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة، وراجع ص١٣٤، مجلد١ من شرح النهج الحديدي، والمسعودي في مروج الذهب نقلاً عن عروة بن الزبير في مقام الاعتذار عن اخيه اذ هم بتحريق بيوت بني هاشم والشهرستاني نقلاً عن النظام عن ذكر الفرق النظامية من كتاب الملل والنحل، وراجع قصيدة حافظ ابراهيم في ديوانه المطبوع ٨٢/١ وراجع كتاب المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص٢٩٥.

(٥) ذكر هذين البيتين بن أبي الحديد راجع ص٣١٩ مجلد ٤ من النهج الحديدي.

(٦) كنز العمال جـ٥ ص٦٤٨ الحديث ١٤١٣٦.

(٧) الكنز جـ٥ ص٦٤٩ الحديث ١٤١٣٧.

٨ - نظرية حق الحاكم القائم بتسمية خليفته أو ولي عهده:

أمام النقد الذي تعرضت له النظريات السابقة، ظهرت نظرية جديدة، منسجمة مع الواقع ومفادها (أن رئيس الدولة كائناً من كان هو الذي يسمي خليفته من بعده). والدليل الشرعي عند أهل السنة على ذلك، هو:

١ - ما فعله أبو بكر فقد سمى عمر خليفة له [١].

٢ - ما فعله عمر فقد سمى عثمان خليفة له بغض النظر عن تفصيلات الشورى، فطلحة كان غائباً، فبقي من الستة خمسة، ووصية الخليفة واضحة، وهي أن يفوز الجانب الذي معه عبدالرحمن بن عوف، وعبدالرحمن صهر عثمان رضي الله عنهم. وعثمان قبل قضية الشورى كان موضع سر أبي بكر وعمر، أنظر إلى قول أبي بكر لعثمان عندما كتب له عثمان وصيته (والله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها)[٢].

فضلاً عن ذلك، فإن عثمان كان أول زعيم من زعماء المهاجرين بايع أبا بكر وتبعه قومه بنو أمية [٣].

وكان عثمان يدعي في امارة عمر بالرديف، والرديف بلسان العرب هو الرجل الذي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم[٤].

وفي خلافة بني أمية، كان رئيس الدولة هو الذي يسمي خليفته على الغالب أو كان الخليفة هو الغالب.

وفي خلافة بني العباس وبني عثمان كان الأمر كذلك.

وهذا المبدأ منسجم تماماً مع المبدأ الذي سنه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

---

(١) راجع ص ١٩٩ جـ٣ الطبقات لابن سعد وص ٢٠٠ وراجع ص١٩ من الامامة والسياسة لابن قتيبة وراجع ص٥٢-٥٣ جـ٤ من تاريخ الطبري.

(٢) راجع ص ٢٣ من الامامة والسياسة وما فوق وص٦١ جـ٣ من الطبقات وراجع ص٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي وتاريخ بن خلدون جـ٢ ص٨٥.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص١١.

(٤) راجع نظام الحكم لظافر القاسمي نقلها عن الطبري ص١٩٧-١٩٨ وراجع جـ٥ ص٢٣٧.

والفرق أن أبا بكر وعمر كانا يتوخيان أن لا يسندا هذا الأمر لقريب لهما. بينما كانت الأمور فيما بعد عكس ذلك. وكان ما يعني الخليفة عمر بالدرجة الأولى أن يترجم الارادة الشعبية التي ترفض أن يجمع بنو هاشم النبوة مع الملك. ونفس المبررات تقريباً. أنظر إلى قول عائشة أم المؤمنين لعمر: استخلف عليهم قبل موتك ولا تدعهم بعدك هملا[1].

وقد جرت العادة فيما بعد أن يسمي رئيس الدولة الحالي خليفته ويرشحه للأمة. وقد صور هذا الأمر كأنه حق للخليفة القائم، وقد فهم كثير من العلماء ومنهم ابن خلدون: (أن الشرع قد أعطى الإمام القائم «الفعلي» الحق بأن يعين خليفة من بعده واستدل على ذلك بما فعله أبو بكر وعمر، فقال: «إن الإمام ينظر للناس في حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته ويقيم لهم من يتولى أمورهم»)[2].

وربما كان ذلك حرصاً على وحدة المسلمين ومصلحتهم وهروباً من الفتنة وحتى لا تبقى أمة محمد هملا بغير راع على حد تعبير السيدة عائشة أم المؤمنين.

ويبدو أن الإمام الوحيد برأي أهل السنة الذي لم يسم خليفة له ولم يتخذ ولياً لعهده هو رسول الله ﷺ. فهو بالمفهوم عند ابن خلدون: أنه ينظر للناس عند حياته وتبع ذلك أن لا ينظر لهم بعد وفاته. بعكس بقية الخلفاء، ينظر الخليفة للناس عند حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته.

لكنهم نسوا أو تناسوا أنه عندما أراد الرسول ﷺ أن يوصي حتى لا يضلوا بعده، حالوا بينه وبين ذلك تحت شعار أن المرض قد اشتد به[3].

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص ٢٣.

(٢) راجع مقدمة بن خلدون ص١٧٧.

(٣) راجع كتاب المرضي من صحيح بخاري وراجع ص٢٢ جـ١ من صحيح بخاري وراجع ص٣٢٥ جـ١ من مسند الامام أحمد وراجع كتاب السقيفة للجوهري و ص ٢٠ مجلد ٣ من شرح النهج لابن ابي الحديد و ص١٨٨ جـ٢ من صحيح بخاري و ص٣٥٥ جـ١ من مسند الامام أحمد و ص٢٢٢ جـ١ من صحيح مسلم وراجع الطبراني و ص١٣٨ جـ١ من كنز العمال وراجع طبقات بن سعد جـ٢ ص٢٤٢-٢٤٥ وراجع ص١١٤ جـ٢ من شرح النهج السطر ٢٧ وتاريخ بغداد لابي الفضل احمد بن ابي طاهر و ص٣٩٧ مجلد ٣ من الشرح وراجع ص٣٦٤ جـ٣ من الطبقات مع ان الرسول اكثر ما كان يأتيه الوحي وهو مريض جـ٢ ص١٩٣ من الطبقات

والخلاصة، أن بعض الصحابة الكرام اكتشفوا بعد طول معاناة أن الوصية والتسمية أفضل لمصلحة المسلمين.

٣ - تحليل موقفي أهل الشيعة وأهل السنة من تسمية الإمام:

بعد تقليب الأمر على وجوهه، اكتشف أهل السنة أن الحل العملي الوحيد هو أن يسمى رئيس الدولة قبل وفاته من يخلفه، وتقوم الأمة عند خلوّ منصب الخلافة بمبايعة الرجل الذي سماه الخليفة.

وحقيقة، فإن فكرة موت رئيس الدولة القائم دون أن يعين نظامها السياسي أو يخول رئيسها بتسمية من يخلفه فكرة ليست عملية وليست معقولة أبداً، ويترفع الشارع الوضعي عن السقوط فيها، فلا يوجد في الدساتير المعاصرة ولا حتى في الأنظمة السياسية البائدة ما يؤيدها أبداً.

فعادة دستور الدولة أو رئيسها هو الذي يسمي سلفاً الشخص الذي يتولى رئاسة الدولة في حالة خلو منصب الرئاسة لأي سبب أو عند اللزوم، يصف هذا الشخص سواء أكان شخصاً طبيعياً أو اعتبارياً ليقوم بادارة دفة الدولة وتصريف أمورها ريثما ينتخب أو يعين رئيس جديد.

تلك حقيقة لا يملك عاقل أن يجادل بها. لأن البديل الآخر هو الشر، وتعريض وحدة الأمة للخطر، ووضع مستقبل الدولة في مهب الرياح ولعل هذه العواقب هي التي قادت الخليفة عمر إلى القول (بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها).

والأهم من ذلك، أن الشريعة الإسلامية شريعة سماوية، وقد بينت كل شيء أجمله القرآن الكريم أو فصله، وبينه الرسول ودعّمه، وخلو الدين من هذا الأمر الجوهري يناقض كمال الدين وتمام النعمة، خاصة وأن الرسول قد خير واختار الموت ومرض قبل الموت، وعرف أنه ميت في مرضه ذاك. وأن الله قد قذف في قلبه محبة هذه الأمة وجعله بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وأطلعه على مستقبل هذه الأمة، فهل من الممكن عقلاً أن يموت الرسول دون أن يسمي للناس من يخلفه؟.

هذا أمر غير وارد قطعاً تدحضه النصوص الشرعية القاطعة وتكذبه، بالرغم من احترامنا للواقع التاريخي الذي ساد.

فأهل السنة تشبثوا بكل شيء ليبرروا الواقع الذي حدث، تشبثوا بالنص، وعندما خذلهم النص تشبثوا بالافتراض، وعندما انهار الافتراض تشبثوا بالشورى، وعندما انهارت الشورى تشبثوا بالرأفة بالمسلمين والحرص على وحدتهم ومستقبلهم حتى لا يتركوا هملا وبلا راع.

واستقروا بعد طول ترحال على مبدأ أن الإمام القائم أو الخليفة القائم هو الذي يسمي من بعده خليفته، أي يرشحه للخلافه.

— الوحدة بين الموقفين من حيث التسمية:

١ - أهل السنة استقروا أخيراً على أن الخليفة القائم هو الذي يسمي من بعده من يخلفه. وأهل الشيعة يقولون أن كل إمام يعين بنص من سبقه عليه.

٢ - أهل السنة يقولون، ولو نظرياً، أن الإمام لا يصبح إماماً إذا لم تبايعه الأمة وبالتالي لا يتمكن من ممارسة مهام رئاسة الدولة ولذلك يحرصون بأي وسيلة على أن تتم البيعة ولو بالإكراه. وأهل الشيعة يقولون أن الإمام مسمى حقيقة وبالطريقة الشرعية ولكنه لا يستطيع أن يمارس مهام رئاسة الدولة إذا لم تبايعه الأمة.

وهكذا، من الناحية العملية نلتقي السنة مع الشيعة.

— الفارق الدقيق بين الموقفين من حيث التسمية:

١ - أهل الشيعة يقولون أن محمداً ﷺ قد عين خليفته، ومحمد معصوم، فمن الطبيعي أن الرسول لن يخطىء باختيار خليفته لأن الله هو الذي أمره بالاختيار، فمن الطبيعي والحالة تلك أن يكون الخليفة معصوم لأن الله هو الذي أمر باختياره، وأنه قد أعد وصنع على عين الله وعين رسوله. والنصوص الشرعية بالفعل تؤكد تلك الحقيقة (علي مع الحق والحق مع علي)، (علي مع القرآن والقرآن مع علي)...

ومن المؤكد أن هذا الخليفة المعصوم وهو علي، سيسمي خليفة من بعده يرضي الله ومن أهل البيت الطاهر، لأنهم اعدال الكتاب ومن يتمسك بهم لن يضل، وهم حبل الله المتين. والهدى الحقيقي لا يدرك إلا بهم. وهذا تؤكده النصوص الشرعية القاطعة.

والحقيقة، أن الخليفة قائم مقام الرسول ﷺ، والمبين للناس ما جهلوا من أحكام دينهم، ويجب أن تتوفر فيه صفات معينة وبالتالي لا ينبغي أن يترك أمر تسمية الخليفة للناس.

٢ ـ لو سلموا بذلك، لما كان هنالك أي أساس شرعي لحكمهم. ولكنهم اجتهدوا وكرهوا أن يجمع بنو هاشم مع النبوة الملك، وسيطرت دولتهم، وصيغ التاريخ الرسمي تحت اشرافها وعرض رأي المعارضة من خلالها فجاء مشوهاً. ومع الأيام، استقرت الأوضاع وصورت المعارضة على أنها مشركة أو كافرة لأنها تخدش الصحابة الكرام، وبالتالي اضيفت حجج كثيرة مثل الفتنة نائمة ولعن الله من أيقظها، ووحدة المسلمين أهم من أي شيء، ثم أخذ أهل السنة يصفقون لمن غلب، وتلك نظرية تعود بجذورها إلى قول عبدالله بن عمر يوم الحرة (نحن مع من غلب).

ولو آمن أهل السنة بالشرع كله، وأنزلوا أهل البيت بالمنزلة التي أنزلها لهم الشرع بأنهم أعدال الكتاب، وأن الله أذهب عنهم الرجس، وأنهم لهذه الأمة كسفينة نوح، وأن الهدى لن يدرك إلا بهم، وأن الله رفعهم ووضع سواهم، وقدمهم وأخّر سواهم، كما تدل على ذلك النصوص الشرعية القاطعة لو آمن أهل السنة بذلك، لتوحدت الأمة ولألقى الإسلام أجرانه في الأرض عزاً وتمكيناً. ولكن لا أحد يعرف سر العداء بين أهل السنة وبين أهل البيت الطاهر.

يحوقل أهل السنة عندما يسمعون ذلك، ويستثقلون هذا القول ويصيحون بالتأييد لبني هاشم وأهل البيت الكرام. لكنهم عملياً أخروهم وقدموا سواهم ووضعوهم ورفعوا غيرهم، بعكس أمر الله.

لقد بشر الحسن والحسين بالجنة قبل أن يبشر المبشرون في الجنة، وأعلنت سيادتهما على شباب أهل الجنة. ومع هذا، يسمّ الحسن ويقتل الحسين وهو عطشان وينكل به، بالوقت الذي يصلون فيه على النبي وآله. وما فعل بعلي أمرّ وأنكى، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٤ - ولاية العهد وصلاحية الخليفة بتعيين ولي عهده:

وهكذا، نرى أن التسمية ليست إلا إعلاناً لولاية العهد، فالشيعة ومعهم الشرع والمنطق يقولون أن رسول الله سمى خليفته وولي عهده وهو علي بن أبي طالب، ولكن الناس تظاهروا عليه وبايعوا غيره رهبة أو رغبة، وأن الرسول ﷺ لم يترك المدينة قط إلا وقد استخلف عليها(١)، أفحين يتركها بأبي هو وأمي بغير رجعة يترك أمته دون خليفة، وتقول الشيعة أن الخليفة الذي سماه الرسول بناءً على أمر ربه هو علي وكل إمام يسمى بنص من سبقه عليه(١١)

واقتنع أهل السنة أخيراً أن هذا هو الحل الأمثل، فهذا أبو بكر قد عهد لعمر وهو على فراش الموت(٢). وأن أبا بكر قد قال لعثمان عندما كتب وصيته (لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها)، يعني الخلافة(٣).

ثم هذا هو عمر، وهو على فراش الموت، يفكر بأمر المسلمين ويتأوه ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة، ويبحث عن الرجل الذي يستطيع أن يقوم مقامه، فيقول: (لو كان أبو عبيدة حياً لوليته واستخلفته، ولو أدركت خالداً استخلفته ووليته، ولو أدركت سالم مولى أبي حذيفة لاستخلفته)(٤).

ومعنى هذا، أن سالم مولى أبي حذيفة لو كان حياً لكان بامكانه أن يتسلم الخلافة، مع أن سالم ليس قريشياً ولا يعرف له نسب في العرب، ومع هذا كان يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء كما يروي البخاري.

وبالمناسبة نتساءل إذا كانت خلافة سالم جائزة وهو الذي لم يعرف له نسب في العرب، فكيف لا تكون جائزة خلافة الأنصار؟ أليس الأنصار أقرب عرقياً لرسول

(١) راجع على سبيل المثال طبقات بن سعد جـ ٢ ص٨ و٩ و٢٧ و٢٩ و٣١ و٣٤ و٣٦ و٤٩ و٥٨ و٥٩ و٦١ و٦٢ و٦٣ و٦٤.

(١١) راجع اعيان الشيعة جـ١ ص٦-٧ والنافع يوم الحشر للطوسي ص٥ وعقيدة الشيعة للعاملي ص١٢-١٣.

(٢) راجع الامامة والسياسة تولية عثمان.

(٣) راجع ص٤٢٩ جـ٣ من تاريخ الطبري وص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي وص٥٨ جـ٢ من تاريخ ابن خلدون.

(٤) راجع مرض عمر وموته في تاريخ الطبري، وفي طبقات بن سعد وراجع ص١٥ وما فوق من الامامة والسياسة.

الله؟ ثم ألم يحتج الثلاثة الذين حضروا السقيفة بأنهم أولى من الأنصار لأنهم أهل النبي وعشيرته[1]، ثم ماذا تبقى من القاعدة الشرعية القائلة (الأئمة من قريش)؟. ثم كيف أن معاذ بن جبل من الأنصار وكان لا يجوز تولية الأنصار يوم السقيفة، فكيف جازت فكرة تولية معاذ فيما بعد؟. ثم أن خالد بن الوليد قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أسلم، وعلي قاتل مع الإسلام بكل فنون القتال، فبأي مبدأ يقدم خالد على علي؟!.

وقيل لعمر استخلف عبدالله بن عمر ورفض عمر ذلك لسبب بسيط جداً، وهو أن عبدالله بن عمر عجز عن طلاق امرأته كما قال عمر[2]. وتصور أن عمر فكر أخيراً بأن يعهد بالخلافة لعلي، ولكن رهقته غشيه[3].

ألم تر أن صلاحيات الخليفة القائم بتسمية ولي العهد أو الإمام الجديد في نظر أهل السنة شبه مطلقة؟.

لو كان سالم موجوداً وهو من الموالي لعينه عمر خليفة، لو كان معاذ بن جبل وهو من الأنصار وحسب حجة المهاجرين الثلاثة لا يجوز للأنصار أن يتولوا الخلافة لأنهم ليسوا أهل الرسول ﷺ، كان بإمكان عمر أن يختار ابنه عبدالله لولا أنه عجز عن طلاق زوجته. لو أن أبا عبيدة حياً لاختاره. لو أن خالد بن الوليد حياً لاختاره.

وتصور أنه لولا الغشية التي رهقته لاختار علياً. ألا ترى أن حرية الخليفة مطلقة باختيار خليفته عند أهل السنة، «أي بترشيحه على الأقل».

وأخيراً، وعمر على فراش الموت، يعهد بالخلافة لواحد من ستة اختارهم. ومن يدقق في وصية عمر يكتشف بأقل جهد ممكن أنه قد عهد بالخلافة لعثمان[4].

دقق في كل المصادر التي روت عهد عمر تجد أنه بالمآل سيكون الخليفة عثمان حسب وصية عمر، فعثمان وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص في شقه، وعلي والزبير في جانب آخر، وطلحة غائب، وعمر صريح جداً، فقد أوصى:

(١) راجع عمر تولية ابي في الامامة والسياسة ص٥ وما فوق وتوليته في تاريخ الطبري ثم راجع جـ١ ص١٩ و٢٠ من الطبقات وراجع ص١٩٧ جـ٣ من تاريخ الطبري وص٢٥٠ وما فوق.

(٢) راجع شرح النهج ص٦٤ جـ١.

(٣) راجع شرح النهج ص٦٤ جـ١

(٤) راجع ص ٣٦٤ جـ٣ من الطبقات وراجع تولية عثمان في الامامة والسياسة على سبيل المثال.

(إذا كانوا ثلاثة ثلاثة، وهذا لن يحدث لأن طلحة غائب فاختاروا الذي في صف عبدالرحمن). فمحكوم حكم إذا أن يكونوا ثلاثة ضد اثنين، ولنفترض جدلاً أن طلحة جاء اثناء فترة المشاورات فشكل مع علي ومع الزبير ثلاثة، فإن عثمان سينجح قطعاً. ثم لنفترض أن عبدالرحمن والأربعة الباقين وقفوا مع علي، فإن علياً لن يفوز بالخلافة لأنه سيرفض شرط عدم تولية أي هاشمي حتى ولو كان ذي قوة وذي أمانة. لأن تعليمات الخليفة عمر واضحة بأن يقطع علي عهداً بأن لا يولي هاشمياً أبداً حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة(1).

وقبل قضية الشورى، كانت الأمور واضحة، فعثمان رضي الله عنه كان موضع سر أبي بكر وعمر: أنظر إلى قول أبي بكر لعثمان عندما عهد لعمر (والله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها) أي أهلاً للخلافة (2).

فضلاً عن ذلك، فقد كان عثمان أول زعيم من زعماء المهاجرين بايع أبا بكر(3). وكان عثمان يدعي في إمارة عمر بالرديف والرديف بلسان العرب الرجل الذي يأتي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم(4).

لذلك تجد علياً يقول لعبد الرحمن بن عوف: حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك(5).

ويجدر بالذكر أن ولاية العهد أصبحت جائزة ومشروعة في نظر علماء أهل السنة بسبب عهد أبي بكر لعمر، وعهد عمر للستة أو عملياً لعثمان، ومن يخالف تعليمات عمر رضي الله عنه تلك فإن مصيره القتل، وأي مناقشة تخرج عن هذا الاطار هي شق لعصا الطاعة واتباع غير سبيل المؤمنين (وتلك أوامر الخليفة القائم)(6).

---

(1) الامامة والسياسة ص٢٧.

(2) راجع سيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧ وتاريخ بن خلدون جـ٢ ص٥٨ مثلا.

(3) راجع الامامة والسياسة ص١١.

(4) راجع نظام الحكم للقاسمي ص١٩٧ـ١٩٨.

(5) راجع الامامة والسياسة ص١١ ونظام الحكم فقد نقلها عن الطبري.

(6) راجع جـ ٢ ص ٣٧٦ من شرح النهج لابن ابي الحديد.

وبعد أن تولى الأمويون رئاسة الدولة، أصبح العهد هو الطريقة المتبعة على الأغلب في تولية الخليفة، وهكذا الحالة في عهد العباسيين والعثمانيين[1]، فإما عهد إلى الولد أو عهد لأحد أفراد الأسرة المالكة[2]. وأصبحت تسمية ولاية العهد أمراً شرعياً، وذلك حرصاً على مصلحة المسلمين. أُنظر إلى قول عائشة: استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا[3].

ثم أُنظر إلى رد عمر عليها، ومن تأمرني أن أستخلف؟ ألا ترى ثانية أن صلاحيات الخليفة مطلقة؟ فلو أمرته أم المؤمنين أن يستخلف شخصاً ما لفعل لسبب بسيط هو أنه وأم المؤمنين يكرهون أن تبقى أمة محمد بلا راعٍ وهملا من بعده ورأفة ورحمة بهذه الأمة.

وأهل السنة، ينكرون بشدة أن يكون الرسول ﷺ قد عهد لأحد وعلى الأخص علي بن أبي طالب[4].

وهكذا ضمناً، يسلم أهل السنة بأن الرسول ﷺ ترك هذه الأمة بلا راعٍ وأراد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أن يتداركا ذلك. مع أن هذا غير وارد.

والمثير للانتباه أن وصية أبي بكر لعمر ووصية عمر لعثمان بالتسمية أو بولاية العهد كانت أثناء مرض أبي بكر وأثناء مرض عمر، وأن المرض قد اشتد بكل واحد منهما حتى أن أبا بكر ذهب في غيبوبة قبل أن يملي على عثمان كلمة عمر، فكتبها عثمان وأبو بكر مغمى عليه[5].

---

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص١٩٧-١٩٨، راجع ولاية العهد في الاحكام السلطانية للماوردي.

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص١٩٧-١٩٨.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص٢٣.

(٤) راجع المقدمة لابن خلدون وراجع ص٦٥٣ جـ٥ من الكنز الحديث ١٤١٤٣.

(٥) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص٤٢٨/٤٢٩ و ص٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي و ص٨٥ جـ٢ من تاريخ ابن خلدون.

والملفت للانتباه أيضاً كيف يؤذن لهما بكتابة الوصية وهما بهذه الحالة، ولا يؤذن لرسول الله ﷺ ويحال دون كتابة وصيته، مع أنها عصمة من الضلال؟، وهذا المنع كان تحت شعار أن الرسول قد اشتد به الوجع(1).

وفي الشرائع الوضعية لا أعلم أن دستوراً مكتوباً أو عرفياً لم ينص على من يتولى السلطات في حالة غياب رئيس الدولة أو موته. أقول هذا على التعميم، حتى أن ريغان رئيس الولايات المتحدة قرر أن يعمل عملية طبية بسيطة يوم ١٣/٧/١٩٨٥، فأبلغ الكونغرس والأمة الأمريكية أنه قد عهد بسلطاته إلى نائبه جورج بوش.

وباختصار، أصبح العهد الطريقة الوحيدة المتبعة، وأن العهد الوحيد الذي لم ينفذه المسلمون هو عهد رسول الله ﷺ.

ونتساءل، لماذا حدثت الردة؟، لماذا عارض الناس؟، لماذا رجت الجزيرة العربية؟، لماذا أصبح المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية؟، لماذا حدثت الفتن؟، لماذا سقط مئات الألوف من القتلى للوصول إلى رئاسة الدولة؟.

أليس لأنهم تجاهلوا عهد الرسول ﷺ ومنعوه من كتابة وصيته إيماناً بالمقولة الخالدة؟، تأبى العرب أن تجمع بنو هاشم النبوة مع الملك(2).

والشرع، تبيان لكل شيء، كيف يكون التغوط شيء والتبول شيء آخر، ويبين الرسول للناس كيف يتبولون وكيف يتغوطون ولا يبين لهم من يخلفه ولا كيف يخلفه؟!.

---

(1) راجع صحيح بخاري جـ١ ص ٢٢ و ص٣٢٥ جـ١ من مسند الامام أحمد وراجع كتاب السقيفة للجوهري و ص٢٠ مجلد ٣ من شرح النهج و ص١٨٨ جـ٢ من صحيح بخاري و ص٣٥٥ جـ١ من مسند الامام أحمد جـ١ من صحيح مسلم وراجع الطبراني وراجع ص١٣٨ جـ١ من كنز العمال وراجع ص١١٤ مجلد ٢ سطر ٢٧ من شرح النهج وراجع الطبقات ص ٢٤٢-٢٤٥ جـ٢ وراجع تاريخ بغداد لابي الفضل أحمد بن أبي الطاهر ص٩٧ مجلد ٣ من شرح النهج وراجع ص١٩٣ جـ٢

(2) راجع ص ٣٤ جـ٣ من تاريخ بن الأثير وراجع ص ١٠٧ مجلد ٣ من شرح النهج و ص١٠٥ مجلد ٣ و ص٢٢٢ من الامامة والسياسة وعمر رضي الله عنه هو واضع الشرط القائل: بأن لا يولي أي هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذي قوة وذي امانة راجع ص٢٢٢ من نظام الحكم كما نقله عن الطبري وراجع نور اليقين في سيرة سيد المرسلين الشيخ محمد الحضري ص١٢١-١٢٢.

ثم لو كانت القضية انتخاباً لفاز أبو سفيان، ولساد بنو أمية، ثم لو كانت القضية شرفاً أسروياً ومكانة قريش لتراجع أبو بكر ولتراجع عمر، ولأفسحوا المجال لأبي طالب ولأبي سفيان. فأبو سفيان له القيادة في الجاهلية، وبنو عبد مناف عامة خير من بني عدي وخير من بني تيم في الجاهلية وفي الإسلام. فقد رفع بنو عبد مناف على غيرهم بالنص الشرعي وقدم هاشماً ووضع هذين البطنين بنص الشرع.

لكن القضية ليست قضية شرف أسروي، ومكانة من قريش البطاح أو قريش الظواهر[1]. لكن القضية قضية دين، وقضية علم الغيب من هو الأصلح؟، ومن الذي تأمن الأمة بوائقه ويأتمنه الشرع على الدين ويأتمنه على اختيار خليفته بالشكل الذي يرضي الله، وبصورة مستمرة.

ألم تر كيف قالوا في السقيفة أنهم أولى بهذا الأمر من الأنصار وبميراث محمد لأن محمداً منهم ولأن العرب تأبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم[2]. وعندما تمت البيعة قالوا لقد بايعنا الناس بالشورى وأن الرسول عندما مات خلى على الناس أمرهم[3].

ثم أنهم لم يخلوا على الناس أمرهم، إنما صار من حق كل خليفة قائم أن يوصي من بعده حتى لا تترك أمة محمد هملا[4].

كيف يحق لرئيس الدولة من بعد النبي أن يوصي بمن يخلفه ولا يحق لمحمد أن يوصي بمن يخلفه... فإن قالوا أنهم يخشون على أمة محمد من أن تبقى بغير راع، فكيف لا يخشى محمد على أمته وهو الأخشى منهم والأبعد نظراً؟، وهو الذي وصفه الله بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم. لماذا لم يسمحوا له أن يوصي وهو مريض؟، وسمحوا لأنفسهم بالوصية وهم على فراش الموت؟.

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠ وراجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٨٠ والسيرة الحلبية جـ١ ص٤ وجـ٢ ص١٧٧ من تاريخ الطبري / راجع نظرية القرابة في معرض تسمية الامام عند أهل السنة.

(٢) راجع حجة المهاجرين الثلاثة في سقيفة بني ساعده في كل المراجع خاصة بالطبري وابن قتيبة ص٥ وما فوق.

(٣) راجع الامامة والسياسة وراجع تسمية الامام عند أهل السنة وولاية العهد.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص٢٣.

حكم الشرع من تسمية
الإمام أو من ولاية العهد

استعرضنا موقف الشيعة من هذا الموضوع، واستعرضنا بتفصيل علمي موقف أهل السنة من هذا الموضوع أيضاً. وقد أثبتنا أن أهل الشيعة يؤمنون بالتسمية والعهد، ويؤمنون أيضاً أن الرسول ﷺ لم يغفل عنها، وأنه قد عهد لعلي بن أبي طالب وجاء بعده إحدى عشر إماماً، وهم يعرفون حتى الآن إمامهم الشرعي[1].

وسقنا كيف تسلسل أهل السنة بالفهم حتى تبين لهم أن في العهد مصلحة للمسلمين، فآمنوا به واجازوه، ولكنهم أنكروا أن النبي قد عهد لعلي، وإذا قيل لهم ولو تلميحاً أن الرسول قد عهد لأبي بكر ضمناً صدّقوا[2]، وهذا قمة الولاء للواقع التاريخي.

وبفضل الله ومنّته فإن الله قد حفظ الذكر وحفظ البيان، وبفضله ومنّته أيضاً فإن الله قد جعل من الإسلام شريعة وعقيدة كميزان توزن به الأفكار وتقاس به المعتقدات والأفعال، ويعرف الرجال به ولا يعرف هذا الدين من خلال الرجال. وبفضل الله أيضاً فإنه لا يوجد دين خاص بأهل السنة ولا دين آخر خاص بأهل الشيعة، إنما يوجد للفريقين دين واحد هو الإسلام، وهما يتسابقان بالانتماء إليه والدفاع عنه مما يتيح لنا الفرصة برغبة الطرفين لعرض موقف الشرع وحكمه على موقفيهما من هذه الناحية.

وقد ثبت بالمنطق والعقل صواب رأي الشيعة في هذا الموضوع، وهو تسمية الإمام أو ولاية العهد. أقصد بصواب رأيهم القائل بأنه يستحيل عقلاً أن يموت الرسول ﷺ دون أن يعين خليفة له، وأن هذا التعيين ضرورة.

---

(١) راجع اعيان الشيعة جـ١ قسم ص٦ـ٧ وراجع النافع يوم الحشر ص٥٢، للطوسي وراجع عقيدة الشيعة حسين العاملي ص١٢-١٣.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص٦ و ص١٧٨ جـ٣ من الطبقات.

الفصل الثالث

حكم الشرع في تسمية الإمام أو ولي العهد

الأدلة الشرعية التي تثبت أن الرسول ﷺ (قد سمى خليفته وعيّن ولي عهده بأمر من ربه).

١ ـ من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ (١).

ـــ أسباب نزول الآية:

١ ـ وردت في الباب ١٨ من غاية المرام ٢٤ حديثاً عن طريق الجمهور تثبت أن هذه الآية نزلت في علي.

٢ ـ فضلاً عن الأحاديث الصحاح المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة.

٣ ـ وكما تعود الناس بعكس أوامر النبي فإننا نترك جانباً ما ورد عن طريق أهل البيت ونعتمد فقط على ما وصلنا عن طريق غيرهم.

ـــ مراجع أهل السنة التي تثبت أن هذه الآية نزلت في علي:

١ ـ هنالك شبه إجماع من المفسرين على أن هذه الآية نزلت في علي (٢).

٢ ـ ورد في غاية المرام الباب الثامن عشر ٢٤ حديثاً عن طريق أهل السنة تثبت أن هذه الآية نزلت في علي.

٣ ـ فضلاً عما ورد في مراجع أخرى (٣).

(١) سورة المائدة آية ٥٤ـ٥٥. راجع سيرة ابن هشام غزوة ذات الرقاع وراجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص١٨٩ـ١٩٥.

(٢) نقل هذا الاجماع غير واحد كالامام القوشجي في مبحث الامامة من شرح التجريد وراجع تفسير الامام أبي اسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي الذي قال عنه بن خلكان في وفياته انه أوحد زمانه في علم التفسير.

(٣) راجع حديث بن عباس في كتاب اسباب النزول للواحدي. وراجع صحيح النسائي وتفسير سورة المائدة من كتاب الجمع بين الصحاح الستة وقد اخرجه الخطيب في المتفق. وراجع مسندي بن =

— السبب المباشر لنزول هذه الآية (كما هو مفصل في تفسير الثعلبي على سبيل المثال):

(إن علياً تصدق بخاتمة وهوراكع كما هومفصل في تفسير الثعلبي، هنالك دعا محمد ربه بالدعاء الذي دعا فيه موسى ربه والوارد في القرآن الكريم إلى أن قال: (. . . واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري . . .) قال أبو ذر، فوالله ما أتمّ الرسول دعاءه حتى نزل عليه جبريل ومعه آية الولاية تلك: ﴿إنما وليكم الله . . . ﴾.

— حل الاشكالات:

١ - طالما أن الآية نزلت في علي، فلماذا يعبر الله عن علي بصيغة الجمع؟.

٢ - ثم كلمة «ولي» لها معانٍ مختلفة، ومن هذه المعاني: القيادة والإمارة. فما الذي يدرينا أن الآية وكلمة ولي الواردة فيها تعني الإمارة والخلافة؟.

— حل الاشكال اللغوي: لماذا عبر عن علي (بالذين آمنوا) وهو شخص واحد؟.

العرب يعبرون عن المفرد بالجمع لنكتة تستوجب ذلك، فالله سبحانه وتعالى عبر عن علي بالجمع لنكتة استوجبت ذلك، وهذه الآية عنت أن علياً وحده هو ولي الأمر من بعد الرسول ﷺ. وهنالك سوابق في القرآن الكريم عبر الله فيها عن المفرد بصيغة الجمع، وهي على سبيل المثال:

١ - قال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾، فقد كان القائل نعيم بن مسعود الأشجعي بإجماع المفسرين والمحدثين وأهل الأخبار، فأطلق الله تعالى على نعيم وهو مفرد لفظ الناس وهو جمع تعظيماً لشأن الذين لم يصغوا إليه.

٢ - وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾، فقد كان الذي بسط يده رجل واحد من بني محارب يقال له غورث، وقيل إنما هو عمر بن جماش من بني النضير استل سيفه، فهمّ أن يضرب به رسول الله ﷺ فمنعه الله. وقد أطلق الله تعالى على ذلك الرجل لفظ قوم وهي للجماعة تعظيماً لنعمة الله عليهم بسلامة نبيهم. ذكره المحدثون والمفسرون

= مردويه وابي الشيخ وراجع الحديث ٥٩٩١ من احاديث الكنز ص ٣٩١ جـ٦ وراجع مسند الامام احمد ص٣٨ جـ٥ من الهامش وراجع الحديث ٦١٣٧ من احاديث الكنز ص٤٠٥ من كنز العمال.

وأهل الأخبار[1].

٣ - ثم أنظر إلى آية المباهلة، فقد أطلق الله تعالى لفظ الأبناء والنساء والأنفس وهي حقيقة في العموم على علي وفاطمة وحسن وحسين بالخصوص، إجماعاً وقولاً واحداً تعظيماً لشأنهم.

وتلك أدلة قاطعة من القرآن الكريم وسوابق داحضة على جواز إطلاق لفظ الجماعة على المفرد لنكتة بيانية. فكلمة الذين آمنوا لا تنفي بأن الآية مختصة بعلي ونزلت فيه.

ما هي النكتة البلاغية في اطلاق لفظ (الذين آمنوا) على علي وحده؟.

١ - برأي الإمام الطبري في تفسير الآية من مجمع البيان:
المقصود من اطلاق لفظ الذين آمنوا على علي، تفخيمه وتعظيمه، لأن أهل اللغة يعبرون بلفظ الجمع على الواحد على سبيل التعظيم، وقال أن ذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه.

٢ - برأي الزمخشري في كشافه في معرض تفسير هذه الآية، قال:
إن الله أطلق على الإمام علي لفظ الذين آمنوا ليرغب الناس في مثل فعله حتى وهو في الصلاة لن يؤخر الزكاة إلى الفراغ من الصلاة.

٣ - وذكر الإمام شرف الدين العاملي في مراجعاته التي أخذنا عنها هذا التحليل رغبة بوضع الحقيقة تحت تصرف طلابها:
يذكر العاملي نكتة أخرى، وهي: أن الله أتى بلفظ الجماعة دون المفرد بُقيا منه على كثير من الناس، فإن شانئي علي وأعداء بني هاشم وسائر المنافقين وأهل الحسد لا يطيقون أن يسمعوها بصيغة المفرد، إذ لا يبقى لهم حينئذ مطمع في تمويه فيكون منهم ما تخشى عواقبه على الإسلام، فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها مفرد اتقاء معرتهم[2].

---

(١) راجع سيرة ابن هشام جـ٣ غزوة ذات الرقاع.

(٢) راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص١٩٣-١٩٥.

— حل الاشكال الثاني وهو كلمة (ولي) الواردة في الآية:

كلمة ولي لها معانٍ كثيرة، ومن هذه المعاني الإمارة والقيادة والإدارة، والآية كما سنثبت ذلك بالبيان تعني بالولي القيادة والإمارة، فهي:

١ - استجابة لدعاءٍ دعاه محمد ﷺ لعلي، واستعمل فيه نفس الألفاظ التي استعملها موسى - عليه السلام - عندما دعا ربه ليشد أزره بأخيه هارون، وزاد محمد ﷺ على الدعاء، فقال: «واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري»، ولم يقل إزري.

٢ - إن النصوص الشرعية (السنة المطهرة) تثبت بالدليل القاطع أن الله اختار علياً ولياً باللفظ وخليفة باللفظ.

٣ - وحتى لا يكون عند أهل السنة حرج، فإننا نختار ثلاثة من كبار المسلمين ومن أجلاء الصحابة ولهم مكانة عند أهل السنة خاصة تشبه مكانة الأنبياء، حتى أن رجال الفقه السياسي إذا لم يجدوا لأمر من الأمور مخرجاً يقولون هكذا فعل أبو بكر، أو هكذا فعل عمر، أو هكذا فعلت عائشة، فتحول قولهم رضي الله عنهم عند هؤلاء الفقهاء إلى شرع بما للكلمة من معنى، فهم عملياً يصلحون ليرجع إليهم لفهم مدلول كلمة ولي:

- يقول أبو بكر، عندما استخلف عمر: (إني ما وليت ذي قرابة)[١].

- ويقول لنفس المعنى: (إني استخلف عليكم عمر)[٢].

- ويقول عمر: (لو أدركت أبا عبيدة حياً استخلفته ووليته، فإذا سألني ربي من وليت على أمة محمد...)[٣]. فقد ذكر عمر كلمة التولية مرات، وذكر كلمة الاستخلاف لنفس الغاية. ثم ها هي عائشة تقول لعمر: (استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا)[٤].

---

(١) راجع تاريخ الطبري جـ٤ ص٥٢-٥٣ وص١٩ الامامة والسياسة.

(٢) راجع المراجع السابقة.

(٣) راجع جـ٤ ص٥٢-٥٣ من تاريخ الطبري وص١٩ من الامامة والسياسة وص١٩٩ جـ٣ من تاريخ الطبري وجـ٣ ص١٨٠ من الطبقات لابن سعد.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ٣ ص١٨٠ وص١٨٠ وص٢٣ من الامامة والسياسة.

فهؤلاء يفسرون كلمة ولي في تلك الآية كما نرى بأنه الخليفة، وهو الذي يتولى أمور المسلمين من بعد النبي. وحتى لا يكون في الصدر حرج، انظر إلى قول أبي بكر (أنا ولي رسول الله). ويقول عمر (أنا ولي رسول الله وولي أبي بكر، وأمرهما إلي ومن ولي الأمر)[1].

بقية الأدلة من القرآن والتي تثبت أن علياً معين ولياً بالنص

٢ - آية المباهلة:

﴿فمنْ حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين﴾[2].

فلما أصبحوا قدم الرسول ﷺ ومعه فاطمة وعلي وحسن وحسين، فسأل أبو حارثة عنهم فقيل هذا ابن عمه وهذه ابنته وهذان ابناه فرفضوا المباهلة[3]، وكان النبي محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها[4]. قولاً واحداً بالإجماع وبلا مخالف، لماذا لم يدع عمه العباس، لماذا لم يدع أياً من بناته أو أزواجهن، لماذا لم يدع أبا بكر وعمر...؟،

٣ - ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[5].

ماذا جرى عندما دعا الرسول عشيرته الأقربين ومن أعلن يومئذ أنه وليه في الدنيا والآخرة.

٤ - عندما نزلت آية ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ قال النبي ﷺ: «أنا النبي وعلي الهادي»، وهذا تصريح بثبوت الإمامة لعلي علماً وسياسة[6].

٥ - ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي﴾. عندما خرج الرسول لغزوة تبوك وترك علياً في المدينة، بكى علي واشتكى وقال للنبي: أتخلفني في

---

(١) راجع الحديث ١٨٧٦٨ و١٨٧٦٩ جـ٧ من كنز العمال.

(٢) سورة آل عمران الآية ٦١

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٢ ص١٦ و٢٠.

(٤) راجع تفسير البيضاوي ص٧٠

(٥) سورة الشعراء الآية ٢١٤.

(٦) راجع منهاج الكرامة ص١٥٥ وراجع تفسير الطبري جـ٣ ص٦٣.

النساء والصبيان؟ فرد عليه النبي قائلاً: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي[1]. وعد ابن حجر هذه الآية من الآيات الواردة في علي[2].

٦ - ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[3].

٢ - الأدلة الشرعية من السنة التي تثبت أن الرسول ﷺ قد سمى خليفته وولي عهده:

الدليل الأول:

قال ﷺ عن علي بن أبي طالب: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»[4]. هذا نص صريح وواضح لا يُجادل به، وهو حديث قد وصل إلى مرحلة التواتر.

(١) راجع البلاذري انساب الاشراف جـ٢ ص٦٦ وتاريخ الطبري جـ٣ ص١٠٣ ومروج الذهب للمسعودي جـ٢ ص٤٢٧ والكامل في التاريخ لابن الاثير جـ٢ ص٢٣٩.

(٢) راجع ص١٠٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر و ص١٩ من الخصائص العلوية للنسائي و ص١٥٤ جـ٦ و ص٣٩٥ جـ٦ من كنز العمال و ص٣١ جـ٥ من سند الامام أحمد الهامش.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧ راجع علي والحاكمون د. محمد الصافي ص٥٦ وقد نقل ذلك عن الدرر المنثور وعن كتاب الغدير جـ١ ص٢١٣ و٢١٤ للعلامة الاميني وعلى الصفحات ٥٧ من هذا الكتاب يبين المراجع راجع الدرر المنثور جـ٢ ص٢٩٨.

(٤) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص٢١٧ وتاريخ ابن الاثير جـ٢ ص٢٢ وتاريخ ابي الفداء جـ١ ص١١٦ ونقض العثمانية لابي الاسكفي الامام المعتزلي ص٢٥٧ وراجع ص٢٨١ و ص٢٦٣ مجلد ٣ من شرح النهج لابن ابي الحديد و ص٢٥٧-٢٨١ جـ٣ من الشرح و ص٣٨١ جـ١ من السيرة الحلبية باب استخفاء الرسول وراجع عدد جريدة السياسة لمحمد حسين هيكل عمود ٢ ص٥ من الملحق رقم ٢٧٥١ الصادر في ١٢ ذي القعدة ١٣٥٠هـ والعدد ٢٧٨٥ من جريدة السياسة ونقل هذا الحديث عن مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وعبدالله بن أحمد في زيادات المسند وابن حجر الهيثمي في جمع الفوائد وابن قتيبة في عيون الاخبار وأحمد بن عبدربه في العقد الفريد وعمرو بن الجاحظ في رسالته عن بني هاشم وراجع الامام أبي اسحاق الثعلبي في تفسيره وراجع مقالة في الاسلام ص٧٩ لجرجس الانكلزي الذي نقله عن من يسمي نفسه بهاشم العرب واختصره توماس كارليل في كتابه الابطال واخرجه بهذا المعنى الطماوي والضياء المقدسي في المختاره وسعيد بن منصور في السنن وراجع أحمد بن حنبل ص١١١ و ص ١٥٩ جـ١ من المستدرك للحاكم و ص٣٣١ =

— **صحة هذا الحديث:**

وهو حديث صحيح: وقد صححه بن جرير وأبو جعفر الاسكافي إذ أرسلا صحته ارسال المسلمات [1].

الدليل الثاني: من السنة والذي يثبت أن رسول الله ﷺ قد سمى خليفته وولي عهده وجعله ولياً من بعده:

قال ﷺ لعلي: «أنت وليي في الدنيا والآخرة» [2].

وقال ﷺ لعلي: «أنت ولي كل مؤمن بعدي» [3].

وقال ﷺ لعلي أيضاً: «من كنت وليه، فإن علياً وليه» [4].

وقال ﷺ: «إن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ أنه وليكم بعدي» [5].

وقال ﷺ: «إنك ولي كل مؤمن بعدي» [6].

وقال ﷺ: «إنك ولي المؤمنين بعدي» [7].

وقال ﷺ: «من كنت وليه فهو وليه» [8].

وقال ﷺ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» [9].

■ جـ١ من المسند أيضاً وراجع ص٦ من الخصائص العلوية للنسائي وراجع ص١٣٢ جـ٦ من كنز العمال الحديث ٦٠٠٨ والحديث ٦٠٤٥ ص٣٩٦ جـ٦ والحديث ٦٠٥٦ ص٣٩٧ جـ٦ والحديث ٦١٠٤ ص٤٠٤ والحديث ٦١٥٥ ص٤٠٨ وراجع ص٢٥٥ مجلد ٣ من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي.

(١) راجع الحديث ٦٠٤٥ ص٣٩٦ جـ٦ من الكنز تجد تصحيح بن جرير وراجع ص٤٤ جـ٥ من مسند الامام أحمد نجد تصحيح بن جرير لهذا الحديث وص١١ جـ١ من مسند الامام أحمد وقد أخرجه الذهبي في تلخيص المستدرك واعترف بصحته.

(٢) راجع المراجعات للامام علي ص١٦٣-١٦٤ وقد صرح الذهبي بصحته على تعنته في تلخيص المستدرك ص٢٦ وابن حجر الهيثمي ذكره في صواعقه باب ١٢ ص١٦ واخرجه في باب ١١ ص١٠٧ من صواعقه وقال ان الامام أحمد اخرجه وصححه. واخرجه صاحب الجمع بين الصحيحين في فضائل علي وفي غزوة تبوك وهو موجود في غزوة تبوك من صحيح بخاري ص٥٨ جـ٢ وراجع صحيح مسلم ص٣٢٣ جـ٢ و ص٢٨ جـ١. وراجع ص١٠٩ من مسند الامام أحمد و ص١٧٢ و ١٧٥ و١٧٧ و١٧٩ و١٨٢ و١٨٥ جـ١ من المسند و ص٣٣١ و ص٢٦٩ و ص٤٣٨ جـ٦ من المسند. وراجع الصواعق المحرقة باب ١١ ص١٠٧ وراجع فصل ٢ باب ٩ ص٧٢ من الصواعق، وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء وذكر ان الطبراني اخرجه والبزار في مسنده راجع ص٦٥ من تاريخ الخلفاء واخرجه الترمذي كما يدل الحديث ٢٥٠٤ وراجع ص١٥٢ جـ٦ من الكنز واورده بن عبدالبر في احوال علي من الاستيعاب

(٣-٩) اخرجه النسائي في خصائصه وأحمد بن حنبل في مسنده ص٤٣٨ جـ٤ والحاكم في مستدركه ■

وقـد أوضحنـا كلمة (ولي) عند تفسير آية الولاية، وهذه الأحاديث التي تنصب على آية الولاية تبينها وتوضحها بما لا يدع مجالاً لأي لبس. وقد سقنا تفسير أبي بكر وعمر وعائشة لكلمة الولي[1].

وبعد هذا، يتضح بكل وضوح وجلاء أن الرسول ﷺ قد سمى علياً ولياً لعهده وخليفـة من بعـده وقـد استعمـل كل الألفاظ الدالة على كلمة الخلافة والولاية وكلمة الإمارة كما سأوضح ذلك.

الدليل الثالث: من السنة والذي يثبت أن رسول الله ﷺ سمى خليفته وولي عهده:

لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال علي: (أخرج معك، فقال ﷺ: لا، فبكى علي، فقال ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»[2].

= ص١١١ جـ٣ والذهبي في تلخيص المستدرك واخرجه بن أبي شيبه وابن جرير والمتقي الهندي في ص٤٠٠ جـ٦ من الكنز، والترمذي باسناد قوي. وقال ﷺ لرجل اشتكى عليا لا تقع في علي فانه مني وانا منه وهو وليكم بعدي، راجع مسند الامام أحمد ص٢٥٦ و ص٣٤٧ جـ٥ و ص١١٠ جـ٣ من المستدرك و ص٤٣٨ جـ٢ من مسند الامام أحمد واخرجه الطبراني بتفصيل آخر وقال: من ابغض عليا فقد ابغضني ومن فارق عليا فقد فارقني، ان عليا مني وانا منه خلق من طينتي وانا خلقت من طين ابراهيم، وانا افضل من ابراهيم، راجع بن حجر في ص١٠٣ من صواعقه و ص٣٩٨ جـ٦ من كنز العمال و ص١٨٥ من المراجعات وراجع ص١٣٤ جـ٣ من المستدرك والذهبي والنسائي في الخصائص العلوية ص٦ والامام احمد في مسنده ص٣٣١ والحديث ٦٠٤٨ ص٣٩٦ جـ٦ والحديث ٢٥٧٥ ص١٥٥ جـ٦ و ص٣٩٧ جـ٦ من الكنز و ص١٨٧ من المراجعات وابن ماجه ص١٩٢ من سننه والترمذي والنسائي في صحيحهما وراجع الحديث ٢٥٣١ من الكنز و ص١٥٣ جـ٦ و ص١٦٤ جـ٢ من المسند و ص١٥١ جـ١ من المسند.

(١) راجع الامامة والسياسة ص٢٣ وراجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٤٢٩ وراجع ص١٩ من الامامة والسياسة و ص٢٣ و٢٤ وراجع ص٩٧ مجلد ٣ من شرح النهج الحديدي كما نقله عن صاحب تاريخ بغداد أبوالفضل أحمد ابن أبي الطاهر.

(٢) حتى ان الذهبي على تعنته اعترف بصحة هذا الحديث في تلخيص المستدرك وابن حجر في صواعقه على محاربته اعترف بصحة هذا الحديث في ص٢٩ من صواعقه واخرجه البخاري في ص٣٢٤ جـ٢ من صحيحه، وامام الفئة الباغية معاوية الذي ناصب أمير المؤمنين العداء وامر بلعنه لم يجحد هذا الحديث. واخرجه مسلم في فضائل علي ص٣٢٤ والحاكم في مستدركه ص١٠٩ جـ٣ وصححه على شرط الشيخين واورده الذهبي في تلخيصه. وراجع باب ١١ ص١٠٧ من الصواعق لابن حجر =

— **منزلة هارون من موسى تشبه منزلة علي من محمد:**

الرسول ﷺ أنزل علياً منه بنفس المنزلة التي أنزلها موسى لهارون، ولم يستثن من جميع المنازل إلا النبوة، واستثناء النبوة دليل على العموم، ومن الواضح أن أظهر المنازل التي كانت لهارون من موسى وزارته وشد إزره . . . واشراكه معه في أمره وخلافته عنه، وفرض طاعته على جميع أُمته بدليل قوله تعالى: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي . أشدد به أزري . وأشركه في أمري﴾. وقوله تعالى: ﴿أخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾. وقوله تعالى: ﴿قد أُوتيت سؤلك يا موسى﴾.

فعلي بحكم هذا النص خليفة رسول الله ﷺ وشريكه في أمره على سبيل الخلافة لا على سبيل النبوة. وأفضل أُمته وأولاهم برسول الله ﷺ حياً وميتاً. وله عليهم فرض الطاعة بعد وفاة الرسول ﷺ مثل الذي لهارون على أُمة موسى أثناء غياب موسى.

وقوله ﷺ: أنه «لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي» نص صريح في كونه خليفة بل نص جليّ في أنه لو ذهب ولم يستخلفه كان قد فعل ما لا ينبغي له أن يفعل. وهذا ليس إلا لأنه مأمور من الله عز وجل باستخلافه كما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾.

فإذا أُضيف النص الوارد «أنت ولي كل مؤمن بعدي» فإنه نص في أنه ولي الأمر ووليه القائم مقامه، كما قال الكميت:

(ونعم ولي الأمر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب)

■ وجـ٢ ص٥٨ من صحيح بخاري غزوة تبوك. وراجع جـ٢ ص٣٢٣ من صحيح مسلم وراجع مسند بن ماجه جـ١ ص٢٨، وراجع مناقب علي من المستدرك للحاكم جـ٣ وراجع مسند الامام أحمد جـ١ ص١٧٥ و١٧٧ و١٧٩ و١٨٢ و٣٣١ جـ١ و ص٣٦٩ و٤٣٨ جـ٦ و ص٣٢ جـ٣ وباب ١١ ص١٠٧ من الصواعق المحرقة وباب ٩ ص٧٢ من الصواعق وذكره في احوال من تاريخ الخلفاء والترمذي في صحيحه كما يدل الحديث رقم ٢٥٠٤ من احاديث الكنز ص١٥٢ جـ٦.

— صحة هذا الحديث:

حديث المنزلة من أصح الآثار وأثبت السنن حتى أن الذهبي على تعنته صرح بصحته في تلخيص المستدرك وابن حجر الهيثمي على محاربته في صواعقه ذكر هذا الحديث في الشبهة ١٢ ونقل القول بصحته في ٢٩ من صواعقه، وراجع المراجعات للعاملي.

الدليل الرابع: من السنة والذي يثبت أن الرسول ﷺ قد سمى خليفته من بعده واتخذ علياً ولياً لعهده:

وهو أن علياً وارث النبي بنص الشرع أيضاً.

وكان علي يقول: (والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه، فمن أحق به مني)[١]؟.

وقال ﷺ: «يا بني عبدالمطلب، إني قد بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي، فلم يقم إليه أحد، فقام علي في المرتين وفي المرة الثالثة ضرب بيده على يد علي، فلذلك ورث النبي ابن عمه دون عمه»[٢].

وسئل قثم بن العباس، كيف ورث علي رسول الله دونكم؟ فقال: كان أولنا لحوقاً به وأشدنا لصوقاً به. وكان الناس يعلمون أن علياً وارث النبي، ويرسلون ذلك ارسال المسلمات[٣].

قال ﷺ: «إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب علي»[٤]. وقال ﷺ: «كل بني أنثى ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا

(١) راجع الحاكم في مستدركه ص١٢٦ جـ٣ واعترف الذهبي بصحته في تلخيص المستدرك.

(٢) اخرجه الضياء المقدسي في المختارة وابن جرير في تهذيب الآثار وهو الحديث ٦١٥٥ من احاديث الكنز راجع ص٤٠٨ جـ٦ واخرجه النسائي في ص١٨ من الخصائص العلوية ونقله ابن ابي الحديد في ص٢٥٥ مجلد ٣ من شراح النهج وراجع ص١٥٩ جـ١ مسند الامام أحمد.

(٣) راجع ص١٥٥ جـ٣ من المستدرك للحاكم واخرجه ابن ابي شيبه واخرجه الذهبي في تلخيصه وراجع الحديث ٦٠٨٤ جـ٦ من الكنز.

(٤) راجع الحديث ٢٥١٠ ص١٥٢ جـ٦ من كنز العمال.

عصبتهم وأنــا أبــوهم»[1]. وقــال ﷺ: «إن الله اطّلع إلى أهــل الأرض فاختــار منهم محمداً فجعله نبياً، ثم اطّلع ثانية فاختار علياً فأوصى إلى نبيه أن يتخذه وارثاً ووصياً» .

الـدليـل الخـامس: من السنـة الذي يثبـت أن رسول الله ﷺ قد سمى علياً ولياً لعهده وخليفة من بعده:

هو أنه وصي الرسول ﷺ، والوصية متواترة عن أئمة العترة الطاهرة، وحسبك ما جاء عن طريق غيـرهـم من أهــل السنــة. فقـد أخذ النبي برقبة علي، وقال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فاسمعوا له وأطيعوا»[2].

وقــال ﷺ: «لـكــل نبـي وصـي ووارث، وأن وصـيـي ووارثـي علي بن أبي طالب»[3]. وقـال ﷺ: «إن وصيي ومـوضــع سري خيـر من أتـرك بعـدي ينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب»[4]. وقـال ﷺ: «يـا انس، أول من يدخـل عليـك هذا البـاب إمـام المتقين وسيـد المسلمين ويعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين، وقـال (انس) فجـاء علي، فقام إليه رسول الله فعانقه وقال له أنت تؤدي عني وتـسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي»[5].

— انكار الوصية[6]:

لقـد أنكـر بخـاري ومـسلم الوصية واستندوا إلى حديث عائشة بأن الرسول ﷺ مات بين سحرها ونحرها ورأسه على فخذها.

---

(١) اخـرجـه الطبراني عن الزهراء وهو الحديث ٢٢ من الاحاديث التي اوردها ابن حجر في الفصل الثاني من صواعقه ص١١٢ ص١٦٤ جـ٣ المستدرك للحاكم وقال انه حديث صحيح.

(٢) راجع المراجع التي اوردناها في الدليل الأول من السنة وهي بفضل الله دامغة وكافية.

(٣) اخـرجـه محمـد بن حميـد الـرازي واورده الـذهبي في تلخيصه في احوال شريك من ميزات الاعتدال وكذب به والحقيقة ان بن جرير وابن حنبل والبضوي وثقوا محمد بن حميد ورووا عنه فهو شيخهم كما يعترف الذهبي، وهو لم يهتم بالرفض ولا بالتشيع فلا وجه لاتهامه راجع ص٢٥٣ من المراجعات.

(٤) راجع الحديث ٢٥٧٠ من احاديث الكنز آخر صفحة ١٥٥ جـ٦ واورده في منتخب الكنز راجع الهامش ص٣٢ جـ٥ من مسند الامام أحمد.

(٥) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد واورده أبونعيم في حيلة الاولياء.

(٦) راجع مراجع الدليل الخامس وبعض نصوص الوصية.

والصحيح أن الرسول ﷺ قد أوصى بكتاب الله وأوصى أن لا يغسله أحد غير علي، وقال: يؤدي ديني، ويواريني في حفرتي، وأوصى بالتمسك بالثقلين.

وأراد وهو يحتضر أن يكتب وصيته تأكيداً لعهوده اللفظية وتوكيداً لعرى نصوصه القولية، فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا هجر رسول الله، عندها لم يبق بعد كلمتهم أثر لذلك الكتاب إلا الفتنة، فقال لهم: قوموا، واكتفى بعهوده اللفظية، ومع ذلك فقد أوصاهم عند موته بأن يخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأن يجيزوا الوفد بنحو ما كان يجيزه، وقالوا أنهم نسوا الثالثة[2].

كان ذلك يوم منعوه من كتابة وصيته. (راجع مراجع المنع).

أما قول أُم المؤمنين بأن الرسول ﷺ قد مات بين سحرها ونحرها ورأسه على فخذها ففيه معارضة ويناقضه الواقع.

والحقيقة أن الرسول ﷺ قد مات على صدر علي وليس بالصورة التي نسبت لأم المؤمنين[3].

---

(١) راجع ص٨٣ جـ٢ من صحيح بخاري و ص٦٤ جـ٣ و ص١٤ جـ٢ و ص٦١ جـ٢ من الطبقات لابن سعد وراجع ص٥٩ ص٣ من المستدرك للحاكم والذهبي في تلخيصه وراجع الحديث ١٠٩٤ ص٥٤ جـ٤ من كنز العمال والحديث ١١٠٤ ص٥٥ جـ٤ و ص١١١ جـ٣ من المستدرك للحاكم والحديث ٢٥٨٤ ص١٥٥ جـ٦ من كنز العمال والحديث ٣٠٩٣ جـ٦ من الكنز وراجع ص٤٥ جـ٥ من هامش مسند الامام أحمد، كهذه المراجع تثبت بأن الرسول قد أوصى بعكس ما قالت ام المؤمنين رضي الله عنها، ثم انه من المستحيل ان يموت الرسول دون أو يوصي، ومن المستحيل ان يكل دينه إلى الاهواء او ان يتكل في حفظ شرائعه على الآراء من غير وصية.

(٢) راجع الحديث ١١٠٧ ص١٥٥ جـ٤ والحديث ٦٠٠٩ ص٣٩٢ جـ٦ والحديث ١١٠٦ ص٥٥ جـ٤ والحديث ١١٠٨ ص٥٥ جـ٤ من احاديث الكنز وراجع ص٥١ جـ٢ من طبقات بن سعد، و ص١٩٦ جـ٢ من شرح النهج الحديدي و ص٥٦١ مجلد ٢ و ص٢٠٧ و٥٠٩ من النهج مجلد ٢. وروى هذه الاحاديث علي، وابن عباس، وام سلمه، وعبدالله بن عمر، وعلي بن الحسين، وسائر ائمة أهل البيت. وفي زمان عمر كان الصحابة يجلسون فسأل كعب ما كان آخر ما تكلم به رسول الله، فقال عمر سل عليا فروى علي كيف مات رسول الله ﷺ وماذا قال، راجع ص٢٦٢-٢٦٤ جـ٢ من الطبقات لابن سعد. ولما حضرته الوفاة ﷺ قال ادعو لي أخي، فدعوا عليا فقال، ادن مني، فدنا منه، فلم يزل بكلمه حتى فاضت نفسه الزكية، فأصابه بعض ريعه، كما ذكر ذلك بن سعد في طبقاته جـ٢ ص٥١ وراجع كنز العمال ص٥٥ جـ٤.

الدليل السادس: الذي يثبت أن الرسول ﷺ قد سمى علياً ولياً لعهده وخليفة من بعده:

— الاختيار الإلٰهي:

قال ﷺ لفاطمة: «أما ترضين أن الله عز وجل اطّلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك»[1].

وهذا واضح جداً، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقد منّ الله على علي عندما اختاره ورعاه.

أوحى الله عز وجل ليلة المبيت على الفراش إلى جبريل وميكائيل أني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختار كلاهما الحياة! . أوحى الله إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فنزلا، فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

ولقد أعطي الولي من المكانة في الآخرة ما يؤكد هذا الاختيار الإلٰهي. قال ﷺ: «مكتوب على باب الجنة لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله علي أخو رسوله»[3].
وقال ﷺ: «علي بن أبي طالب باب حطة من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً»[4].

قال تعالى: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾. قال علي: (نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن نعرف عرفناه فأدخلناه الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماه)[5].

---

(١) راجع الحديث ٢٥٣٩ ص١٥٣ جـ٦ من كنز العمال.

(٢) اخرجه اصحاب السنن في مسانيدهم ودكره الامام فخر الدين الرازي في تفسيره جـ٢ ص١٨٩

(٣) اخرجه الطبراني في الاوسط والخطيب في المفترق والمتفق ونقله صاحب الكنز مع هامش ص١٥ جـ٥ من مسند الامام أحمد وص٤٦ جـ١ نقله عن بن عساكر.

(٤) راجع ص١٥٣ جـ٦ من كنز العمال وراجع الحديث ٢٥٢٨.

(٥) اخرجه الحاكم ونقله الثعلبي في تفسيره لهذه الآية.

قال النبي ﷺ : يا علي إنك والأوصياء على الأعراف . ويؤيد هذا الحديث ما أخرجه الدار قطني أن علياً قال للستة الذين جعل الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته : أنشدكم الله هل فيكم أحد، قال له رسول الله ﷺ : «يا علي، أنت قسيم الجنة فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك»[1].

وروى ابن السماك أن أبا بكر قال لعلي : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز[2].

الدليل السابع : الذي يثبت أن الرسول ﷺ قد اتخذ علياً ولياً لعهده وخليفة من بعده :

— **حديث الاسكان والأبواب** :

١ ـ وقف الرسول ﷺ خطيباً، فقال : إن رجالاً يجدون في أنفسهم شيئاً أن أسكنت علياً في المسجد وأخرجتهم، والله ما أخرجتهم وأسكنته، بل الله أخرجهم وأسكنه . إن الله عز وجل قد أوحى إلى موسى أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة، وأن علياً مني بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي ولا يحل لأحد أن ينكح فيه النساء إلا هو»[3].

٢ ـ وأخرج رسول الله عمه العباس وغيره من المسجد، فقال العباس : تخرجنا وتسكن علياً؟! ، فقال ﷺ : «ما أخرجتكم وأسكنته، ولكن الله أخرجكم وأسكنه»[4].

٣ ـ قال زيد بن أرقم : كان لنفر من أصحاب الرسول أبواب شارعة على المسجد، فقال ﷺ : «سدوا هذه الأبواب إلا باب علي» . فتكلم الناس في ذلك، فقام ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد، فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا .

---

(١) راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص٧٢ .

(٢) راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص٨٤ .

(٣) راجع المراجعات ص١٦١ـ١٧٥ وراجع ينابيع المودة لأخطب خوارزم من كتاب فضائل أهل البيت وباب ١٨ من الينابيع .

(٤) اخرجه بن ماجه جـ١ ص٩٢ من سننه وخرجه الترمذي والنسائي في صحيحهما وهو الحديث ٢٥٣١ ص١٥٣ جـ٦ من احاديث الكنز واخرجه الامام أحمد في ص ١٦٤ جـ٤ من مسنده و ص١٥١ جـ١ من المسند .

باب علي، فقال فيه قائلكم وأني ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكن أمرت بشيء فاتبعته»[1].

وقال ﷺ: «ما أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته، إنما أنا عبد مأمور ما أمرت به فعلت أن أتبع إلا ما يوحى إليّ»[2]. وقال ﷺ: «إن الله أوحى إلى نبيه موسى، أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنت وهارون، وأن الله أوحى إليّ أن أبني لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وأخي علي»[3].

الدليل الثامن: الذي يثبت أن الرسول ﷺ قد اتخذ علياً ولياً لعهده وخليفة من بعده:

— **جواز التأدية**:

١ ـ قال ﷺ لعلي: ادرك أبا بكر فحيثما لقيته فخذ منه الكتاب فاذهب به أنت إلى أهل مكة فاقرأه عليهم. فلحقه بالجحفة، فأخذ الكتاب منه. ولما رجع أبو بكر إلى النبي قال يا رسول الله: نزل فيّ شيء؟، فقال ﷺ: لا، ولكن جبريل جاءني فقال: «لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك». والكتاب يتضمن عشر آيات من سورة براءة، ولقد كان هذا في حجة الوداع وعلى رؤوس الأشهاد[4].

وواضح أنه لا يؤدي عن الرسول ولا يقوم مقامه أحد أبداً إلا علي.

٢ ـ قال ﷺ: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»[5]. قال ذلك يوم عرفة.

الدليل التاسع: الذي يثبت أن الرسول ﷺ قد سمى علياً ولياً لعهده وخليفة من بعده:

آخى الرسول بين المهاجرين، وبين المهاجرين والأنصار، وقال في كل واحد منها لعلي: أنت أخي في الدنيا والآخرة. وآخى الرسول بينه وبين علي في

(١) راجع سند الامام احمد ص٣٦٩ جـ٤ واخرجه الضياء المقدسي والطبراني ومنتخب الكنز ص٣٩ جـ٥ من مسند الامام احمد.

(٢) اخرجه الطبراني، كما ذكره صاحب منتخب الكنز ص٢٩ جـ٥ من مسند الامام أحمد.

(٣) راجع الصواعق المحرقة ص١٠٦ لابن حجر الهيثمي المقصد الخامس من مقاصد الآية ١٤

(٤و٥) اخرجه بن ماجه في باب فضائل الصحابة جـ١ ص٩٢ من سننه واخرجه الترمذي والنسائي في صحيحهما وهو الحديث ٢٥٣١ من احاديث الكنز ص١٥٣ جـ٦، واخرجه الامام احمد في ص١٦٤ جـ٤ من مسنده وراجع ص١٥١ جـ١ من مسند الامام احمد.

الحالتين[١]. وقال ﷺ: أن هذا أخي . . .[٢]، وحديث المنزلة ليس إلا تتويجاً لهذه الإخوة[٣]. وقول علي: والله إني لأخوه[٤]. وقول الرسول لبني عبدالمطلب: أن هذا أخي . . .[٥]. وقوله ﷺ لعلي: أنت أخي ورفيقي في قصري . . .[٥]. وأن علياً مني بمنزلة هارون من موسى وهو أخي . . .[٦]. وقول الله عز وجل في الحديث القدسي (. . . آخيت بين علي بن أبي طالب وبين محمد . . .)[٧]. وعندما حضرته الوفاة، قال ﷺ: ادعوا لي أخي علياً . . .[٨]. وقال ﷺ: . . . لا يسكنه إلا أنا وأخي علي . . .[٩].

الدليل العاشر: الذي يثبت أن رسول الله ﷺ سمى علياً ولياً لعهده وخليفة من بعده:

— إعلان مكانته وأهليته:

فقد أعلن أنه الخليفة، وأنه الولي، وأنه الأخ، وأنه الوصي، وأن منزلته منه تماماً كمنزلة هارون من موسى، وأنه الوحيد الذي يمكن أن يقوم مقامه ولا يقوم مقامه غيره. وأعلن مكانته عند الله يوم القيامة، وأعلن الرسول ﷺ انما هو عبد مأمور فاتبع بنصوص صريحة قاطعة لا مجال فيها للمجادلة ولا للمحاكمة. فارجع إليها وتمعن بها، وبهذه النصوص يكشف الرسول ﷺ عن بعض الجوانب في علي:

---

(١) راجع ص ٢٦ جـ٢ من السيره الحلبية وقد اخرجه الامام أحمد في كتاب مناقب علي وابن عساكر في تاريخه والبغوي والطبراني في مجمعيهما والباردوي في المعرفة وراجع ص ٤٠ جـ٢ من كنز العمال والحديث ٩١٨ ص ٣٩٠ جـ٦ والحديث ٥٩٧٢ وص٤١ جـ٥ والحديث ٩١٩.

(٢) راجع عشرات المراجع التي اوردناها في الدليل الأول رقم ١.

(٣) راجع عشرات المراجع التي اوردناها في الدليل الثالث رقم ١.

(٤) راجع ص١٢٦ جـ٣ من المستدرك للحاكم وراجع تلخيص المستدرك.

(٥) راجع الحديث ٦١٥٥ ص٤٠٨ جـ٦ وراجع ١٨ من الخصائص العلوية للنسائي و ص٢٥٥ مجلد ٣ من الشرح الحديدي و ص١٥٩ جـ١ من مسند الامام أحمد على سبيل المثال فقط.

(٦) راجع ص٣١ و٣٢ جـ٥ من مسند الامام أحمد.

(٧) راجع ينابيع المودة لأخطب خوارزم باب ١٧ وراجع ص١٦١ـ١٧٥ من المراجعات.

(٨) اخرجه بن سعد جـ ٢ص ٥١ وراجع ص٥٥ جـ٤ من كنز العمال.

(٩) اخرجه بن المغازلي في كتابه المناقب ونقله المتبع البلخي في باب ١٧ من ينابيعه وراجع ص١٨١ من المراجعات.

١ ـ قال ﷺ : يا علي ، اخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع أنت أولهم إيماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم بالرعية ، وأعظمهم مزية(١) .

٢ ـ وقال ﷺ وهو آخذ بضبع علي : هذا إمام البررة ، قاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله(٢) .

٣ ـ قال ﷺ : أوصى الله إليّ في علي ثلاثة : أنه سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين(٣) .

٤ ـ وقال ﷺ لعلي : مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين(٤) .

٥ ـ وقال ﷺ أيضاً : إن الله عهد إليّ في علي : أنه راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين(٥) .

٦ ـ وقال ﷺ : أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي(٦) . وأنظر إلى قوله تعالى لنبيه : ﴿ . . . الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة﴾ . ولاحظ قول رسول الله ﷺ : أنت تبين لأمتي .

٧ ـ قال ﷺ : من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه وإلى آدم في علمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى موسى في فطنته وإلى عيسى في زهده فلينظر إلى علي بن أبي طالب(٧) .

---

(١) اخرجه أبونعيم في حلية الاولياء وراجع ص١٥٦ جـ٦ من الكنز و ص١٩٩ـ٢١٣ .

(٢) راجع ص١٢٩ جـ٣ من المستدرك للحاكم وقال انه حديث صحيح وراجع ص١٥٣ جـ٦ من الكنز وراجع تفسير الثعلبي لآية الولاية .

(٣) راجع ص١٣٨ جـ٣ من المستدرك للحاكم واخرجه البارودي والبزار و ص١٥٧ جـ٦ من كنز العمال .

(٤) أخرجه أبونعيم في حليته وراجع ص٤٥٠ جـ٢ من الشرح وراجع ص١٥٧ جـ٦ من كنز العمال .

(٥) اخرجه أبونعيم ونقله علامة المعتزلة بن أبي الحديد في ص٤٤٩ مجلد٢ من الشرح .

(٦) اخرجه الحاكم ص١٢٢ جـ٣ من المستدرك واخرجه الديلمي وصاحب الكنز ص١٥٦ جـ٦ وهو حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٧) اخرجه البيهقي في سننه والامام أحمد في مسنده ونقله عنهما بن ابي الحديد ص٤٤٩ مجلد ٢ واورده الرازي في تفسير آية المباهلة ص٢٨٨ جـ٢ وممن اعترف ان علياً جامع اسرار الانبياء اجمعين شيخ الصوفية محي الدين بن العربي فيما نقله عنه العارف الشعراني في البحث ٣٢ من كتاب اليواقيت والجواهر ص١٧٢ .

٨ ـ قال ﷺ: كفي وكف علي في العدل سواء[١].

٩ ـ قال ﷺ: السبق ثلاثة، السابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب[٢].

١٠ـ قال ﷺ: الصديقون ثلاثة، حبيب النجار مؤمن آل ياسين قال يا قوم اتبعوا المرسلين، وحزقيل مؤمن آل فرعون قال اتقتلون رجلاً يقول ربي الله؟!، وعلي بن أبي طالب، وعلي أفضلهم[٣].

قال ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»[٤]. وقال ﷺ أيضاً: «علي باب علمي ومبين من بعدي لأمتي وما أرسلت به حبه إيمان وبغضه نفاق»[٥].

قال الإمام أحمد: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي[٦]. وقال ابن عباس: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي[٧]. وقال مرة أخرى: نزل في علي ثلاثماية آية من كتاب الله[٨]. وقال مرة ثالثة: ما أنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا . . .﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها[٩].

وأن علياً كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه عن شيء من عيوبه فلم يجدوه[١٠].

---

(١) راجع الحديث ٢٥٣٩ ص١٥٣ جـ٦ من احاديث الكنز.

(٢) اخرجه الطبراني وابن مردويه عن عباس واخرجه الديلمي عن عائشة راجع ص٢٠٨ من المراجعات.

(٣) اخرجه أبونعيم وابن عساكر وابن النجار راجع الحديث ٣٠ و٣١ من فصل ٢ باب ٩ من الصواعق لابن حجر ص٧٤ وما فوق.

(٤) اخرجه الطبراني في الكبير كما في صفحة ١٠٧ من الجامع الصغير للسيوطي واخرجه الحاكم في المناقب ص٢٢٦ جـ٣ من المستدرك بسندين صحيحين واقام الادلة القاطعة على صحته، وافرد الامام احمد بن محمد الصديق المغربي كتابا لهذا الحديث سماه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي).

(٥) اخرجه الديلمي من حديث أبي ذر وراجع ص١٥٦ جـ٦ من كنز.

(٦) اخرجه الحاكم ص١٠٧ من صحيحه ولم يتعقبه الذهبي.

(٧) اخرجه عساكر راجع ص٧٦ من الصواعق.

(٨) من حديث اخرجه بن عساكر راجع ص٧٦ من الصواعق.

(٩) نقله عن ابن عباس أهل الأخبار واصحاب السنن راجع ص٧٩ من الصواعق.

(١٠) اخرجه الطبراني في الاوسط والصغير راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٨٣.

وقال ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض» (١).

كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة.

قال علي بن أبي طالب: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولا، ولساناً صادقاً ناطقا(٢).

وكان علي يقول: سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليلٍ نزلت أم بنهار، وفي سهلٍ أم في جبل(٣).

وقال علي يوماً: لقد علمتم موضعي من رسول الله، وقرابتي القريبة منه، وضعني في حجره وأنا وليد يضمني إلى صدره، ويكتنفني فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرقه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول، أوخطلة بفعل، وكنت أتبعه اتباع الفصيل اثر أمه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، وكنت في حراء فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة(٤).

الدليل الحادي عشر:

قال ﷺ: يا علي، إن الأمة ستغدر بك بعدي، وأنت تعيش على ملتي، وتقتل على سنتي، من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني، وأن هذه ستخضب من هذا - يعني أن لحيته ستخضب من رأسه(٥) -.

قال ﷺ: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فاستشرف لها القوم، قال أبو بكر: أنا هو، قال لا. قال عمر: أنا هو، قال لا ولكن

---

(١) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٨٥.

(٣) اخرجه بن سعد وغيره راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٨٥.

(٤) راجع التصوف والتشيع لهاشم معروف الحسني.

(٥) اخرجه الحاكم في ص١٤٧ جـ٣ من المستدرك واورده الذهبي في تلخيصه معترفا بصحته.

خاصف النعل، يعني علياً. قال أبو سعيد الخدري فبشرناه فلم يرفع رأسه كأنه قد سمعه[1].

وقال ﷺ لعلي: ستقاتل الفئة الباغية وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني[2].

الدليل الثاني عشر:

— النصوص المؤيدة:

قال ﷺ: يا أم سلمة، إن علياً لحمة من لحمي ودمه من دمي وهو مني بمنزلة هارون من موسى[3]. وقال ﷺ: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى[4]. وقال ﷺ أيضاً: يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً وأولهم إسلاماً وأنت مني بمنزلة هارون من موسى[5].

وقال ﷺ أيضاً: والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي. فقال علي: وما أرث فيك؟ قال ما ورث الأنبياء من قبلي كتاب الله وسنة نبيهم، وأنت معي في قصري مع فاطمة ابنتي، وأنت أخي ورفيقي، ثم تلا قوله تعالى: ﴿اخواناً على سرر متقابلين﴾[6].

---

(١) اخرجه الحاكم في ص٢٢ جـ٢ من المستدرك وقال انه حديث صحيح على شرط الشيخين واعترف الذهبي بصحته أيضاً على شرط الشيخين واخرجه الامام أحمد في ص٨٢ و٣٣ جـ٣ من مسنده، واخرجه البيهقي في شعب الايمان وسعيد بن منصور في سننه وأبونعيم في حليته وأبويعلي في السنن وراجع الحديث ٢٥٨٥ ص١٥٥ جـ٦ من الكنز.

(٢) اخرجه الحاكم من طريقين ص١٣٩ جـ٣ من المستدرك.

(٣) راجع ص١٥٥ جـ٦ من كنز العمال وراجع المراجع الموجودة في رقم ٢ من نفس الدليل ١١.

(٤) راجع الحديث ٢٥٥٤ ص١٥٤ جـ٦ من الكنز وراجع ص٣١ جـ٥ الهامش من مسند الامام.

(٥) اخرجه النسائي ص١٩ من الخصائص العلوية.

(٦) اخرجه الحسن بن بدر والحاكم في الكنى والشيرازي في الالقاب وابن النجار راجع الحديث ٦٠٢٩ و٦٠٣٢ جـ٦ ص٣٩٥ من الكنز.

(٧) راجع ص٣١ و٣٢ جـ٥ من مسند الامام أحمد.

قال ﷺ : من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ، ومن عصى علياً فقد آذاني [1] . قال ﷺ : من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني [2].

قال ﷺ : يا علي ، أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة ، حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدي [3].

قال ﷺ : يا علي ، طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك [4] .

قال ﷺ : من أراد أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتولَّ علياً بن أبي طالب ، فإنه لن يخرجكم من هدى ، ولن يدخلكم في ضلالة [5] .

قال ﷺ : أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن أحبه أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغضه أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله [6].

قال ﷺ : من سره أن يحيا حياتي أو يموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليتولى علياً من بعدي وليوالي وليه وليقتدي بأهل بيتي [7] .

قال ﷺ : يا عمار ، إذا رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس فإنه لن يدلك على ردى ولن يخرجك من هدىً [8].

---

(١) راجع ص٢١ جـ٣ من المستدرك للحاكم وراجع تلخيص الذهبي بنفس الصفحة .

(٢) اخرجه الحاكم ص١٢٤ جـ٣ من المستدرك وصححه على طريق الشيخين .

(٣و٤) اخرجه الحاكم ص ١٣٠ جـ٣ من المستدرك وراجع ص٢٠٤ من المراجعات للامام شرف الدين العاملي .

(٥) راجع ص١٢٨ جـ٣ من المستدرك للحاكم .

(٦) راجع ص١٣٥ جـ٣ من المستدرك للحاكم .

(٧) اخرجه الطبراني في الكبير وهو الحديث ٢٥٧١ ص١٥٤ جـ٣ من الكنز واخرجه بن عساكر .

(٨) راجع الحديث ٢٥٧٦ ص١٥٥ جـ٦ من الكنز واخرجه الطبراني في الكبير وراجع منتخب الكنز .

(٩) اخرجه الطبراني في الكبير وهو الحديث ٢٥٧١ ـ ١٥٤ جـ٣ من الكنز واخرجه بن عساكر .

(١٠) راجع ص ١٥٦ جـ٦ من الكنز .

الخـــلاصــة:

تلك النصـوص الـواردة في الأدلـة الاثني عشـر تثبت موقعه القيادي أثناء حياة الرسول ﷺ.

الدليل الثالث عشر:

— جهاده المميز في سبيل الله:

كلم علي طلحـة والـزبيـر قبـل وقعـة الجمل ليقيم عليهم الحجة البالغة فقال لهما: استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله على أربع خصال أن تصدق فيها: هل تعلم رجـلاً من قريش أولى مني برسـول الله، وإسـلامي قبـل كافـة الناس أجمعين، وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي...[1].

أول لواء عقـد في الإسـلام كان لحمـزة بن عبـدالمطلب، وفي كل معـارك الإسلام في زمن النبي ﷺ كان اللواء إما بيّد علي أو بيد حمزة[2].

قال الـرسـول ﷺ: غداً سأعطي الـرايـة لرجـل يحب الله ورسـولـه ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فلما أصبح الناس غدوا كلهم على رسول الله كل يرجو أن يُعطـاهـا، فقـال الرسول ﷺ: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل هو يشتكي من عينيه ودعا له الرسول فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية[3].

وتنـاول علي بابـاً عنـد حصن خيبـر فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يديه وهو يقاتل حتى فتح الله خيبر ثم ألقاه، وعجز ثمانية نفر عن قلب ذلك الباب[4].

في أول معـركـة كانت بين الكفـر والإيمـان، من الـذي تصـدى لعتبـة وشيبـة والـوليـد بن عتبة سادات بني أمية وقتلهم؟. هنالك اجماع على أنهم: علي والحمزة وعبيـدالله بن الحـارث، وكلهم من العتـرة الطـاهـرة، ومقتل هؤلاء الأمويين أجج نار الحقد والكراهية على علي.

---

(١) راجع الامام والسياسة ص٧٠-٧٢ لابن قتيبة.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨ و٩ و٢٩ و٣١ و٤٩ و٥٨ و٥٩ و٧٤ و١٠٦ و١٥.

(٣) راجع مسلم وبخاري والطبراني واكثر المؤرخين واصحاب السنن.

(٤) رواه مسلم وبخاري راجع ص١٦٧ من تاريخ الخلفاء للسيوطي.

في غزوة الخندق، من أجاب عمرو بن ود وهو يقول: ولقد بححت من النداء لجمعهم هل من مبارز؟، لم يجبه غير علي[1].

من قتل العاص بن سعد بن العاص، وحنظلة بن أبي سفيان والحارث بن عامر بن نوفل والعاص بن هشام بن المغيرة وخال أمير المؤمنين عمر، من قتلهم غير علي؟[2].

سل بدراً، وأحد وخيبر وحنين، سل كل المواقع، متى هرب علي أو تقاعس رجل واحد من العترة الطاهرة عن نصرة الإسلام؟، من يدعي بأنه بزهم، من يدعي بأنه قدم أو ضحى أكثر منهم.

(إلْهُم الغُرْم وللناس الغَنم)، ما لكم كيف تحكمون؟!.

— الخلاصة من الأدلة:

تلك السنن أعطت علياً من المنازل ما لا يجوز على الله تعالى وأنبيائه إعطاؤها إلا لخلفائهم وأُمنائهم على الدين وأهله، فإذا لم تكن دالة على الخلافة بالمطابقة، فهي كاشفة عنها البتة ودالة عليها لا محالة بالدلالة الإلزامية واللزوم فيها بيّن بالمعنى الأخص.

وحاشا لسيد الأنبياء أن يعطي تلك المنازل إلا لوصيه من بعده ووليه في عهده.

ومن سبر غور السنن المختصة بعلي وعجم عودها بروية وانصاف وجدها بأسرها ترمي إلى إمامته وتدل عليها إما بدلالة المطابقة كالنصوص السابقة وكعهد الغدير، وإما بدلالة الإلتزام كباقي السنن. أُنظر إلى قوله ﷺ: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض»[3].

ولاحظ قوله ﷺ: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني»[4].

---

(١) راجع جـ٢ ص٦٨ من الطبقات لابن سعد.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٧ـ١٨.

(٣) راجع المراجعات للامام العاملي ص٢١٣ وراجع ص١٢٤ جـ٣ من المستدرك للحاكم وقد اخرجه الذهبي في تلخيصه وصرحا بصحته.

(٤) اخره الخطيب ونقله عنه بن حجر في صواعقه ص٧٥.

الفصل الرابع

استذكار للجهات التي تعين رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي :

تشترك في تعيين الإمام أو الخليفة أو الولي أو رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي جهتان :

- **الجهة الأولى**: الشرع . فالله سبحانه وتعالى هو الذي اختار محمداً ﷺ نبياً ووجهه وتكونت عناصر الدولة فسماه إماماً ووليًا فبايعه الذين آمنوا به إماماً للدولة . وقبل أن يموت رسول الله ﷺ سمى خليفته بناء على أمر ربه كما أثبتنا ذلك بالأدلة القاطعة التي سقناها في معرض بحثنا عن موقف الشرع من تسمية الإمام الجديد أو ولي العهد .

- **الجهة الثانية**: فإذا اختارت الأمة طريق السعادة تقر اختيار الله ورسوله وتقوم بمبايعة ولي العهد .

يتقدم أهل الشورى فيبايعون ولي العهد بيعة خاصة . ثم يتبعهم العامة ويبايعون ولي العهد بيعة عامة . فإذا فعلت الأمة ذلك فقد تحول ولي العهد إلى إمام وتمكن من رئاسة الدولة ومن ممارسة مهام تلك الرئاسة .

وإن لم تبايعه الأمة ، يتعذر عليه أن يصبح رئيساً للدولة وأن يمارس مهام رئاسة الدولة . ولكن عدم تمكنه من ممارسة مهام رئاسة الدولة لأن الأمة لم تبايعه ولم تطعه ، لا ينفي عنه حقيقة أن الله أو رسوله أو الشرع قد اختاره إماماً .

فعندما اختار الشرع علياً بناء على أوامر الله وسماه خليفة لرسول الله ﷺ ووليًا لعهده ، ولأن الأمة لم تبايعه نتيجة مقادير بل بايعت سواه ، فقد أصبح الخليفة أو الإمام أو الحاكم الفعلي شخص آخر وليس علي ، لأن الأمة لم تبايع علياً

ولكن هذا لا ينفي عن علي حقيقة أن الرسول ﷺ سماه إماماً ووليًا لعهده ، وخليفته من بعده ، ولكن لا سلطة فعلية له على الأمة إلا السلطة الدينية في نظر الشرع .

— كيف تمارس الأمة حقها بالمساهمة بتعيين الإمام:

تمارس الأمة حقها بالمساهمة بتعيين الإمام بواسطة البيعة. فإذا بايعت الأمة الإمام يصبح إماماً ويتمكن من القيام بمهام رئيس الدولة بناء على تسمية الشرع من جهة وبناء على البيعة من جهة أخرى.

وإن لم تبايعه الأمة، يبقى إماماً مسميً ولكن لا سلطة له على الأمة إلا السلطة الدينية في نظر الشريعة ونظر الشيعة. لأن السلطة الفعلية عملياً بيد سواه.

ويبدو أنه بهذه النقطة تتفق الفرقتان، أهل السنة وأهل الشيعة وهي أن: الإمام لا يصبح إماماً فعلياً إلا إذا بايعته الأمة. وبتعبير أدق الخليفة لا يصبح خليفة إلا إذا بايعته الأمة.

البيعة

— معنى البيعة لغةً:

المعاهدة، والمعاقدة، والإتفاق، وهي عقد حقيقي لأنها تكون بين جانبين. وهي مأخوذة: بايعه أي عاهده[1].

— معنى البيعة اصطلاحاً:

وتعني اصطلاحاً أيضاً الإتفاق والمعاهدة والمعاقدة وهي عقد. وقد أمر الله بالوفاء بالعقود في محكم التنزيل، قال تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسوف يؤتيه أجراً عظيما﴾[2]. وقال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا﴾[3].

(١) راجع لسان العرب لابن منظور مادة بايع.
(٢) سورة الفتح آية رقم ١٠.
(٣) آية ١٨ من سورة الفتح.

وهنـالـك إجمـاع بأن سبب نزول هاتين الآيتين كان في صلح الحديبية خلال فترة مفاوضاته مع قريش، وعندما أصرت على منع الرسول وأصحابه من دخول مكة، وأشيع بأن قريشاً قتلت رسوله فأخذ البيعة من أصحابه الموجودين على مناجزة قريش الحرب وعلى أن لا يفروا ولا يولوا الأدبار. . .[1].

ونـلاحـظ أن البيعـة وردت في هاتين الآيتين بمعنى اصطلاحي محدد وينطبق تمـامـاً على المعنى اللغـوي وهـو اتفـاق بين الرسول من جهة، وبين أصحابه الذين حضروا هذا الاتفاق من جهة ثانية على نقاط محددة، قال الرسول أنها ترضي الله وأنه يتعاقد معهم نيابة عن الله.

أي أن الـرسـول ﷺ طرف حقيقي، وأن الذين بايعوه طرف آخر، وأن مضمون العقد منسجم مع الشرع وفي خدمته.

فالمبايعة إذن، عبارة عن طرفين، وهما بهذه الحالة:

١ - الله عز وجل ورسوله الكريم من جهة، والصحابة الذين بايعوا من جهة أخرى.

٢ - على مضمون أو موضوع، وهو: الطاعة للقيادة وهو الرسول ﷺ، وعلى الحرب وعلى عدم الفرار من الحرب.

٣ - على نظام أساسي نظم هذا الاتفاق وهو الإسلام كله، وهو المرجع في حل كل خلاف ينشأ بين المتعـاقـدين. وهـو عقـد ضمن دائـرة الإسـلام التي تنظم كل عهوده وعقوده.

وقـال تعـالى: ﴿يـا أيهـا النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئـاً ولا يسـرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن﴾[2].

وفي هذه الآية أيضاً نواجه نفس المواقف ونفس التحليل يفرض فرضاً طبيعياً علينا.

---

(١) راجع محاسن التأويل للقاسمي جـ١٥ ص٥٤٠١ و ص٥٤١٦ وما بعدها كما نقل ذلك ظافر القاسمي في كتابه نظام الحكم ص٢٥١-٢٥٢.

(٢) سورة الممتحنة الآية ١٢

— البيـــان :

ولأن مهمة الرسول الأولى أن يبين للناس ما نزل إليهم من ربهم، فإن علينا أن نتتبع أقوال الرسول وأفعاله وتقاريره لنفهم المعنى الإصطلاحي لكلمة البيعة.

(أ) في بيعة العقبة الأولى :

بايعهم الرسول ﷺ كمبايعة النساء، على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا، ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم، وأن يطيعوا الرسول، وأن لا يأتوا ببهتان يفترونه. ومقابل ذلك: إن وفوا، فلهم الجنة. وإن غشوا من ذلك شيئاً، فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

كأن المبايعة هنا تذكرة دخول في المجتمع المسلم، والإلتزام بقوانينه ومبادئه، وإطاعة قيادته المتمثلة برسول الله ﷺ ومن يعينهم الرسول بمساعدته.

(ب) في بيعة العقبة الثانية :

بايعهم الرسول ﷺ أن يمنعوه كما يمنعون نساءهم وأولادهم، أي أن يحرصوا على قيادته وهو الرسول ومساعدوه تماماً كما يحرصون على نسائهم وأولادهم[1].

وهذا العقد جزء من النظام الأساسي للعقد أو الشروط العامة وهو الإسلام.

— ونسجل على ذلك ثلاثة اشارات :

١ - إن كل مبايع التزم بالشريعة كقانون للمجتمع المسلم.

٢ - إن كل مبايع أقر بقيادة الرسول ﷺ للمجتمع الجديد والتزم بطاعته.

٣ - كل مبايع التزم بالتصورات الشرعية لمستقبل المجتمع المسلم، حتى أن أحدهم قال: إنكم تبايعونه على حرب الأسود والأحمر من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه، فهو والله إن فعلتم خزي في الدنيا والآخرة.

فأجابه المبايعون أننا نأخذ النبي على مصيبة الأموال وقتل الأشراف. وبالمقابل، قال لهم النبي ﷺ: إن وفيتم فلكم الجنة.

(١) راجع سيرة بن هشام جـ١ ص٤٣٢-٤٣٣ و٤٤٦.

ويلاحظ أن مصيبة الأموال وقتل الأشراف لم تكن من مضمون البيعة أو موضوعها، لكنها فهمت من إطار الإسلام كنظام يجري هذا العقد ضمن اطاره.

— شكل البيعة:

قال المبايعون لرسول الله ﷺ: أبسط يدك نبايعك، فبسط يده فبايعه كل واحد منهم على هذا الأساس، وبتمام المصافحة يتم عقد البيعة، وهذا هو شكل البيعة المحمدية.

فقال أحد المبايعين بعد تمام المصافحة، وهو العباس بن عبادة: إن شئت لنميلن عليهم بأسيافنا. فقال الرسول ﷺ: لم نؤمر بذلك، ولكن إرجعوا إلى رحالكم.

— مضمون البيعة:

١ - يعني مضمون البيعة كأساس اطاعة الرسول كقيادة أو اطاعة الإمام أو خليفة الرسول كقيادة أيضاً. والرسول أو الخليفة الشرعي يتعامل مع المبايعين نيابة عن الله والذين بايعوه في الحقيقة قد بايعوا الله.

٢ - الإلتزام بالشريعة الإسلامية كاطار عام للبيعة، والإلتزام بنصوصها ومقاصدها وقول الرسول ﷺ جزء من الشريعة.

٣ - الإلتزام بمناسبة البيعة أو الدافع لها، ففي صلح الحديبية كان الدافع للبيعة تشديد العزم وتوطيده لمناجزة قريش الحرب وعدم الفرار من هذه الحرب. وقد تكون البيعة على الإسلام، وبايع الرسول أناساً على الإيمان، وبايعهم على الشهادة، وعلى الطاعة، والتوحيد، وعلى اجتناب الكبائر، وعلى الهجرة، والموت، والصبر، وبايعهم صلى الله عليه وآله وسلم على فرائض الإسلام[1].

— البيعة السياسية:

كل الذين أسلموا بايعوا الرسول وارتضوا برئاسته لهم وولايته عليهم ضمناً وصراحة وبإمامته ورئاسته للدولة ضمناً وصراحةً أيضاً.

---

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ/ للقاسمي ص٢٥٦-٢٥٨.

كل الـذين أسلمـوا بايعـوا رسول الله على الإلتزام بشرع الله، وهي عبارة تعني الإسـلام كله، قرآنـه ونبيـه. وأهم بنـد في المبـايعـة، هي طاعـة الرسول ﷺ كقيادة وكناطق باسم الشريعة ومفسر لها.

وعليـه، فإن الـذين يـبايعـون الخليفـة من بعـد الرسول يبايعون كإمام وخليفة للرسول، ويتعاهد وإياهم على تطبيق الشريعة والسير على طريق الرسـول ﷺ.

— أهمية البيعة السياسية:

من الناحية الشرعية، لا يصبح الإمام رئيساً للدولة إلا إذا بايعته الأمة. فمبايعة الأمة له، يعني اقرارها له بالطاعة، والتزامها بقيادته ضمن الشرع، ويعني أن الخليفة ملتزم معها بالشرع أيضاً.

ومن لا تبـايعـه الأمـة، لا يصبـح رئيسـاً لهـا، حتى وإن كان مسمىً بالشرع، فطاعة الرسول المعبر عنها بالبيعة ركن أساسي وفعلي لممارسة الإمام لمهام الرئاسة للدولـة. وهـذا هو السـر بحـرص كل الـذين حكموا طوال التاريخ الإسلامي على أن يحصلوا على بيعة الأمة ولو بالإكراه.

— رضائية البيعة:

عهْـد الـرسـول ﷺ تشـريـع، لأنـه سنـة عملية وسوابق دستورية، ولـم يرو أي محـدث أو مؤ رخ أو باحث ولم يذكـر قط أن الـرسـول ﷺ قد أكره مخلوقاً على البيعة أبداً، مع أنه كان إمام المسلمين وسيدهم، والإمام معناه رئيس الدولة، ومع أن دولته كانت تضم:

١ ـ المهاجرين معه وإليه.
٢ ـ الأنصـــار.
٣ ـ اليهـــود.
٤ ـ المشـركيـن.

فمثـلاً، المسلم سواءاً كان من الأنصـار أو المهـاجرين يجب أن يطيع الرسول ﷺ، وكلهم أسلموا باختيارهم وبايعوا برضاهم. والمسـلم من الأنصار والمهاجرين،

بايـع مختـاراً وهاجر مختاراً وبرضاه أو آوى مختاراً وبرضاه وسلموا برضاهم واختيارهم قيادتهم للرسول ﷺ والتزموا بشريعة الدولة وما أُجبروا على الإسلام.

المنافق: فعل ما فعله المسلمون من حيث الظاهر بغير إكراه، هكذا إدعى لم يتدخل الرسول في نواياه وترك ضميره لله تعالى.

اليهودي: يلتزم بالقوانين المرعية بناء على اتفاقه ورضاه، لكن الرسول ﷺ لم يجبـر أي مخلوق يعيش في الـدولـة الإسـلامية على البيعة، مما يؤكد أن البيعة في الإسلام بيعة رضـائية تماماً، ولا مجال للإكراه فيها، وهي عقد ككل العقود، والعقود رضائية.

وإذا أُستعمـــل الإكـــراه في زمن أبي بكـر أوعمـر أوعثمـان، وزمن الأمـويين والعباسيين، فلا علاقة للإسلام كنظام بهذا الإكراه ولا يقره.

والإكراه، علاقة بين المُكْرِه والمُكْرَه، والإسلام بريء منه.

أهل يثرب أتوا الرسول وبايعوه في العقبة الأولى بالرضا، ونشروا دينه بالرضا، وأهل يثرب أتوه في العقبة الثانية بالرضا، وبايعوه بالرضا، وطلبوا منه أن يهاجر إليهم بالـرضـا، واستعدوا لمصيبة الأموال وقتل الأشراف بالرضا، وقبلوا أن يحاربوا الأحمر والأسود بالرضا، ورضوه إماماً للدولة بالرضا أيضـاً.

والمهـاجـرون، بايعـوه ودخلوا في دينـه بالرضا، وانتقلوا إلى مجتمعه وسلموه ولايتهم بالـرضــا، وحـاربـوا معـه بالـرضــا. حتى أن أهـل يثـرب (المسلم والمنافق واليهودي والمشرك) استقبلوا محمداً ﷺ بالرضا، حتى أن عبدالله بن أُبيّ دعاه ليكون في ضيافته، وهو المنافق الشهير، ومع هذا برضاه. وعقد الجميع اتفاقية اعترفوا فيها برئاسته للدولة، واختصاصه بفصل الخصومات بالرضا[1].

وأبى علي أن يبايع إلا في المسجد، وعن رضا المسلمين. كما سأوثق ذلك[2].

---

(١) راجع سيرة بن هشام جـ١ ص٥٠١ وراجع مجموعة الوثائق السياسية محمد حميدالله ص١٥ وما بعد وراجع فقه السنه سيد سابق آخر الجزء الثاني، وراجع نظام الحكم للقاسمي وراجع الرسول العربي وفن الحرب عند العرب لمصطفى طلاس

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٢٤٢ وراجع ص٤٢٧ و٤٢٩ و٤٣٢ جـ٤ من تاريخ الطبري كما نقلها صاحب نظام الحكم.

- **مكان البيعة:**

البيعة السياسية، بيعة الناس للإمام الجديد، ومكانها المسجد. لأن الشرع عين علياً مبيناً للأمة بعد الرسول. وقد أتى الناس علياً وقالوا له: أنت أحقُّ بهذا الأمر، وحاولوا بيعته في بيته، لكنه رفض.

وأمام اصرار الناس، قال الإمام: فإن بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، ويجب أن تكون في المسجد.

قال عبدالله بن عباس: فكرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه الناس، وأبى هو إلا في المسجد، فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ومن ثم بايعه الناس.

ففي المسجد، تكون عن رضا المسلمين، ولم تتكرر هذه الطريقة على النحو الذي تمّت فيه من الإصرار على الشورى(١).

- **أنواع بيعة الأمة للإمام:**

عرف النظام السياسي الإسلامي مرحلتين أو نوعين من البيعة السياسية:

١ - البيعة الخاصة:

وهي مبايعة الخاصة أو أهل الشورى للإمام، ويتألفون من فئتين من الناس:

أ - القرابة الطاهرة.

ب - أفاضل الصحابة.

٢ - البيعة العامة:

وهي مبايعة عامة الناس للإمام، ويبايعه كل الذين يقولون (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، مباشرة أو بالنيابة.

---

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٢٤٢.

الفصل الخامس

ويمارسها أهل الشورى، وهم:

(أ) أهل البيت، العترة بنو هاشم، بنو عبدالمطلب.

(ب) أفاضل الصحابة: وسنفصل ذلك في حينه.

— ما معنى أهل البيت؟ وما معنى العترة، لغةً؟.

معنى الأهل: من الأهالة، والأهالة لغة الودك، والمستأهل هو الذي يأخذ الأهالة[1]، والودك دسم اللحم[2]، والبيت عيال الرجل[3]، والعترة نبت يتداوى به، وعترة الرجل نسله ورهطه الأقربون[4]، والعترة والعتيرة بوزن الذبيحة وهي شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم[5]، والأهل والأقارب والعشيرة والزوجة وأهل الشيء أصحابه، وأهل الدار سكانها[6]، والأهالة الشحم، الزيت، وكل ما أؤتدم به[7]، والعترة تعني الأهل.

— معنى أهل البيت اصطلاحاً:

في القرآن الكريم: وردت كلمة (أهل البيت) في القرآن الكريم مرتين:

١ - ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت...﴾ عن إبراهيم[8].

٢ - ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...﴾ عن محمد[9].

- وردت كلمة (البيت) بمعنى المسجد الحرام ١٥ مرة[10].

- وردت كلمة (أهل) بمعاني مختلفة ٥٤ مرة[11].

---

(١) مختارات الصحاح للرزاي ص٣١.

(٢) ختارات الصحاح للرازي ص٧١٥.

(٣) مختارات الصحاح للرازي ص٧٠.

(٤) مختارات الصحاح للرازي ص٤١٠.

(٥) سورة هود الآية_٧٣.

(٦) سورة الاحزاب الآية ٣٣.

(٧) راجع الآيات ١٢٥ و١٢٧ و١٥١ من سورة البقرة و٢٥ من الانفال و٧٣ من هود و٢٦ و٢٩ و٣٣ من سورة الحج و٩٦ و٩٧ من آل عمران و٢ و٩٧ من المائدة و٣٣ من الاحزاب و٤ من الطور ٢٧ من سورة إبراهيم.

(٨) راجع المعجم المفهرس للقرآن الكريم وجرب احصاءها.

— أهل البيت في السنة المطهرة (بيان الرسول ﷺ):

ولفهم معنى أهل البيت، يجب أن نراجع البيان، وهو قوله ﷺ وفعله وتقريره، وسنتبع ذلك من خلال عرضنا لما وقع في أيدينا من سننه ﷺ.

١ - قالت أم سلمة: في بيتي نزلت ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. . .﴾ وفي البيت فاطمة وعلي وحسن وحسين، فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[1].

٢ - قالت أم سلمة: إن النبي كان في بيتها على منامة له عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة، فقال ﷺ ادعي زوجك وابنيك حسناً وحسيناً، فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبي. . . فأخذ النبي بفضلة كسائه فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السماء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالها ثلاث مرات. قالت أم سلمة، فأدخلت رأسي في الستر فقلت يا رسول الله وأنا معكم؟، فقال أنت إليّ خير مرتين[2].

٣ - وأخرج الإمام أحمد، وأخرجه الطبراني عنها من طريقين نحوه[3].

٤ - أخرج بن مردويه والخطيب من حديث أبي سعيد الخدري نحوه[4].

٥ - عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، ذكر حديث أم سلمة[5].

٦ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرجّل من شعر أسود، فجاء الحسين والحسن فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها

---

(١) راجع فتح الغدير للشوكاني جـ٤ ص٢٧٩ وقد نقله عن الترمذي، وابن جرير، وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي من طرق عدة.

(٢) راجع فتح الغدير من ص ٢٧٩ جـ٤ وقد نقله عن ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

(٣) راجع فتح الغدير للشوكاني جـ٤ ص٢٧٩ وما فوق لغاية ٢٨٠.

(٤) راجع فتح الغدير للشوكاني جـ٤ ص٢٧٩ وما فوق لغاية ٢٨٠.

(٥) راجع فتح الغدير للشوكاني جـ٤ ص٢٧٩ وما فوق لغاية ٢٨٠ ونقله عن الترمذي وابن جرير والطبراني وابن مردويه.

معه، ثم جاء علي فأدخله معه، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. . .﴾[1].

٧ - وعن واثلة بن الأسقع، قال: جاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة ومعه حسن وحسين وعلي حتى دخل، فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه، ثم لفَّ عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجل أهل البيت ويطهركم تطهيراً. . .﴾، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم. قلت يا رسول الله: وأنا من أهلك، قال ﷺ: وأنت من أهلي[2].

٨ - عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج لصلاة الفجر، ويقول: «الصلاة يا أهل البيت. . الصلاة ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[3].

٩ - وأخرج مسلم عن زيد ابن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: اذكركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد ومن أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: لا، ولكن من حرم الصدقة بعده وهم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر[4].

١٠- وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لحديث أم سلمة طرقاً كثيرة في مسند الإمام أحمد وأضاف جزءاً من خطبة الرسول ﷺ يوم غدير خم. أما بعد: ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأني تارك فيكم الثقلين، أحدهما: كتاب الله فيه النور والهدى، واستمسكوا بكتاب الله. ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي[5].

---

(١) راجع فتح الغدير للشوكاني جـ٤ ص٢٧٩-٢٨٠ ونقله عن ابن شيبه واحمد ومسلم وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم.

(٢) راجع فتح الغدير للشوكاني جـ٤ ص٢٧٩-٢٨٠ ونقله عن ابن أبي شيبه وأحمد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبران والحاكم وصححه والبيهقي في سننه. وله طرق عدة في مسند الامام أحمد.

(٣) راجع فتح الغدير للشوكاني ص٢٨٠ جـ٤ وقد نقله عن ابن ابي شيبه واحمد والترمذي وحسنه، وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٤) راجع فتح الغدير للشوكاني ص٢٨٠ جـ٤ نقله عن مسلم.

(٥) راجع تفسير القرآن العظيم لا بن كثير جـ٣ ص٤٨٦ وراجع طرق رواية بن كثير لحديث أم سلمه ومن رووا تلك الاحاديث جـ٣ ص٤٨٣-٤٨٦.

- **الإجتهاد في معرض النص:**

يقولون: أن أهل البيت الذين عنتهم آية التطهير، هم:

١ - زوجات الرسول ﷺ، وهذا قول عكرمة ومعه نفر مثل عطاء الكلبي ومجاهد وقتادة[١].

٢ - وروي أيضاً عن الكلبي ومجاهد وقتادة أن أهل البيت في آية التطهير، هم: علي وفاطمة وحسن وحسين خاصة[٢]. ويدعم أهل الإجتهاد رأيهم القائل بأن هذه الآية خاصة بأزواج الرسول ﷺ حتى أن عكرمة كان يقول: من شاء باهلته بأنها نزلت بأزواج الرسول.

٣ - ويجدر بالذكر أن هذه الآية قد نزلت قبل أن يدخل عكرمة في الإسلام، فمن المعروف أنه طليق رضي الله عنه.

٤ - وهنالك فئة ثالثة ترى أن أهل البيت شاملة للزوجات بسبب سياقها ولعلي وفاطمة والحسن والحسين بسبب النسب[٣].

٥ - وهنالك فئة ترى أن أهل البيت هم: بنو هاشم أو بتعبير أدق: بنو عبدالمطلب. واستدلوا بحديث ابن عباس، ويقول زيد أنهم الذين حرموا من الصدقة.

٦ - وذكر الزمخشري في كشافه أنه نصب على النداء أو المدح، مما يوحي بتسليمه ضمناً بأن قرابة الرسول هم أهل البيت[٤].

٧ - وذكر الخازن في تفسيره المسمى لباب التأويل موجز ما سبق ذكره[٥].

٨ - ومما قاله أيضاً: أن أهل البيت قد حرموا من الصدقة وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس[٦].

---

(١) راجع ص٢٧٨ جـ٤ من فتح الغدير للشوكاني.

(٢) راجع جـ٤ ص٢٧٨-٢٧٩ من فتح الغدير.

(٣) راجع جـ ٤ ص ٢٨٠ من فتح الغدير.

(٤) راجع الكشاف للزمخشري جـ٣ ص٢٦٠.

(٥) راجع تفسير الخازن جـ٥ ص٢٥٩.

(٦) راجع تفسير الخازن جـ٥ ص٢٥٩.

— توضيح المعنى الإصطلاحي بمزيد من البيان المحمدي:

١ - قال ﷺ: «إن الله قسم الخلق إلى قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً. ثم جعل القسمين أثلاثاً، فجعلني في خيرهما ثلثاً، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، ثم جعل القبائل (بيوتاً)، فجعلني في خيرها (بيتاً)، وهذا معنى قوله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب»[1].

٢ - قال ﷺ: «إن الله قسم أهل الأرض إلى قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، ثم قسم النصف إلى ثلاث، فكنت في خيرها ثلثاً. ثم اختار العرب من هذا الثلث، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبدالمطلب، من بني هاشم، ثم اختارني من بني عبدالمطلب»[2].

٣ - وقال ﷺ: «إن الله اختار العرب، فاختار كنانة من العرب، واختار قريشاً من كنانة، واختار بني هاشم من قريش، واختارني من بني هاشم»[3].

٤ - قبل خروج المسلمين لمعركة أُحد، قال ﷺ للمسلمين: «إني رأيت والله خيراً، رأيت بقراً تذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني دخلت في درع حصينة»، وذكر ابن هشام أن الرسول ﷺ أوّل رؤياه بما يلي:
«البقر: أناس من أصحابه يذبحون ويقتلون، والدرع الحصينة: هي المدينة المنورة، و(الثلم) - وهذا ما يعنينا - رجل من أهل بيته يقتل، وكان المقتول فعلاً في معركة أُحد حمزة عليه السلام.

— كشف الغموض عن طريق بيان وظيفة أهل البيت:

ما ذكرناه من الأحاديث بيّنٌ وجليّ، ولو لم يكن خاص بأهل البيت ما كثر فيه الجدال، ولكان حديث رسول الله ﷺ مسك الختام. ولكنهم يجادلون مما يستدعينا لإقناعهم أن نبين وظيفة أهل البيت، لعلهم يذكرون أو تحدث لهم تلك الأحاديث ذكراً.

(١) راجع الشوكاني فتح القدير جـ٤ ص٢٨٠ وقد نقله عن الترمذي والحاكم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢١.

١ - قال ﷺ: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي»[١].

وظيفة أهل البيت، كما حددها الشرع مع كتاب الله: منع ضلال هذه الأمة مما يدل دلالة قاطعة على أن أهل البيت هم العترة الطاهرة، والعترة لغة نسل الرجل ورهطه الأقربون.

٢ - قال ﷺ: «... كتاب الله حبل ممدود... وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض»[٢].

هل يعقل أن تكون هذه وظيفة النساء؟، وهل يعقل أن لا يترك محمداً قيماً على دينه غير النساء؟.

٣ - قال ﷺ: «... كتاب الله... وعترتي أهل بيتي...»[٣].

هذا دليل قاطع أن العترة هم أهل البيت أنفسهم.

٤ - قال ﷺ: «... إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي»[٤].

٥ - ولما رجع ﷺ من حجة الوداع، قال: «كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الأخر، كتاب الله وعترتي، ثم قال: إن الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم أخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه، فهذا علي مولاه»[٥].

٦ - وقال أثناء مرضه ﷺ في حجرته: «أيها الناس، يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة، ألا إني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها، فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقا حتى يردا على الحوض»[٦].

---

(١) راجع ص٤٤ جـ١ من الكنز وقد نقله عن الترمذي والنسائي وراجع مختارات الصحاح ص٤١٠ للرازي.

(٢) راجع ص٤٤ جـ١ من كنز العمال الحديث ٨٧٤ ورواه الترمذي.

(٣) راجع مسند الامام أحمد ص١٨٢ و١٨٩ جـ٥ راجع ص٤٧ جـ١ من كنز العمال وقد اخرجه أبويعلي وابن أبي شيبه وابن سعد.

(٤) راجع الحاكم في المستدرك ص١٤٨ جـ٣ واخرجه الذهبي وصرح الاثنان بصحته.

(٥) راجع ص١٠٩ جـ٣ من المستدرك وص٥٣٣ واخرجه الذهبي في تلخيصه واعترف بصحته.

(٦) راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص٥٥.

٧ - ويبدو أن المراد بأهل البيت هم أئمة العترة الطاهرة، لأن هذه المنزلة ليست إلا لحجج الله والقوامين بأمره، بحكم العقل والنقل ودليل ذلك قوله ﷺ: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»(١).

٨ - قال ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس»(٢).

٩ - قال ﷺ: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين»(٣).

وأنت تلاحظ من الحديثين الأخيرين استحالة أن تكون نساء النبي من أهل البيت الذين يعنيهم القرآن الكريم والرسول ﷺ بأحاديثه المطهرة.

— توضيح المخول بالبيان بعد الرسول ﷺ:

لقد خول الشرع علياً ببيان ما تختلف فيه الأمة من بعد الرسول ﷺ، وقد عينه الله هادياً كما ثبت. فها هو علي يقول:

١ - (إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم)(٤).

٢ - وقال علي أيضاً: (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوه ذلك عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل)(٥).

٣ - وقوله أيضاً: (عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، لها فروع طوال وشجرة لا تنال)(٦).

---

(١) راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص٥٥.

(٢) اخرجه الحاكم ص١٤٩ جـ٣ من امستدرك وقال انه حديث صحيح.

(٣) راجع ص٩٠ من الصواعق المحرقة.

(٤) راجع شرح النهج جـ ٢ ص١٤٠.

(٥) راجع جـ٢ ص٤٣ الخطبه ١٤٣.

(٦) راجع ص١٨٩ جـ١ من النهج خطبه ٩٠.

٤ ـ وقال عليه السلام: (أنظروا أهل بيت نبيكم، فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى. فإن لَبَدوا ،فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا)(١).

٥ ـ وقال أيضاً: (نحن النجباء، وافراطنا افراط الأنبياء، وحزبنا حزب الله، والفئة الباغية حزب الشيطان، من سوّى بيننا وبين عدونا فليس منا)(٢).

٦ ـ وقال الإمام أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين: (ومن الموثوق به على ابلاغ الحجة، وتأويل الحكم، إلا أعدال الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى، الذين احتج الله بهم على عباده، ولم يدع الخلق سدىً، من غيرهم حجة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب)(٣)؟

---

(١) راجع ١٨٩ جـ١ من النهج خطبه ٩٣.

(٢) راجع ذلك في اواخر باب وصية النبي بهم من الصواعق المحرقة ص١٣٧.

(٣) راجع ص٩٠ من الصواعق المحرقة باب ١١.

[تعليـــق]

ثم لو تجاهلنا كل تلك النصوص تقديراً للواقع التاريخي الذي حدث وحتى لا نخدشه، ومعذرة عن الذين أذلوا أهل البيت - مع أن هذا التجاهل فوق قدرتنا - فإنه من غير الممكن أن يكل الرسول مستقبل هذا الدين إلى نسائه. وعقلاً فقد تموت المرأة وقد تطلق من زوجها أو تطلق نفسها. **ثم أن آيات القرآن الكريم زاخرة بعتاب نساء النبي وبتهديدهن، وشاهدة بتظاهر بعضهن عليه.**

ثم أن اللغة العربية، وهي لغة القرآن الكريم تؤكد أن أهل البيت هم دسمة هذه الأمة، وهي الشجرة التي يتداوى بها، وأن العترة هم أهل البيت، وأن عترة الرجل هم نسله ورهطه الأقربون.

ثم إن الأحاديث الشريفة فسرت النص وبينته بياناً لا يدع مجالاً للشك أو لمتشكك. ولو كانت هذه الأحاديث واردة في شأن غيرهم لمنحوهم مرتبة الأنبياء.

لكن الناس، كما يبدو، أمعنوا في الاعتذار عن الواقع التاريخي، ويعتبرون عترة الرسول ﷺ على وزن العتيرة، وهي الشاة التي كان يذبحها أجدادنا في رجب لآلهتهم، وربما كان هذا هو السر في ذبح ومطاردة وانقاص حق أولئك الذين جعلهم الله أعدال الكتاب وفرض مودتهم على العباد[1].

---

(١) راجع المعنى اللغوي لكلمة أهل البيت ولكلمة عترة وكلمة عتيرة وقد مرت فيما سبق

*** ما هو الدليل الشرعي على أن أهل البيت والعترة الطاهرة من أهل الشورى الذين يبايعون البيعة الخاصة؟.**

— الدليل الأول:

١ - قال ﷺ: «يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[١].

٢ - قال ﷺ: «إني تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله حبلاً ممدوداً من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٢].

٣ - قال ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبلاً ممدوداً ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»[٣].

٤ - قال ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»[٤].

٥ - قال ﷺ: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عز وجل، وعترتي. كتاب الله حبلاً ممدوداً من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٥].

---

(١) اخرجه الترمذي والنسائي عن جابر ونقله عنهما المتقي الهندي في ص١٤٤ جـ١ من كنز العمال.

(٢) اخرجه الترمذي عن زيد بن ارقم ونقله صاحب الكنز ص٤٤ جـ١.

(٣) اخرجه الامام أحمد من حديث زيد بن ثابت بطريقين صحيحين في أول صفحة ١٨٢ والثاني في آخر صفحة ١٨٩ جـ٥ من مسنده وأيضاً اخرجه ابن أبي شبه وأبويعلي وابن سعد عن أبي سعيد وراجع الحديث ٩٤٥ من الكنز ص٤٧ جـ١.

(٤) اخرجه الحاكم في ص١٤٨ جـ٣ من المستدرك ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد على طريق الشيخين ولم يخرجاه واخرجه الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته على شرط الشيخين.

(٥) اخرجه الامام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري عن طريقين احدهما في آخر صفحة ٢٦ جـ٣ من مسنده واخرجه أيضاً ابن أبي شيبه وأبويعلي وابن سعد عن أبي سعيد وهو الحديث ٩٤٥ من احاديث الكنز جـ١ ص٤٧.

٦ ـ ولما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن فقال: «كأني دعيت فأجبت. إني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». ثم قال: «إن الله عز وجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن. ثم أخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . . . » الحديث بطوله[1].

٧ ـ وخطب رسول الله ﷺ بالجحفة، فقال: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإني سائلكم عن اثنين: القرآن وعترتي»[2].

٨ ـ والصحاح الحاكمة بوجوب التمسك بالثقلين متواترة وطرقها بضعاً وعشرين صحابياً، متضافرة وقد صدع بها الرسول ﷺ في أماكن مختلفة[3].

٩ ـ قال ﷺ أثناء مرضه في حجرته الغاصة بالصحابة: «أيها الناس، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، إلا أني مخلف كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها، فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»[4].

١٠ ـ قال ﷺ: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[5].

١١ ـ قال ﷺ: «إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطه في بني إسرائيل، من دخله غفر له»[6].

---

(١) اخرجه الحاكم عن زيد ابن ارقم مرفوعا في ص١٠٩ جـ٣ من المستدرك ثم قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله واخرجه عن طريق زيد في ص٥٣٣ جـ٣ من المستدرك وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه واورده الذهبي في تلخيصه واعترف بصحته.

(٢) اخرجه الطبراني كما في اربعين الاربعين للنبهاني وفي احياء الميت للسيوطي

(٣) راجع المراجعات للامام العاملي ص٥٣.

(٤) راجعه في آخر الفصل ٢ من باب ٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ص٥٧ وراجع تفسيره في الآية الرابعة (وقوفهم انهم مسؤولون) ص٨٩ من الصواعق المحرقة.

(٥) اخرجه الحاكم ص١٥١ جـ٣ من المستدرك بالاسناد لابي ذر.

(٦) اخرجه الطبراني في الاوسط عن أبي سعيد وهو الحديث ١٨ من الاحاديث الاربعين (راجع الاربعين اربعين للنبهاني ص٢١٦ من كتاب الأربعين).

١٢ـ وفي حديث الثقلين عند الطبراني، قال ﷺ: «فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»[١].

١٣ـ قال ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس»[٢].

١٤ـ وخطب ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته، فلا تذهبن بكم الأباطيل»[٣].

١٥ـ قال ﷺ: «واجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العين من الرأس ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين»[٤].

١٦ـ وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع. عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه، وعن محبتنا أهل البيت»[٥].

١٧ـ قال ﷺ: «فلو أن رجلاً صف قدميه بين الركن والمقام فصلى وصام وهو مبغض لآل محمد، دخل النار»[٦].

١٨ـ وحسبنا في ايثارهم على سواهم ايثار الله عز وجل لهم حتى جعل الصلاة عليهم جزءاً من الصلاة المفروضة على جميع عباده، فلا تصح بدونها صلاة أحد من

---

(١) راجع في باب وصية الكلبي من الصواعق ص١٣٥ ثم سله لماذا قدم عليهم في الحديث عمران بن حطامه وامثاله من الخوارج وقدم عليهم في النفير قاتل بن سليمان المرجيء المجسم راجع ص٥٥ من المراجعات.

(٢) اخرجه الحاكم في ١٤٩ جـ٣ من المستدرك عن ابن عباس ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٣) اخرجه أبوالشيخ في حديث طويل ونقله ابن حجر في آخر المقصد ٤ من المقاصد ص١٠٥ من الصواعق «آية المودة في القربى» راجع تفسيرها.

(٤) اخرجه جماعة من اصحاب السنن بالاسناد إلى ابي ذر مرفوعا ونقله الامام الصبان في فضل أهل البيت من كتابه اسعاف الراغبين والشيخ يوسف النبهاني في ص٣١ من الشرف المؤبد وغير واحد من الثقات راجع ص٦٠ من المراجعات.

(٥) لولا ان لهم منصبا من قبل الله يستوجب السمع والطاعة، ما كان مستهم بهذه المثابة، وهذا الحديث اخرجه الطبراني عن ابن عباس ونقله السوطي في احياء الميت والنبهاني وغير واحد من الاعلام.

العالمين صديقاً كان أم فاروقاً أو ذا النورين، بل لا بد لكل من عبد الله بفرائضه أن يعبده في أثنائها بالصلاة عليهم، كما يعبده بالشهادتين، وهذه منزلة عنت لها وجوه الأمة وتخشع أمامها الأبصار[1].

١٩- يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفضل أنكم من لا يصلي عليكم لا صلاة له[2]

٢٠- وقد ذكر الإمام شرف الدين مئات الآيات التي نزلت بأهل البيت وفسرها كذلك فحول المفسرين[3].

— الدليل الثاني:

إن قرابة الرسول الطاهرة من قريش. وقد تواترت الأحاديث التي تحصر رئاسة الدولة بالقريشيين ومشورتهم أمر لا بد منه باعتبار أن الإمام سيكون أحدهم.

١ - قال ﷺ: «الأئمة من قريش ما حكموا فعدلوا، ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا»[4].

٢ - قال ﷺ: «الخلافة في قريش»[5].

٣ - قال ﷺ: «الأمراء في قريش، أبرارها أمراء أبرارها، وفجارها أمراء فجارها»[6].

٤ - قال ﷺ: «إن الأمر لا يزال في قريش ما بقي منهم إثنان»[7].

٥ - قال ﷺ: «إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين»[8].

---

(١) اخرجه الطبراني والحاكم واربعين النبهاني واحياء الميت للسيوطي.

(٢) راجع المراجعات للامام العاملي وهي من مدائح الامام الشافعي ارسلت عنه ارسال المسلمات ونقلها عنه غير واحد كابن حجر في تفسير آية ان الله وملائكته يصلون على النبي ص٨٨ من الصواعق والنبهاني في ص٩٩ من الشرف المؤبد والامام أبي بكر شهاب الدين في رشفة الصادي.

(٣) راجع المراجعات ص٦٥-٧٨

(٤) رواه الامام أحمد

(٥) رواه الترمذي.

(٦) رواه الامام أحمد.

(٧) رواه الشيخان.

(٨) رواه بخاري

٦ ـ قال ﷺ: «الناس تبع لقريش في الخير والشر»[١].

٧ ـ قال ﷺ: «قريش صلاح الناس، لا يصلح الناس إلا بهم كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح»[٢].

٨ ـ قال ﷺ: «النبوة فيهم والخلافة فيهم»[٣]

٩ ـ قال ﷺ: «العلم في قريش والأئمة من قريش»[٤].

— الدليل الثالث:

القرابة الطاهرة صفوة خلق الله، ومن الطبيعي جداً أن يستشاروا وأن يكونوا من أهل الشورى.

قال ﷺ: «خير العرب مضر، وخير مضر بنو عبد مناف، وخير بني عبد مناف بنو هاشم»، ويقول ﷺ: «والله ما افترقت فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما»[٥].

قال ﷺ: «إن الله قسم الأرض إلى قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، ثم قسم النصف إلى أثلاث، فكنت في خيرهما ثلثاً، ثم اختار العرب من هذا الثلث، ثم اختار قريشاً من العرب، ثم اختار بني هاشم من قريش، ثم اختار بني عبدالمطلب من بني هاشم، ثم اختاره ﷺ من بني عبدالمطلب»[٦].

قال عليٌ عليه السلام: «إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم، إلى أن قال: ... اثروا عاجلاً وأخروا آجلاً وتركوا صافياً وشربوا آجناً»[٧].

---

(١) رواه مسلم.

(٢ و٣ و٤) راجع السيرة الحلبية الحاشيه جـ١ ص٣ـ٤ على برهان الدين الحلبي وراجع الجامع للاصول في احاديث الرسول علي ناصيف مجلد ٣ ص٤١٩ وما فوق.

(٥) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص٤ـ١١ والحاشيه ـ السيرة الدحلانية.

(٦) راجع طبقات بن سعد جـ١ ص٢٠ وراجع فتح الغدير للشوكاني جـ٤ ص٢٨٠.

(٧) راجع الخطبه ١٨٥ ص١٥٦ جـ٢ من شرح النهج لابن أبي الحديد.

— الدليل الرابع :

فضل القرابة الطاهرة على الإسلام ونبيه .

فإذا أضيف هذا كله لفضلهم على الإسلام بالمحافظة على حياة نبي الإسلام ، فإن من حقهم أن يكونوا من أهل الشورى ، وأن يبايعوا البيعة الخاصة .

١ - على أثر تهديد زعامة قريش بقتل محمد ، وغياب النبي ﷺ فترة ، جمع أبو طالب بني هاشم وأعطى كل واحد منهم حديدة صارمة . وسار مع الهاشميين والمطّلبيين ونادى ، يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا لا ، فأخبر الخبر وقال للفتيان اكشفوا عما في أيديكم فكشفوا ، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة ، فقال : والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى وإياكم ، فأنكر القوم وكان أشدهم انكارا أبو جهل[1] .

٢ - وأخيراً قررت قريش بكل بطونها مقاطعة بني هاشم وكتبوا كتاباً على بني هاشم ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم ، وحصروا بني هاشم في شعاب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من النبوة ، وانحاز بنو عبد المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه وقطعت عنهم قريش الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، وسمعت أصوات صبيانهم من وراء الشعب فأقاموا في الشعب ثلاث سنين . ثم أطّلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأن الأرض قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم وبقي منها ما كان من ذكر الله . فذكر الرسول ذلك لأبي طالب ، فذكر أبو طالب ذلك لإخوته ، وخرجوا إلى المسجد فقال أبو طالب لكفار قريش أن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط أن الله قد سلّط على صحيفتكم الأرض فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم ، وبقي فيها كل ما ذكر بها الله ، فإن كان ابن أخي صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم ، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه .

قالوا : قد أنصفتنا . فأحضروا الصحيفة ، فوجدوها كما ذكر الرسول ، فسقط في أيديهم ونكسوا على رؤوسهم ، فقال أبو طالب : فعلام نحبس ونحصر وقد بان الأمر؟ ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة ، فقال :

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠٢-٢٠٣ .

اللهم أنصرنا ممن ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحل ما يحرم عليه منا، ثم انصرفوا إلى الشعب.

فتلاءم أناس من قريش على ما صنعوا ببني هاشم فلبسوا السلاح ثم خرجوا إلى بني هاشم وبني عبدالمطلب فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا، ولما رأت قريش ذلك سقط في أيديهم وعرفوا أن بني هاشم لن يسلموا النبي وكان خروجهم في السنة العاشرة من النبوة(١).

وباختصار شديد، كل بطون قريش حاصرت بني هاشم واضطرتهم أن يأكلوا ورق الشجر في شعاب أبي طالب مدة ثلاث سنين بسبب محمد وبسبب حمايتهم له ودفاعهم عنه.

لم تحاصر بنو عدي، ولم تحاصر بنو تيم، ولم تحاضر بنو زهرة، ولم تحاصر بنو الحارث، انما حوصرت القرابة الطاهرة وكل بطون قريش كانت مشتركة بالحصار وتتلذذ بعذاب القرابة الطاهرة. افحين أعز الله الإسلام به، ونصر الإسلام بهم يحرمون حتى ان يستشاروا... ما لكم كيف تحكمون.

الشاذ الوحيد من بني هاشم كان أبولهب، ومع هذا لما نالت قريش من محمد في غياب أبي طالب، جاء أبولهب إلى محمد ﷺ وقال له:

يا محمد، امض لما أردت، وما كنت صانعا إذ كان أبوطالب حيا فاصنعه، لا واللات لا يوصل اليك حتى اموت. وسب ابن الغيطلة النبي، فأقبل أبولهب ونال منه فولىّ وهو يصيح يا معشر قريش صبأ أبوعتبه، فأقبلت عليه قريش، واكد أبولهب انه يمنع ابن أخيه ان يضام حتى يمضي لما يريد. فمكث أياما يذهب ويأتي دون أن يعترضه أحد من هيبة أبي لهب، وما زالت قريش تراود أبالهب حتى تخلى عن النبي(٢).

والخلاصة: لقد تحملت القرابة الطاهرة في سبيل حماية محمد ما لم تتحمله قبيلة من قبائل العرب. فقد حوصرت ثلاث سنوات في شعاب أبي طالب، واشتركت كل بطون قريش بحصارها. ولولا القرابة الطاهرة لما توانت قريش عن قتل النبي

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠٨-٢١٠ وراجع جـ١ من **السيرة الحلبية** ص٣٣٦.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢١٠-٢١١.

وخـوفـا من القـرابة الطاهرة اضطرت قريش ان تختار فتية من كل بطونها لتشترك بقتل النبي ﷺ حتى يضيع دمه، فلا تقوى القرابة الطاهرة على المطالبة بدمه اذا قتل.

يبدو وفقا لقوانين الهوى ان على القرابة الطاهرة الغرم ولغيرها الغنم. الدليل الخاص:

الدليل الخامس:

القرابة الطاهرة هي ناصية قريش في الجاهلية ومن المستحيل عقلا ومنطقا ان تقطع الامور دون مشورتهم.

فهاشم سليل عبد مناف (وعبد مناف هو المغيرة بن قصي بن كلاب) وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله، وهو الجد الثالث للرسول ﷺ[1].

وعندما مات قصي بن كلاب قام عبد مناف بن قصي على امر قصي وامر قريش اليه. وعلى عبـد منـاف اقتصـر رسـول الله ﷺ حين نزلت آيـة: ﴿وانـذر عشيـرتـك الاقربين﴾ اذ صعد رسول الله حتى علا المروه ونادى آل فهر، فتراجع بنو محارب وبنو الحارث، وبنو تيم، وبنو عامر، وبنو عدي، وبنو سهم، وبنو جمح وبنو مخزوم، وبنو تيم بن مره، وبنو زهره، ولم يبق الا بني عبد مناف فعندئذ قال الرسول ﷺ:

«ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين وانتم الاقربون من قريش واني والله لا املك لكم من الله حظا ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فأشهد لكم بها عند ربكم وتدين لكم العرب وتذل لكم بها العجم».

وهكذا يتبين ان عشيرة الرسول الاقربين هم بني عبد مناف[2].

---

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص٧ والطبقات جـ٢ ص١٨١.

(٢) راجع الطبقات جـ١ ص٧٤.

— من هم أولاد عبد مناف؟ :

هم:

١ - المطلب بن عبد مناف

٢ - هاشم بن عبد مناف

٣ - عبد شمس بن عبد مناف

٤ - نوفل بن عبد مناف[١]

موقعهم في الجاهلة على العموم:

يبدو جليا انهم سادة قريش، فقد سادوا بعد ابيهم وكان يقال لهم المجبرون وهم اول من اخذ لقريش العصم، فانتشروا من الحرم فقد أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام الروم وغسان.

واخذ عبد شمس حبلاً من النجاشي الاكبر فاختلفوا بذلك السبب إلى ارض الحبشه.

وأخذ لهم نوفل حبلاً من الاكاسرة فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس.

وأخذ لهم المطلب حبلاً من ملوك حمير فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن.

فجبر الله بهم قريشا فسموا المجبرين[٢].

وكان يقال لهاشم واخوانه عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح النضار «الذهب» ويقال لهم المجبرون لفخرهم وسيادتهم على العرب[٣].

وقد مات هاشم بغزه، وعبد شمس بمكه وقبره بأجياد، ومات نوفل بالعراق، والمطلب بأرض اليمن[٤].

---

(١) راجع الطبقات جـ١ ص٧٥.

(٢) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٨٠.

(٣) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص٥.

(٤) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص٥.

يا ايهـا الـرجـل المحـول رحـله — الا نزلـت بآل عبـد منـاف
هبـلتـك امـك لو نزلـت برحـلهـم — منـعـوك من عدم ومـن اقـراف
الـخـالطـين غنـيهـم بفـقـيـرهـم — حتى يعـود فقيـرهـم كالـكـافي[1]

وقد انقسم اولاد عبد مناف إلى قسمين:

١ ـ بنو هاشم وبنو المطلب يداً واحدة من قديم الزمان إلى اليوم.

٢ ـ بنو عبد شمس وبنو نوفل يداً واحدة من قديم الزمان إلى اليوم[2].

وكانت بيد اولاد عبد مناف كل مناصب الشرف في قريش، من قيادة وسقاية ورفادة.

موقع هاشم في الجاهلية:

اسمـه عمـرو العـلا، وهـو أول من سن الـرحلتين لقـريش ترحل احداهما في الشتـاء إلى اليمن والحبشـة فيكـرمه النجاشي ويحبوه، ورحلة في الصيف إلى الشام وغزه وربما بلغ انقره فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه.

وفي السنين العجاف لم يكن لمكه غير هاشم وفي ذلك يقول الزبعري

عمـرو العلى هشم الثـريـد لقـومـه — ورجـال مكـة مسـنتـون عجـاف[3]

يطعم النـاس ويشبعهم وسمي هاشمـا لذلـك، وكان يقال له أبوالبطحاء وسيد البطحـاء، ولم تزل مائـدتـه منصـوبـة لا ترفـع في السراء والضراء، وكان يحمل ابن السبيـل ويـؤمن الخـائف. وقـد ذكـر انـه كان اذا أهل هلال ذي الحجة قام صبيحته واسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته:

يا معشـر قريش انكم سادة العـرب، أحسنهم وجوها وأعظمهم احلاما، وأوسطهم أنسابا، وأقرب العرب بالعرب أرحاما.

يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله الحرام، أكرمكم بولايته، وخصكم بجواره دون بني اسماعيل، وأنه يأتكيم زوار الله يعظمون بيته، فهم أضيافه وأحق

(١) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٨٠ والسيرة جـ١ ص٥.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٧٩.

(٣) راجع جـ١ ص٧٦ من الطبقات وجـ٢ ص١٧٩ من تاريخ الطبري.

من أكرم أضياف الله أنتم، فأكرموا ضيفه وزواره فانهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر كالقداح، أكرموا ضيف الله وزواره فورب هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتكموه، وانا أخرج من طيب مالي وحلاله، ما لم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ بظلم، ولم يدخل فيه حرام، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل. ـ واسألكم بحرمة هذه البنية ألا يخرج رجل منكم من ماله الا طيبا لم يؤخذ بظلم ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا[1].

فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم العريض
فظل القوم بين مكللات من الشيزاء حائرها يفيض[2]

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه
مر السحاب ولا ريح يجاريه
اجفانه كالجوابي للوفود إذا
لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو أمحلوا أخصبوا منها وقد ملئت
قوتا لحاضره منهم وباديه

وكان هاشم يكنى بأبي أسد[4].

وخرج هاشم إلى أرض الشام حتى بلغ غزه، فاشتكى فأقاموا عليه حتى مات فدفنوه بغزه ورجعوا بتركته إلى ولده.

وأوصى هاشم بن عبد مناف إلى اخيه المطلب.

— ذرية هاشم:

١ ـ شيبه الحمد وهو عبدالمطلب وهو سيد قريش حتى هلك.

٢ ـ عمرو أبوصيفي بن هاشم.

٣ ـ أسد بن هاشم.

٤ ـ نفله بن هاشم.[5].

---

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص٦ والطبقات لابن سعد جـ١ ص٧٨.

(٢) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص٨٠ و جـ١ ص٧٦ من الطبقات.

(٣) السيرة الحلبية جـ١ ص٥.

(٤) الطبقات جـ١ ص٧٩ـ٨٠.

(٥) الطبقات جـ١ ص٨٠.

وله خمس بنات وهن: رقيه، الشفاء، الضعيفه، خالده، وحنه[1].

وباختصار فقد اجمعت قريش على أن تكون السقاية والرفادة لهاشم[2].

قالت ابنته الشفاء ترثيه:

عيـن جودي بعبـرة وسجـوم واسفحي الـدمـع للجـواد الكـريم
هاشـم الخيـر ذي الجـلالـة والمجـد وذي البـاع والنـدى والصميـم[3]

مكانة بني عبدالمطلب بن هاشم في الجاهلية:

عبـد المطلب بن هاشم، مستقـر الخير، وخير العـرب، وخير قريش بنص الشرع. وهو سيد قريش في الجاهلية حتى هلك.

يدعى شيبة الحمـد، لكثرة حمـد النـاس له، ويقال له الفياض لجوده، وهو مطعم طير السماء، فقد كان يرفع مائدة للطير، ومائدة للوحوش على رؤ وس الجبال وهو حليم قريش وحكيمها[4].

وقيـل انـه قد سمي شيبه لانـه كان في رأسـه شيب[5] وهـو الذي عقد الحلف لقريش مع النجاشي في متجرها، وكان شريفاً في قومه مطاعا وسيداً.

اشتـرط والـد سلمى على هاشم ان لا تلد ولـداً الا في أهلها، ثم مضى هاشم في وجهـه. وبعـد عودته إلى يثرب بنى بها، فحملت منه، ثم ارتحل إلى مكة، فلما أثقلت ردها إلى أهلها، ومضى إلى الشام فمات بغزة. فولدت له سلمى عبدالمطلب ومكث في يثـرب سبـع سنين أو ثمـاني سنين. ثم ان رجلاً من بني الحارث مرّ بيثرب فإذا بهـا غلمـان ينتصلون، فجعل شيبة إذا خفق قال ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء فقـال له الحـارث من أنت؟ قال انـا شيبة بن هاشم بن عبد مناف. فلما أتى مكة قال

(١) الطبقات جـ١ ص٨٠.

(٢) الطبقات جـ١ ص٧٨.

(٣) راجع الطبقات جـ١ ص٨٠.

(٤) السيرة الحلبية جـ١ ص٤.

(٥) تاريخ الطبري جـ٢ ص١٧٦.

(٦) الطبقات جـ١ ص٨١.

للمطلب وهو جالس معه ما رآه، فقال المطلب، هذه ناقتي فاركبها والله، لا أرجع إلى اهلي حتى آتي به. ووصل المطلب يثرب، وعرف شيبة لانه شبه أبيه ثم سأل عنه فقال هذا ابن هاشم فان كنت تريد اخذه فالساعة قبل أن تعلم أمه، فدعاه المطلب وقال له انا عمك وقد اردت الذهاب بك الى قومك. فانطلق وقدم به المطلب ضحوه والناس في مجالسهم فجعلوا يقولون من وراءك؟ فيقول عبد لي، واشترى له المطلب حلة فألبسها شيبة ثم خرج به حين العشا إلى مجلس بني عبد مناف وقال المطلب:

عرفت شيبة والنجار قد حفلت ... ابناؤها حوله بالنبل تنتصل
عرفت اجلاده منا وشيمته ... ففاض مني عليه وابل سبل[1]

وكان عبدالمطلب أحسن قريش وجهاً وأمدهم جسماً وأحلمهم حلماً وأشدهم كفاً وأبعد الناس عن كل موبقة تفسد الرجال، ولم يرد ملك قط إلا أكرمه وشفعه وكان سيد قريش حتى هلك.

اتاه قوم من خزاعة، فقالوا نحن قوم متجاورون في الدار، هلم فلنحالفك فأجابهم إلى ذلك. وأقبل عبدالمطلب في سبعة نفر من بني المطلب والأرقم بن نضله بن هاشم والضحاك وعمرو ابن ابي صيفي بن هاشم، ولم يحضره أحد من عبد شمس ولا نوفل. فدخلوا دار الندوة فتحالفوا فيها على التناصر والموالاة، وكتبوا بينهم كتابا وعلقوه في الكعبة وقال عبدالمطلب في ذلك:

سأوصي زبيرا ان توانت منيتي ... بامساك ما بيني وبين بني عمرو
وأن يحفظ الحلف الذي سن شيخه ... ولا يلحدن فيه بظلم ولا غدر
هم حفظوا الآل القديم وحالفوا ... اباك فكانوا دون قومك من فهر

وأوصى عبدالمطلب إلى ابنه الزبير بن عبدالمطلب وأوصى الزبير إلى أبي طالب وأوصى أبوطالب إلى العباس بن عبدالمطلب[2] وكان يكنى بأبي الحارث لأن الأكبر من ولده الذكور اسمه الحارث[3].

---

(١) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٧٧ والطبقات جـ١ ص٨٤

(٢) الطبقات جـ١ ص٨٥-٨٦.

(٣) تاريخ الطبري جـ٢ ص١٧٩

— أولاد عبدالمطلب:

١ - الحارث. ٢ - الزبير. ٣ - عبد مناف (أبوطالب). ٤ - عبدالله. ٥ - الحمزه. ٦ - أبولهب. ٧ - القيدان. ٨ - المقوم. ٩ - ضرار. ١٠ - العباس.[١]

العقب للعباس وابي طالب والحارث وابي لهب.

وكان العدد من بني هاشم في بني الحارث ثم تحول إلى بني أبي طالب، ثم صار في بني العباس[٢].

قال الكلبي: لم يكن في العرب بنواب مثل بني عبدالمطلب اشرف منهم ولا اجسم، شم العرانين، تشرب انوفهم قبل شفاههم قال فيهم قره بن حجل بن عبدالمطلب:

ما في الانام عمومة كعمومتي   خيرا ولا كأناسنا أناسا[٣]

وعبدالمطلب كان مجاب الدعوة في الجاهلية[٤].

تتابعت على قريش سنون ذهبن بالاموال واشفقن على الأنفس، وبناء على رأي رفيقه بنت أبي صيفي بن هاشم، خرج عبدالمطلب هو وجميع ولده وخرج من كل بطن رجل، فتطهروا وتطيبوا واستلموا الركن، ثم راموا رأس ابي قيس، وتقدم عبدالمطلب فاستسقى وأمن هؤلاء خلفه، وان النبي معهم، فتقدم عبدالمطلب وقال:

اللهم هم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك، واماؤك وبنات امائك، فقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف، واشفت على الأنفس فأذهب عنا الجدب وأتنا بالحيا والخصب. فما برحوا حتى سالت الاودية.

قال رقية بنت أبي صيفي

بشيبة الحمد اسقنا بلدتنا   وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر[٥]

---

(١) الطبقات جـ١ ص٨٨.

(٢) الطبقات جـ١ ص٩٤.

(٣) الطبقات جـ١ ص٩٤.

(٤) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص٤.

(٥) راجع الطبقات جـ١ ص٩٠

— عبدالمطلب التقي الحنفي في الجاهلية:

كان يأمر أولاده بترك الظلم، والبغي، ويحثهم على مكارم الاخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور، وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة، فقيل لعبدالمطلب في ذلك فقال، والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيء باساءته، ورفض في آخر عمره عبادة الاوثان، ووحد الله سبحانه وتعالى، وتؤثر عنه سنن مثل:

١ - الوفاء بالنذر، ومنع نكاح المحارم، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموؤ وده، وتحريم الخمر، والزنا، وان لا يطوف في البيت عريان، وكان يكرم الجار، ويرعى الزمام، فقد قاطع حرب بن اخيه لانه قتل جاره اليهودي وترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مئة ناقة دفعها لابن عم اليهودي حفظا لجاره(١).

وكان له امر السقاية والرفادة وشرف في قومه، وعظم في خطره، فلم يكن يعدل به منهم أحداً، وهو الذي كشف ماء زمزم واستخرج ما كان مدفونا فيها غزالان من الذهب واسياف، فجعل الأسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين صفائح من ذهب فكان أول ذهب حليته(٢)

وكانت رؤياه حق، فقد رأى في منامه وعلم كيف يجد ماء زمزم(٣)

وكان يفي بالعقود ولا يظلم ولا يغدر(٤)

وكان يحرم اكل الميتة(٥).

---

(١) السيرة الحلبية جـ١ ص٤.

(٢) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٧٩.

(٣) الطبقات جـ١ ص٨٣ و٨٤.

(٤) الطبقات جـ١ ص٨٥.

(٥) السيرة الحلبية جـ١ ص١٠.

— عبدالله بن عبدالمطلب والد الرسول:

عبدالله والزبير وعبد مناف «ابوطالب» اخوة اشقاء، وامهم جميعا فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم[1].

كان عبدالمطلب قد نذر انه ان توافر له عشرة رهط، ان ينحر احدهم، فلما توافر له عشرة اقرع بينهم، فطارت القرعة على عبدالله بن عبدالطلب، وكان احب الناس اليه. فقال عبدالمطلب اللهم هو أو مئة من الابل، ثم اقرع بينه وبين مئة من الابل فطارت على المئة[2].

خرج عبدالمطلب حتى اتى بني وهب بن عبد مناف بن زهره، وهو سيد بني زهرة سناً وشرفاً، فزوجه آمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، فدخل عليها عبدالله، فحملت بمحمد ﷺ[3].

لما خرج عبدالمطلب بعبدالله ليزوجه، مر على كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر متهودة من أهل تباله، قرأت الكتب، فرأت في وجهه نوراً فقالت له: يا فتى، هل لك ان تقع علي الآن واعطيك مئة من الابل؟ فقال عبدالله والد الرسول ﷺ:

اما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه؟[4]

وقيل ان المرأة قتيله بنت نوفل اخت ورقة بن نوفل، وكانت تنظر وتعتاف فمر بها عبدالله، فدعته يستبضع منها ولزمت طرف ثوبه، فأبى ونظر اليها قائلا أما الحرام فالممات دونه[5].

---

(١) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٧٢.
(٢) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٧٢ و١٧٣ والطبقات جـ١ ص٨٨.
(٣) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٧٤.
(٤) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٧٥.
(٥) الطبقات جـ١ ص٩٦.

والخلاصة :

انـك اذا اضفت افعـالهم بالحروب الايمانية ، ووقفتهم الباسلة بجانب رسول الله ﷺ ابّان بعثته وتضحياتهم الجسام من اجل الدفاع عنه ، فاذا اضفتها إلى موقعهم الشـامـخ قبـل الإسـلام واضفت على هذا كله النصـوص الشـرعية القاطعة ، فان أي باحث مهمـا كان متحيـزاً ، يضطـر إلى الاعتـراف بان القرابة الطاهرة ركن حقيقي من اركـان النظـام السيـاسي الإسلامي ، فمنهم يجب أن يكون الامام ، وهـم ابرز الفئات التي ينبغي ان تبايع الامام البيعة الخاصة ، فاذا تعدتهم الشورى فهي مهزلة واذا خلا أهل الشورى منهم فلن يكونوا غير اشباح .

وقـد ثبت ان اول محـاولـة للقتـال دفـاعا عن حياة نبي الإسلام من بني هاشم وبني المطلب ، وذلـك عنـدمـا سلم أبـوطـالب ، كمـا اسلفنـا ، الفتيـة الهـاشميين والمطلبيين حدائــد صارمـة ، واعلن لملأ قريش بان محمـداً ان قتـل ، فانـه ورهطـه سيقاتلون قرشيا حتى يفنى واياهم .

وفي معـركـة بدر ، على سبيـل المثـال ، اول ثلاثـة برزوا للقتـال كانوا من العترة الطـاهـرة ومن سلالـة عبـدالمطلب وهم : علي ، وحمـزه ، وعبيد بن الحارث ، واول شهيد كان من العترة الطاهرة . ، وافعال علي ، حامل رايات الرسول ، في كل موقع ، اكبر من ان يتناساها حاسد .

فقد كانت العترة الطاهرة ، سباقة في كل مجال ، وهي اعظم من ان تنسى أو ان ينكر فضلها على الإسلام ، فلا اقل من ان تستشار ، فكيف والنصوص آخذة بالاعناق وقد سكرت على الحاسدين الآفاق وحصرتهم .

٢ ـ الفئة الثانية من أهل الشورى التي تبايع الامام البيعة الخاصة وهي أفاضل الصحابة أو الصحابة الفاضلون

١ ـ اهمية الموضوع :

كيف نعرف الصحابة الفاضلين، أو افاضل الصحابة، عن طريق الشرع لا عن طريق العقل، بالمثال الحي الديني المحسوس لا عن طريق الواقع المفروض، كما يريد الشرع لا كما يريد الحكام، علميا وموضوعيا، لا مزاجيا ولا هوى.

كل فئة حاكمة يلتف حولها نفر من العلماء، ولأن السلطة الحاكمة تملك السيطرة على وسائل الاعلام تبرز علماء السوء وتنشر مؤلفاتهم وتتبناها بأساليبها المختلفة وتطول المدة، فتأتي الأجيال فتتلقف ما ترميه لها السلطة وتعرف الحقيقة من خلالها وتطمس المعارضة. ولا يعرف الناس إلا ما هو أبيض وجميل، وتتكرر المأساة.

ولمعرفة أفاضل الصحابة، لا بد من تحديد من هو الصحابي؟ ثم من هم افاضل الصحابة؟ الذين يشكلون الفئة الثانية من أهل الشورى الذين يبايعون الامام البيعة الخاصة، وتقع عليهم مسؤولية بيعة الإمام الخاصة، وتقع عليهم مسؤولية التعاون مع الإمام لإقامة حكم الله في الأرض.

٢ ـ من هو الصحابي :

(من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإسلام، طالت مجالسته معه أو قصرت روى عنه أو لم يرو، غزا معه أو لم يغز، من رآه ولم يجالسه، ومن لم يراه لعارض)[١].

ويرى بن حجر أيضاً انه من رأى النبي وهو صبي مميز، فهو صحابي، اذ غير المميز لا تصح نسبة الرؤ يا له[٢].

والحقيقة أن كلمة صحابي تطلق على كل الذين اسلموا مع محمد وتظاهروا بالإسلام ودليلنا على ذلك ما ذكره ابن حجر في الفقرتين السابقتين وما بينه رسول الله

(١و٢) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني جـ١ ص٧ و٨ و٩.

ﷺ فقد قال عن عبدالله بن ابي زعيم المنافقين قولا واجدا (فلعمري لنحسنن صحبته ما دام بين اظهرنا)[1]. ولما اقترح عليه بعض الناس أن يقتل عبدالله بن ابي قال بما معناه: كيف يقال بان محمدا يقتل اصحابه؟

ثم ان ابا سفيان اسلم يوم الفتح وهو من المؤلفة قلوبهم، ومثله معاوية ابنه وهما صحابيان بالاجماع.

ثم ها هو عبدالله ابن ابي سرح، كان يكتب لرسول الله الوحي، ثم افترى على الله الكذب وارتد وأباح الرسول دمه، ولو تعلق بأستار الكعبة، وعند فتح مكة تشفع له عثمان ودخل في الإسلام كأي طليق، واخيراً ولاه عثمان ولاية مصر وهي اعظم ولايات الدولة الإسلامية، وهو صحابي أيضاً شاء الناس أم ابوا[2].

ثم ها هو ابوه سعد بن ابي سرح مسلم وصحابي، ومع هذا من عيون المنافقين[3].

ثم ها هو الحكم بن العاص طريد رسول الله ﷺ، طرده الرسول إلى مرج قرب الطائف وحرم عليه ان يدخل المدينة ما دام الرسول فيها، وبوفاة الرسول راجع عثمان أبابكر ليدخله، لكن أبابكر رفض. ولما مات أبوبكر راجع عمر ليدخله ولكن عمر رفض أيضاً ان يدخله المدينة في عهده. ولما تولى عثمان الخلافة أدخله معززا مكرماً واعطاه مئة الف درهم لانه صحابي[4].

ومن سلالة الحكم بن العاص هذا مروان بن الحكم أبوخلفاء بني امية ودليل مسلم بن عقبه، قائد حملة المدينة وبطل يوم الحرة التي قتل فيها عشرة الاف صحابي. ومسلم هذا هادم الكعبة ومفوض سقفها وهو أيضاً من الصحابة.

وأبوسفيان قاتل الإسلام بكل فنون القتال، واسلم يوم الفتح، يوم وجد نفسه محاصرا، وهو صحابي.

---

(١) الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٦٥.

(٢) المعارفة لابن قتيبة ص١٣١ و١٤١.

(٣) راجع المعارف لابن قتيبه ص١٣١

(٤) راجع المعارف لابن قتيبه ص٥٤.

كيف يكون الاطفال صحابة ولا يكون أبوسفيان والحكم ومعاوية وعبدالله ابن ابي سراح؟

لان العبرة برؤ يا الرسول أو مجالسته بعد الايمان أو الاسلام الظاهر.

— **أهمية معرفة أفاضل الصحابة:**

أن معرفة أفاضل الصحابة، أمر في غاية الأهمية. فهم الذين يبايعون الامام البيعة الخاصة، وهم ركن من أهل الشورى، وهم الذين ينفذون أوامر الامام، وهم حكومته الفعلية، وهم الذين يقومون بتهيئة المجتمع لتلقي الذكر وتطبيق الشريعة، ولاعطاء البيعة العامة، كما سنوضح عند بحث وظائف أهل الشورى ومنهم الامراء.

— **مجموعتا الصحابة:**

ومن هنا يتبين لنا بوضوح ان اصطلاح الصحابة يشمل كل الذين اسلموا أو تظاهروا بالإسلام وسمعوا رسول الله ﷺ أو جالسوه أو رأوه. وهم يتألفون من مجموعتين كبيرتين:

١ - افاضل الصحابة: وهم الاخيار الذين قامت الدولة على اكتافهم.

٢ - بقية الصحابة: ومنهم ضعيف الايمان أو متوسطه ومنهم الصبي ومنهم المنافق.

فالمنافقون الاشرار جعلهم الله في الدرك الاسفل من النار. مع انهم كانوا يتظاهرون بالإسلام، ويسمون أيضاً صحابة بكل المعايير المعروفة.، وقد عني كثير من الباحثين بتقسيم الصحابة إلى طبقات، كابن سعد وكالحاكم كما سنذكر ذلك.

---

(١) راجع المعارف لابن قتيبه ص١٥٣.

— تفسير هذا التقسيم وتبريره:

أبـوبكـر رضي الله عنـه صحـابي، وعبـدالله بن أبي صحـابي، لأن العبـرة بالتصـديق أو بالتظـاهر بالتصديق، والعبرة بالاجتماع مع الرسول أو عند اللزوم رؤ ياه والسماع منه اذا قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله عصموا دماءهم. فالله هو المطلع على الضمائر، العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وانطـلاقـا من هذا الاعتقـاد، كان النبي ﷺ يكتفي بالظـاهر ويترك البواطن لله فمن اظهر إسلامه، اعتبر مسلما، وسلوك الإنسان متروك للمستقبل ولرحمة الله وتأثير المجتمع المسلم به، ولموقف الفرد من معارك الايمان مع الكفر تحت قيادة الرسول أو من ينتدبه، ومن الطبيعي أن النبي لم يقل لمنافق انت منافق.

مع ان القـرآن الكـريم حافـل بالآيـات التي تقـرع بشـده المنـافقين وتكشـف اسرارهم وتفضـح اضغـانهم وتعالج امورا واقعية وتصف حالات لأفراد كانوا يعتبرون صحابة ومسلمين.

والشـريعـة وضعت صفـات موضـوعية لأعمال البر والتقوى ولأعمال الفجور، فمن توفرت فيه صفات معينة، حشرته تلك الصفات باحدى هاتين الفئتين، وترجمة الصفات وبيانها متروك لسلوك الانسان ميدانيا. فالصدام مع الكفر لم يتوقف، طيلة حيـاة النبي. والإنسـان يعكس دائماً حقيقة اعتقاده بسلوكه آجلاً أم عاجلا، وبانتقال الـرسـول إلى الـرفيق الأعلى كان كل مسلم من مواطني الدولة المسلمة يعرف حقيقة موقعه في حوض التقوى أو في بؤ رة الفجور. وعرف الناس كلهم منازل بعضهم، مع ان المجتمـع المسـلم خاصـة المـدينـة كان مجتمـع صحـابة ولكل واحد منهم صفة صحابي علمياً أو اصطلاحاً.

— طبقات الصحابة:

الناس القادرون على البحث يتهيبون عادة من تفضيل صحابي على صحابي خشية الخدش في مقامهم الكريم.

ولعمـري تلك غفلة، بل الظلم بعينـه، فأبـوبكـر ليس كمعـاويـة، وعمر ليس كعبدالله بن ابي سرح.

وان نعطيهم نفس الـدرجـة من المحبة والتقدير ظلـم صارخ، وخلط فظيع ينفر منه العقل، وتأباه الفطرة.

ما كان ضر ابـا بكر اذن لو انتظر حتى تفتح مكة ويسلم مع ابي سفيان، لكان بامكانه لو فعل ذلك ان يتجنب سني الالم والعذاب.

قل وبملء فيك ان أبابكر افضل من معاوية، وبان عثمان افضل من أبي سفيان قل هذا وانت مرتاح الضمير ونتيجة قناعة عقلية ووجدانية.

اما قولك ان معاوية كعثمان، رضي الله عن الاثنين، فهذا الظلم بعينه، لانك تساوي التابع بالمتبوع والسابق بالمتأخر.

فكلمـة الصحـابة، هي الحوض الواسع، لكن الصحابة لم يكونوا على درجة واحدة عند الله وعند رسوله، ولا ينبغي ان يكونوا كذلك.

انظر إلى قوله تعالى:

﴿وتلك الـرسـل فضلنـا بعضهم على بعض﴾. فمنهم أولي العزم، ومنهم من رفع إلى السماء، ومنهم تابع ومنهم متبوع

فلا يعقـل ان يكـون عمر كأبي سفيان، وان يكون معاوية كعمار، ولا يعقل ان يكون المهاجر كالطليق مع ان الجميع صحابة.

لا الشـرع يقبـل ذلـك ولا المنطق، هم جهلة حقيقـة الذين يضعون الصحابة بدرجة واحدة ولا يكلفون انفسهم عناء البحث، لأن هممهم قد قعدت بهم.

فالقاعد ليس كالمجاهد، والعالم ليس كالجاهل، ومن اسلم عن اقتناع ليس كمن اسلم لينجـو بروحـه بعـد ان رجفت جزيـرة الشرك، وضاقت عليهم الارض بما رحبت ولم يجدوا طريقا للخروج من العزلة وللوصول إلى السلامة إلا بالإسلام.

فالمسـاواة العشـوائيـة بين الصحـابـة خروج على نصوص الشرع ومقاصده، واستمرار هذا الوهم في نفوس الناس جعلهم يلفون حول أنفسـهم في عزلة عن الشرع وبحرمان كامل من الاستفادة من عبرة التاريخ.

رب قائل ان التفضيل يؤدي إلى الخدش في مقام الصحابة، لماذا لا نعتبر نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة خدشا، ألسنا نحسن ما لم يحسنه الله ونقبح ما لم يقبحه الله ورسوله؟

اذا كان الله ورسوله قد فرقا فكيف نوحد؟ كتاب الله مليء بالمقارنات بين الغث والسمين؛ والصالح والطالح، حتى الصالحين اعطاهم مراتب بقدر صلاحهم، والطالحين اعد لهم عقابا بقدر فسادهم، لأن الله عادل ولا يحب الظالمين.

— الادلة على سلامة منهج التفاضل:

قال تعالى: ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما﴾[1]. ﴿وتلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾[2]. والتفضيل وارد حتى على مستوى الاقوام فها هو تعالى يخاطب بني اسرائيل قائلا: ﴿اني فضلتكم على العالمين﴾[3]. ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا﴾[4]. ﴿واسماعيل واليسع ويونس ولوطا﴾[5]. ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾[6]. ﴿لا يستوي من أسلم من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة﴾[7].

والتفضيل ضرورة لمعرفة الأفضل ومن هو المستحق لملء الوظائف العامة، عملاً بقوله ﷺ: «من ولّيَ على عصابة رجلاً وهو يجد من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله» [8].

يقول تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها...﴾ وقد فسرها الطبري باسناد الولاية لمن هو جدير بها، وأن أول من سمع هذه الأحكام هم الصحابة. ومن المعني بذلك غيرهم؟.

---

(١) سورة النساء آية ٩٥.

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٣) سورة البقرة آية ٤٧.

(٤) سورة الاسراء آية ٥٥.

(٥) سورة الانعام آية ٨٦.

(٦) سورة الاسراء آية ٢١.

(٧) نظام الحكم للقاسمي ص٤٧٨.

إذن، فالصحابة ليسوا على درجة واحدة، فمنهم الصادقون، وهم طبقات في صدقهم، ومنهم منافقون، وهم طبقات، ومنهم أقوياء، ومنهم ضعفاء وهم طبقات. وانتماء الصحابة لطبقة من الطبقات يحدد شرعاً دوره في الأمور السياسية للمجتمع، وقد وضع الشرع الحنيف بقرآنه وسنته معالم تلك الطبقات. فهذا ابن سعد جمعهم في خمس طبقات، ويمكن مراجعة طبقات ابن سعد. وهذا الحاكم جمعهم في اثنتي عشرة طبقة في مستدركه.

— طبقات الصحابة كما ذكرهم الحاكم في مستدركه[1]:

١ - الطبقة الأولى: الذين أسلموا بمكة قبل الهجرة كالخلفاء الراشدين.

٢ - الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة.

٣ - الطبقة الثالثة: مهاجروا الحبشة.

٤ - الطبقة الرابعة: أصحاب العقبة الأولى.

٥ - الطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثانية.

٦ - الطبقة السادسة: أول المهاجرين الذين رحلوا بعد هجرة الرسول إلى المدينة.

٧ - الطبقة السابعة: أهل بدر.

٨ - الطبقة الثامنة: الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

٩ - الطبقة التاسعة: أهل بيعة الرضوان.

١٠- الطبقة العاشرة: من هاجر بين الحديبية وفتح مكة، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

١١- الطبقة الحادية عشرة: الطلقاء، وهم الذين أسلموا يوم فتح مكة، كمعاوية وأبي سفيان.

١٢- الطبقة الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوه يوم الفتح.

---

(١) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٢٧-٢٢٨.

فأول الناس إسلاماً، خديجة رضي الله عنها، ثم علي عليه السلام، تنبأ رسول الله يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء، ثم زيد بن حارثة، ثم أبوبكر رضي الله عنهما[1].

روى ابن ماجة أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون من شهد بدراً؟ قال ﷺ: خيار. قال جبريل: عندنا هم خيار الملائكة. ثم يأتي أصحاب بيعة الرضوان.

هذا خلاصة ما كتبه فقهاؤنا (أهل السنة) عن طبقات الصحابة.

وقد تنبه إلى ذلك الفاروق عند توزيع الأعطيات، وأخذ بعين الاعتبار توزيع العطايا حسب الطبقة، ولم يساوبين أول من أسلم بآخر من أسلم، ولا ساوى بين من قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى حوصر بجزيرة الشرك مع الرجل الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه لأن هذه المساواة تغضب وجه الله[2].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٢٧.

(٢) راجع فتوح البلدان للبلاذري.

المعايير الموضوعية للتفاضل

— المعيار الأول: القرابة الطاهرة:

القرابة الطاهرة، هم خير الناس على الاطلاق، أنبأ بذلك اللطيف الخبير عن طريق رسول الله ﷺ بدليل قوله ﷺ:

١ - «إن الله قسم الخلق إلى قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، ثم جعل النصف أثلاثاً، فجعلني في خيرهما ثلثاً، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني في خيرها قبيلة، ثم جعل القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب»[1].

٢ - وفي حديث آخر بأن الله اختار من العرب قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختار من بني هاشم بني عبد المطلب[2]: «وقد سقنا هذا النص في أدلة التسمية» فارجع إليها.

إذاً، فالقرابة الطاهرة هم الصفوة الأخيار، فكل فضل يقصر عن فضلهم، وكل درجة تهبط عن درجتهم. ثم إن النصوص النبوية تصل إلى درجة التواتر، وتثبت أن القرابة الطاهرة مع القرآن والقرآن معهم لا يفترقان ثم هما معاً. (القرابة الطاهرة والقرآن الكريم يشكلان عصمة من الضلال ويمنعان الناس من الضلالة إن اتبعوهما)[3].

---

(١) راجع فتح القدير للشوكاني جـ٤ ص٢٨٠ وقد نقله عن الترمذي والحاكم والطبراني وابن مردويه والبيهقي.

(٢) راجع النص في الطبقات لابن سعد جـ١ ص١٩ و٢٠.

(٣) راجع كنز العمال جـ١ ص٤ وراجع مسند الامام أحمد ص١٨٢ و١٨٩ و٥ وراجع الحاكم ص١٤٨ جـ٣ وراجع الذهبي في تلخيص المستدرك وص١٠٩ جـ٣ من المستدرك و ص٥٣٣ وراجع فصل ٢ باب ٩ ص٥٧ من الصواعق المحرقة لابن حجر وراجع ص٥٥ من المراجعات للعاملي و ص١٤٩ جـ٣ من المستدرك للحاكم.

وقـد فصلت ذلـك في موقف الشـرع من تسمية الإمام، وفي الأدلة الدالة على أنهم من أهـل الشـورى الـذين يبـايعـون الإمـام البيعـة الخـاصة، وسقت كل الأدلة الشـرعيـة ووثقتها، وبينت مركزهـم الاجتماعي قبل الإسلام كناصية لقريش وفضلهم على الإسـلام ونبيـه بالمحافظة على حياة نبي الإسلام وتضحيتهم في سبيل الإسلام ونبيه. فارجع إلى ذلك كله في البيعة الخاصة.

والخـلاصـة، أن الـدولـة التي لا تقدمهم دولة آيلة للسقوط، وأن الأمة التي لا ترفعهم أمة ضلت طريقها وستبقى تحت رحمة الظالمين.

فالقـرابـة الطـاهرة هـم أفضل الأمة، وهم أيضاً مراتب، وقد تكفل الشرع ببيان عميدهم ومراتبهم.

— المعيار الثاني للتفاضل: السابقة في الإيمان:

فالـذين سبقـوا في الإيمـان أفضـل من الـذين لحقوا بهم. وهم بمثابة الاخوة الكبار أو الآباء المؤسسين أوجب الله الدعاء لهم كما أوجبه للآباء.

﴿ربنـا اغفـر لنا ولاخواننا الذين سبقونا في الإيمان﴾[1]. ﴿ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات﴾[2].

وأعظم الخيرات الدخول في الإسلام. راجع فهم عمر للسابقة في فتوح البلدان[3]. ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾[4].

أولئك الذين صمدوا مع النبي وتحملوا الأذى وسخرية الأكثرية الكافرة، التفوا حول الرسـول ﷺ يوم ابتعـد عنـه كل النـاس، وأصـاغـوا له آذانهم، وعرفوا قواعد الشـريعـة ميـدانيـاً يوم وضع كل الناس أصابعهم في آذانهم، وعلى أكتافهم، ومنهم تكـونت بؤرة الإيمـان وقـاعدته. وكانوا عضد الرسول وعونه في نشر دعوته، أبوا بكر أفضل من عمر لأنه أسبق منه في الإيمان.

﴿لا يستوي من أسلم من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة...﴾[5].

---

(١) سورة الحديد الآية ١٠.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٨ - المائدة الآية ٤٨.

(٣) راجع فتوح البلدان للبلاذري ص٤٣٧-٤٣٨.

(٤) سورة التوبه الآية ١٠.

— المعيار الثالث للتفاضل: التقوى:

السابقة في الايمان تتجلى بالانتساب المبكر للإسلام. والمساهمة مع الرسول ﷺ في اقامة الحق واظهار الإسلام على الدين كله. ومما يدل على ذلك والطريق المؤدية إلى هذا الهدف هي التقوى، أي طاعة الله ورسوله (تجنب ما حرما والاقبال على ما أحلا)، ومراقبة الله في كل خطوة يخطوها الفرد.

هذه التقوى هي الاطار الذي يضم المعاني السابقة. وعملياً يعرف المتقون من غيرهم عن طريق طاعة الرسول وصدعهم بأوامر الهدى، وعدم تلكئهم باجابته في كل أمر، وتلك أمور تعرف بموقف الفرد من الانقياد إلى رسوله، وموقفه من الدعوة وأعدائها. فعلّي الذي اشترك في كل المعارك باستثناء تبوك لم يخرج بناء على أمر الرسول ليس كأبي صفرة الذي يلتمس الاذن له بالبقاء والقعود، لأنه يخشى على نفسه من فتنة نساء الروم.

قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

— المعيار الرابع للتفاضل: العلم:

المؤمن لا يستطيع أن يؤمن إذا لم يعرف ماهية الايمان، والخطوط العريضة لهذا الايمان على الأقل. ولا يستطيع الانسان أن يتقي إلا إذا عرف ما ينبغي أن يتجنبه، وما ينبغي أن يفعله.

والقرآن الكريم مجمل في أكثره والسنة المطهرة مبينة وفيهما تفصيل كل شيء. قال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾. وقال: ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾. وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

والقرآن الكريم بايجازه العجيب، وبصنعته المعجزة وأمثاله الكثيرات، يحتاج إلى ملكات عقلية خاصة تبين للعامة، ويعجز عن ذلك غير العلماء. قال تعالى: ﴿اخترناهم على علم على العالمين﴾. فأعلم الناس بالقرآن والسنة مع التقوى والسابقة في الايمان والقرابة الطاهرة هو الأفضل مطلقاً. قطعاً.

(١) سورة الحجرات الآية ١٣

— **المعيار الخامس للتفاضل: تقييم الرسول القائد:**

فالرسول هو قائد الصحابة، وهو مرتبط بالوحي ومرتبط مع القرآن كلاهما متمم للآخر، لأنه هو الذي يبين القرآن، ولأن القرآن معجزته، وفيه الكثير من الأمور التي تحتاج إلى بيان، فضلاً عن ذلك، فإن الرسول هو القائد لكل المعارك التي خاضها الايمان ضد الكفر، وهو الشاهد على كل فرد انخرط في جند الله، وهو القادر على أن يقدم رأيه فيه ويعطي تقريراً صادقاً عن كل واحد من الصحابة، لأنه أعلم الناس بأتباعه بعون الله بالوحي، وبملاحظته الحسية وعصمته أثناء تطبيقه لقواعد الشريعة، وأثناء ترعرع مجتمع الايمان وأثناء تحركه لتنفيذ مرامي الشريعة وتمكين أجرانها.

وقد أبدى الرسول رأيه بكل الصحابة السابقين في الايمان، ولم يكن هذا الابداء عبثاً، إنما كان نوراً لمعرفة الأفضل، لأن صفوة الصحابة وأفاضلهم هم قادة الأمة مستقبلاً، فأحاديث الرسول وآراؤه بأصحابه هي التقارير العلمية والملفات الصادقة لهم.

— **الحكم على هذه المعايير:**

وهي معايير، كما ترى، مستمدة من الشريعة، ومن الشريعة وحدها. وهي معايير موضوعية لمعرفة الأفضل، وما سواها غثاء كغثاء السيل. ودليلي على ذلك، علاوة أن هذه المعايير كانت موضع احتجاج دائماً، ولو عند الحاجة، بالرغم من الظروف السياسية.

راجع على سبيل المثال حجة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وكيف احتج بالقرابة من رسول الله، وكيف أصبح أولى من الأنصار.

وأنظر إلى حجة عمر أيضاً في السقيفة، وكيف ركز على القرابة من رسول الله وقال: من ينازعنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته. وقوله أن العرب تأبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم[1]. ثم راجع طريقة عمر بتوزيع العطايا[2]. لقد أخذ بأكثر هذه المعايير.

(١) راجع الامامة والسياسة ص٥-٩ على سبيل المثال وراجع جـ٣ ص١٩٩ من تاريخ الطبري.

(٢) راجع فتوح البلدان للبلاذري ص٤٣٧-٤٣٨.

— أهل الشورى:

والخلاصة أن الذين يبايعون الإمام البيعة الخاصة، هم أهل الشورى، وأهل الشورى، كما رأينا، يتألفون من فئتين هما:

أ - القرابة الطاهرة، كالحمزة وعلي وجعفر والعباس والحسن والحسين. . .

ب - أفاضل الصحابة، وهم:

١ - المهاجرون الأولون، كالحمزة وجعفر وعلي وأبو بكر وسعيد بن العاص[1] وعمر وعثمان وأبو عبيدة وسعد ابن أبي وقاص وعمار وأبو ذر وسلمان الفارسي.

٢ - كبار الأنصار وسابقوهم، كسعد بن عبادة وسعد بن معاذ وقيس بن سعد والحباب بن المنذر.

٣ - الذين اشتركوا في معركة بدر، وهي أول مواجهة بين الكفر والايمان، ومنهم علي والحمزة وأبو بكر وعمر والحباب والمقداد وسعد بن عبادة وسعد بن معاذ، فالنصوص متواترة بأنهم الأفضل.

٤ - الذين هاجروا قبل معركة بدر لأنها كانت الفيصل.

— وظائف أهل الشورى:

١ - يبايعون الإمام البيعة الخاصة. ويقدمونه للأمة ويأخذون له البيعة العامة منها.

٢ - ولو لم يكن هناك نص على خليفة النبي ﷺ، فهم الذين يرشحونه من بينهم، ويبايعونه البيعة الخاصة ويقدمونه للأمة.

٣ - التوطيد: يدافعون عن رأي الإمام ويبرزون حجة الإمام ويوطدون له أمره ويمكنون له حكمه.

٤ - وهم حكومة الإمام الفعلية ومجلس وزرائه، ينفذون قوله ويتبعون رأيه وهم نصحاؤه يطلبون توضيح ما أشكل عليهم وعلى العامة، ويأمرون الإمام والأمة بالمعروف وينهون الأمة عن المنكر.

---

(١) يقال ان سعيد بن العاص اسلم قبل اسلام أبي بكر راجع ص١٧٨ من المعارف لابن قتيبه

٥ ـ هم منفذو سياسة الإمام، فهم الهيئة التنفيذية، الإمام المعتصم بالله مهدى بأمره لا ينطق عن الهوى وما يفعل شيئاً إلا بإذن الله وأمره. فإذا لم يتعين الإمام منهم وبتأييد أكثريتهم من غير اكراه فالخلافة ليست شرعية. هذه الفئة سابقة للناس بجهدها وبايمانها ومعرفتها للدين، وجمعت فوق ذلك ثقة المسلمين.

٦ ـ وهم أهل الاجتهاد، لأن منهم علماء الدين، وشروط المجتهد متوفرة بهم، (وهي مفصلة في باب مصادر النظام السياسي في الإسلام)، وبالتالي هم مجلس شورى الإمام ـ وقل إن شئت ـ أنهم أهل الحل والعقد الشرعيين، صنعهم الشرع ومحصتهم معاناة نصرة الحق، لا السياسة ولا مكرهاً.

٧ ـ وأخيراً هم الحوض الذي يختار منه الإمام مساعديه، فيصطفي منهم لنفسه من يشاء لغاية محددة ومؤقتة أو دائمة.

ومن المدهش، وما يثبت وجهة نظري تلك، أن آيات الأحكام جميعاً موجهة للذين آمنوا، والمعيار الذي اتخذته في بيان وظائفهم، هو أن رئيس الدولة هو الرسول أو شخص اختاره الله وسماه الرسول بناء على أمر ربه.

٢ - (البيعة العامة في التاريخ)

بحثنا البيعة بطريقة مفصّلة، في باب دور الأمة بتعيين الإمام، ولا بد من الرجوع إليها والوقوف عليها لمعرفة موقف الشرع من البيعة العامة.

كل الخلفاء الذين تعاقبوا على رئاسة الدولة الإسلامية عبر التاريخ الإسلامي كله كانوا يحرصون على أن يبايعهم الناس بيعة عامة، كأن هنالك قناعة مطلقة بأن الخلافة لا تتم والرئاسة لا تجوز بغير بيعة عامة. وكل خليفة - على الاطلاق - كان يحصل على البيعة العامة، ولا يعتبر أن أموره قد استقامت ما لم يبايعه الناس البيعة العامة.

وقد تفنن كثير من الخلفاء بأساليبهم للحصول على البيعة العامة، فقد هددوا من لم يبايعهم بالقتل واستعملوا الارهاب، كما فعل بسر بن ارطأة في المدينة ومكة واليمن، ليضمن حصول معاوية على البيعة العامة، واستعانوا بالمال والاغراءات والخدع ليضمنوا البيعة العامة.

وهذه الأساليب ليست غير شرعية فحسب، بل هي ضد الدين نفسه، وليس لهكذا خلافة نصيب من الشرعية سوى اسم الخلافة.

---

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٢٨١ واطلع على الطريقة التي اخذ بها معاويه البيعة له ولابنه.

الفصل السادس

— نسف النظام السياسي الإسلامي قبل تطبيقه:

هنالك ثلاثة عوامل، أو إن شئت فقل ثلاثة أحداث هزت النظام السياسي الإسلامي هزاً عنيفاً، ونسفته، وجعلت امكانية تطبيقه بعد وفاة الرسول على الأقل فيما يتعلق برئيس الدولة، أمراً في غاية العسر، إن لم يكن مستحيلاً. وتوقف تطبيقه من ناحية تعيين رئيس الدولة.

هذا التوقف، أثر تأثيراً ساحقاً على تطبيقه في النواحي الأخرى. لأن الإمام أو رئيس الدولة في الإسلام يتمتع بصلاحيات هائلة تفوق كثيراً صلاحيات رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

وعندما آلت رئاسة الدولة إلى أناس غير الذين أرادهم الشرع، واستعمل هؤلاء صلاحيات الإمام الشرعي، تعمقت الهوة أكثر واتسع الخرق وعم البلاء، ولكن باسم الدين والخليفة.

ودار التاريخ دورته، فوجد الناس رأياً واحداً هو رأى السلطة أو الرأي الذي أجازته السلطة، ووجد الناس لوناً واحداً هو اللون الأبيض، مما يوحي ظلماً بأن النظام السياسي الإسلامي سقط لعدم أهليته للحياة. مع أنه في الحقيقة أسقط بعبث الذين جعلوا من أنفسهم بغير حق أوصياء عليه، والذين اتخذوه مطية لمطامعهم في السلطة.

— الأحداث الثلاثة التي هزت النظام قبل تطبيقه:

الحدث الأول: يوم الرزية[1]: كما يسميه ابن عباس يوم منع الرسول من كتابة كتابه[2].

وتفصيل ذلك: أنه لما حضر رسول الله ﷺ قال النبي: «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». أي أن الرسول ﷺ عرض على الأمة أن يؤمنها ضد الضلال، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندنا القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت، فاختصموا، فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، ومنهم من يقول القول ما قاله عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند الرسول ﷺ قال لهم رسول الله: «قوموا...» قال ابن عباس: إن الرزية، كل الرزية، ما حال بين الرسول وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب.

وعندما يصرحون باسم المعارض يقولون: قال عمر أن الوجع قد اشتد به، وعندما لا يذكرون اسم المعارض لكتابة ذلك الكتاب يقولون: قالوا أن رسول الله (حاشا له) قد هجر.

ومع هذا، يعترفون بأن الرسول ﷺ قد غضب في ذلك المجلس، وأوصى باخراج المشركين من جزيرة العرب، وأجازه الوفد بنحو ما كان يجيزه وقالوا انهم نسوا الثالثة.

وباختصار شديد، حالوا بين الرسول ﷺ وبين كتابة كتابه الذي يؤمن فيه الأمة ضد الضلالة، وواجهوه بهذه الكلمة الجارحة (بأن الرسول قد هجر).

(١و٢) راجع صحيح بخاري جـ١ ص٢٢ وصحيح مسلم جـ٢ ص١٤ ومسند الامام أحمد ص٣٢٥ جـ١ و ص٢٠ من مجلد ٢ شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد وراجع ص١١٨ جـ٢ من صحيح بخاري وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية وراجع مسند الامام احمد جـ١ ص٢٢ و ص٣٥٥ وراجع الطبراني و ص١١٤ مجلد ٣ من شرح النهج سطر ٢٧ وراجع ص١٣٨ جـ٣ من كنز العمال وراجع تاريخ بغداد للامام أبي الفضل أحمد ابن أبي طاهر وراجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٢٤٢-٢٤٥ وراجع المراجعات للامام العاملي ص٣٠١-٣١٢ وقد سقنا المراجع مفصلة باكثر من مناسبة هنا فارجع اليها.

والحقيقة، أن عمر قد اجتهد بأن الرسول ﷺ قد اشتد به الوجع، فلا ينبغي أن يسمح له بكتابة أي كتاب، حتى ولو كان يمنع الضلالة عن هذه الأمة.

وكلمة (اشتد به الوجع) هي الكلمة الملطفة، أما الكلمة الحقيقية فهي قولهم أن الرسول ﷺ قد (هجر).

وتعتبر هذه الحادثة أول أسفين دق - وبعنف - في النظام السياسي الإسلامي، وأول طريق من طرق الانحراف عن هذا النظام. وهي حادثة لا يمكن الاعتذار عنها، فهي (بائقة الدهر وفاقرة الظهر)[٣].

وكيف نوفق بين منع الرسول ﷺ من كتابة وصيته بحجة أن المرض قد اشتد به، وبين السماح لأبي بكر بكتابة وصيته مع أن المرض قد اشتد به أكثر من اشتداد المرض برسول الله ﷺ.

لاحظ حادثة مرض أبي بكر المجمع عليها:

(فلما تمّ لأبي بكر ما أراد من المشورة، دعا عثمان خالياً - أي وحده - وقال أُكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، ثم أُغمي عليه من شدة الوجع، فكتب عثمان فإني استخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا. فلما أفاق أبو بكر قال لعثمان: اقرأ عليَّ، فقرأ عليه ما كتب، فقال أبو بكر أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في غشيتي، قال عثمان: نعم، قال أبو بكر: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، وأقرها أبو بكر)[١]. [تلك حقيقة بالإجماع].

وأن مرض الرسول لم يصل إلى هذه الدرجة من الشدة، فكيف يمنع الرسول ﷺ من الكتابة ويسمح لأبي بكر مع أن العلة واحدة؟!. ألا يحق لرسول الله ﷺ ما يحق لأبي بكر؟ كيف يسمح لأبي بكر بالوصية مع أن المرض قد اشتد به وتنفذ وصيته، ولا يسمح لرسول الله ﷺ أن يكتب وصيته تحت شعار أن المرض قد اشتد به... ما لكم، كيف تحكمون؟!.

---

(١) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٤٢٩ وص١٧٦ من نظام الحكم وص٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي وص١٧٧ من نظام الحكم وتاريخ ابن خلدون جـ٢ ص٨٥ على سبيل المثال فقط.

ونفس الحال مع عمر. . .

قال طبيبه : لا أرى أن تمسي ، فما كنت فاعلاً فافعل . فقال لابنه عبدالله ناولني الكتف فمحاها وقال من شدة الوجع : والله لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ، وكان رأسه في حجر ابنه عبدالله ، فقال لابنه : ضع خدي بالأرض، فلم يفعل، فلحظه وقال ضع خدي بالأرض لا أُم لك، الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر[1].

وبالرغم من هذا الوجع الشديد، الذي كان يعانيه ـ رضي الله عنه ـ فقد أوصى وصيته ورتب أمر الشورى واطمأن أن عثمان خليفته، واطمأن أن لا يسلط هاشمي على رقاب الناس أبداً حتى ولو كان ذا قوة وأمانة ، ونفذت بدقة وصيته، وسمح له بقولها وسمح بالتوجيه بالرغم من اشتداد الوجع به .

تلك حقيقة مسلم بها بالاجماع ، وقولاً واحداً لا خلاف فيه . فكيف يسمح لعمر بالتوصية مع أن المرض قد اشتد به ولا يسمح لرسول الله ﷺ بالتوصية تحت شعار أن المرض قد اشتد به؟! .

وتنفذ وصية عمر بدقة ، ولا يسمح للنبي ﷺ أن يوصي ! . ويتجاهلون تلك الوصية . ألا يحق لمحمد ﷺ ما يحق لأبي بكر وعمر؟ هذا إذا افترضنا أن محمداً على قدم المساواة مع أبي بكر وعمر.

وهذا افتراض مرفوض لأن محمداً نبي وإمام ، بينما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من الأتباع . كأنهم لم يقرأوا قوله تعالى : ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ . ﴿إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين . وما صاحبكم بمجنون﴾ . ﴿إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكّرون . تنزيل من رب العالمين﴾ . ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى﴾ .

---

(١) راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ص٢١-٢٢ على سبيل المثال وراجع الطبقات جـ٣ ص٣٦٤ .

ربما لم يسمعوا ذلك، ربما لم يسمعوا رسول الله ﷺ يقول: «إن أكثر ما كان يأتيه الوحي كان يأتيه وهو مريض»[1].

الحدث الثاني: مواجهة العترة الطاهرة وعزلها والغاء دورها ومحاولة تفتيتها:

لم يكتف الصحابة الكرام بمنع الرسول من كتابة كتابه، إنما قاموا بمواجهة العترة الطاهرة وعزلوها وألغوا دورها تماماً بل وحاولوا تفتيتها.

تؤكد النصوص القاطعة على وجوب التمسك بالعترة الطاهرة وتؤكد أن التمسك بأهل البيت والعترة الطاهرة معادل تماماً للتمسك بالقرآن الكريم، وأن التأمين ضد الضلالة يحصل في حالة تمسك المسلمين بكتاب الله وأهل البيت والعترة الطاهرة. وهي نصوص صريحة وقد وثقناها. وتؤكد هذه النصوص أن أهل البيت والعترة الطاهرة دائماً مع القرآن والقرآن دائماً معهم، وأنهما لن يفترقا حتى يردا - القرآن والعترة - على حوض النبي يوم القيامة[2].

وبالرغم من تلك النصوص الصريحة، فقد بذلوا المستحيل لابعاد أهل البيت وعترته الطاهرة عن رئاسة الدولة الإسلامية، وجرت تلك الفظائع:

١ - هدد عليّ بالقتل إن لم يبايع، وهو ولي الله، والتحق بقبر رسول الله يبكي ويصيح: يا ابن أم، إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني. وتلك حقيقة أكبر من أن تنكر[3].

من شخص اختاره الله، كما أثبتنا، وأعده لخلافة نبيه، وما جاء فيه من النصوص يجعله من أفضل خلق الله بعد نبيه، إلى شخص مطارد يبكي هواناً وذلاً،

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٩٣ وراجع المراجعات ص٣٠١-٣١٢ للامام العاملي.

(٢) ارجع إلى الادلة الدالة على ان أهل البيت والعترة الطاهرة من أهل الشورى. راجع عشرات المراجع وراجع تلك النصوص القاطعة في باب بيعة الامام البيعة الخاصة راجع على سبيل المثال الترمذي والنسائي و ص٤٤ حـ١ من كنز العمال ومسند الامام و ص١٤٨ جـ٣ و ص٥٣٣ جـ٣ من المستدرك للحاكم و ص١٧ و ٢٦ جـ٣ من مسند الامام أحمد و ص١٠٩ جـ٣ من المستدرك و ص٥٧ و٨٩ و٩١ من الصواعق لابن حجر.

(٣) راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ص١٣ على سبيل المثال.

وهو أخ النبي، كما أثبتنا، ووالد سبطيه، كما هو معروف، وولي الله، كما أثبتنا، وأعلم خلق الله بعد نبيه، وسيد العترة الطاهرة، وعميد أهل البيت الكرام.

ومع هذا، يطارد كما يطارد أي مجرم، ويهدد كما يهدد أي شخص عادي وضيع ولا وزن له، مع أنه الهادي بنص الشرع، والمخول لبيان ما تختلف عليه الأمة بنص الشرع[1]. أيرضي هذا رب العالمين؟، أيرضي هذا رسول الله ﷺ؟، أهذا هو رد الجميل عند المسلمين؟، وقف عمرو بن ود ينادي ويتحدى ويعرض على الصحابة الدخول في الجنة وهو يقصد بقتل من يبارزه، ووقف كل الصحابة كأن في آذانهم وقراً، من قتله غير علي؟.

إننا نتهيب أن نؤذي ذكرى ولي، ونراقب جوارحنا إذا دخلنا مسجداً فيه مقام ولي، خشية ورهبة واحتراماً. ومع هذا، يهان الولي على الطبيعة، ويذل الولي على الطبيعة!.

٢ ـ هددت فاطمة الزهراء بنت النبي وزوجة علي وأم الحسن والحسين بحرق بيتها والماء على قبر أبيها لم يجف بعد، وهي بنص الشرع خير نساء العالمين فاطمة، وحبيبة رسول الله، رضاها من رضاه، وسخطها من سخط رسول الله ﷺ. وقد اعترف بموقعها هذا سيدنا أبو بكر رضي الله عنه[2].

وتلك حقيقة، الذي سينكرها لم يخلق.

٣ ـ محاولة الايقاع بين العترة الطاهرة لعزل علي عن بقية بني هاشم، وتلك حقيقة أيضاً[3].

---

(١) راجع مئات النصوص التي اوردناها في باب موقف الشرع من تسمية الامام.

(٢) راجع بن قتيبة الدينوري ص١٢-١٣ والامام الطبري في موضعين من احداث السنة الحادي عشر، وابن عبدربه المالكي في حديث السقيفه جـ٢ من العقد الفريد. وأبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتابه السقيفة وراجع ص١٣٤ مجلد ٣ من شرح عروة بن الزبير في مقام الاعتذار عن أخيه اذ هم بتحريق بيوت بني هاشم. والشهرستاني نقلا عن النظام عند ذكر الفرق النظامية من كتاب الملل والنحل. وراجع قصيدة حافظ ابراهيم في ديوانه المطبوع ١/ ٨٢ وراجع ص٢٩٥ من المراجعات للامام العامة.

(٣) راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة ص١٥-١٦.

٤ - تعيين الخلفاء وابرام الأمور بعزلة تامة عن أهل البيت والعترة الطاهرة مع أنـه لا بد من وجـودهم لمنع الضلالة، لأنهم مع القرآن والقرآن معهم، لن يفترقا إلى يوم القيامة، كما أكدت النصوص القاطعة[١].

٥ - حرمـان العتـرة الطاهرة من تولي أية وظيفة حتى ولوكان الفرد منهم قوي وامين وأهلٌ لها[٢].

٦ - وقوفهم بكل ما لديهم من قوة حتى يحيلوا بين العترة الطاهرة وبين رئاسة الدولة الإسلامية، وذلك حتى لا يجمع الهاشميون مع النبوة الملك، وهذا مبدأ طبق بمنتهى الاخلاص[٣].

وبمراجعة عاجلة للنصوص الشرعية، نجد أن الناس قد سلكوا طريق الضلال مع سبق الاصـــرار، وهـــذا السبب من أهم الأسبـاب التي نسفت النظـام السيـاسي الإسلامي وعصفت به، وبالتالي قضت على دولة الإسلام، وفتحت على المسلمين أبواب الآفات.

٧ - وأوشكت أن تنتهي الأمور بابادة أهل البيت والعترة الطاهرة بعد أن سموا الحسن وقتلوا الحسين ومن معه من الطيبين في كربلاء، مثلما قتلوا علياً.

ويلوح لي أن هذه الأمـة تعيـد نظـام العتيرة على العترة الطاهرة. فتصور كيف يكـون حزن النبي وغضبـه وهـو يرى أخـاه يقتـل وابنيه يقتلان وهما سيدا شباب أهل الجنة في الجنة.

ومن المدهش، أن الذين قتلوا الحسين، صلوا الفجر، ولم ينسوا أبداً الصلاة على النبي وآله.

---

(١) كمـا تم في سقيفـة بني سـاعـده دون ان يحضـر أي واحـد من العتـرة الطاهرة وسمعوا بالامر كما يسمع الاشخاص العاديون.

(٢) راجع الامامة والسـياسة ص٢٦ و٢٧ على سبيل المثال فقط.

(٣) راجـع الكـامـل في التـاريـخ لابن الاثيـر جـ٣ ص٢٤ سيـرة عمر واحداث سنة ٢٣ وراجع شرح النهج للعلامـة المعتـزلـة جـ٣ ص١٠٧ و ص١١٤ مجلد ٣ سطـر ٢٧ وقد اخرجه الامام أبوالفضل أحمد بن الطاهر في كتابه تاريخ بغداد وبسنده المعتبر إلى ابن عباس وراجع ص٩٧ و١٠٥ مجلد ٣ من الشرح.

٨ - وحتى على مستوى الذكر، فقد صنعوا الأئمة وتجاهلوا أئمة أهل البيت، ورووا عن غيرهم وتركوهم شكاً بهم وقدموا عليهم غيرهم حتى من الخوارج.

الحادثة الثالثة: التي نسفت النظام السياسي الإسلامي وهي «الفلتة»[١] كما يسميها عمر رضي الله عنه:

مات الرسول ﷺ وعمر حاضر، ومع هذا توعد من يزعم بأن الرسول قد مات، بالموت وتقطيع الأطراف[٢]. ولما تأكد عمر من وفاة الرسول ﷺ، أفاق من ذهوله ولم تحمله رجلاه[٣]. وهو على هذه الحالة سمع باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة. فبحث عن أبي بكر وعلم أنه يساعد العترة الطاهرة بتجهيز الرسول. فذهب وناداه وحده، وأخبره بخبر اجتماع الأنصار، وفي الطريق وجدا أبا عبيدة ولم يعلموا أحداً غيرهم.

كيف علم عمر باجتماع الأنصار، ومن الذي أخبره؟، هذا ما زال للآن سر تاريخي في رجم الغيب[٤].

— اجتماع الأنصار:

من الطبيعي أن يخلق موت الرسول هزة في تجمع الأنصار ومجتمعهم، ففي أسيافهم دانت له العرب، ومنهم جيش الرسول الذي دوخ الجزيرة كلها، ومن الحكمة أن يجلسوا معاً ويخططوا حتى لا يفاجأهم أعداؤهم، وأجمعوا أمرهم على سعد بن عبادة سيد الخزرج من حيث المبدأ، ولم يكن هذا الأمر نهائياً بدليل أن الأنصار بما فيهم سعد بن عبادة قالوا في لحظة من اللحظات وفي السقيفة بالذات (لا نبايع إلا علياً)[٥].

---

(١) اخرجها أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة ونقلها ابن أبي الحديد في ص١٣٤ جـ١ ن الشرح، واخرجها غير واحد من اصحاب السنن كالبخاري في صحيحه جـ٤ ص١١٩ واخرجها بن جرير في تاريخه من حوادث سنة ١١ ونقلها ابن أبي الحديد في شرحه ص١٢٢ مجلد١.

(٢) راجع تاريخ الطبري ص١٩٧ جـ٣.

(٣) راجع تاريخ الطبري ص١٩٧ و١٩٩ جـ٣.

(٤) راجع جـ ص٢٦٦ الشرح لابن أبي الحديد.

(٥) راجع ص١٩٨ جـ٣ من تاريخ الطبري.

— دخول المهاجرين الثلاثة :

بالوقت الذي كان فيه الأنصار يتداولون الأمر بينهم ، دخل المهاجرون الثلاثة أبو بكر وعمر وأبو عبيدة رضي الله عنهم إلى السقيفة .

— الحجج الشرعية للمجتمعين :

(أ) حجة الأنصار :

١ ـ لهم سابقة في الدين ليست لقبيلة من قبائل العرب (وتلك حجة شرعية) كما أسلفت ووثقت ذلك في باب التفاضل بين الصحابة عند بحث البيعة الخاصة .

٢ ـ هم الذين جاهدوا مع رسول الله ومنعوه ومنعوا أصحابه حتى دانت العرب بأسيافهم واستقام أمر الله طوعاً وكرهاً ، والجهاد حجة شرعية أيضاً كما أسلفت ، فالذين جاهدوا ليسوا كالقاعدين[١] .

٣ ـ الأنصار قاطبة ، الأوس والخزرج متفقة من حيث المبدأ ومفوضة أمرها إلى سعد بن عبادة[٢] .

٤ ـ إذا أبى المهاجرون إمارة الأنصار، فمن الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير[٣] .

٥ ـ إذا أبى المهاجرون الثلاثة ذلك، فيجب اجلاؤهم عن البلاد وتولي الأمر عليهم[٤] .

وانصافاً للأنصار، فإن القول لم يحدث إلا بعد اشتداد الخلاف بين عمر والحباب .

— حجة المهاجرين في سقيفة بني ساعدة :

١ ـ هم أول من عبدالله في الأرض[٥] .

---

(١) الامامة والسياسة ص٤ـ٥ .

(٢) الامامة والسياسة ص٥ .

(٣) الامامة والسياسة ص٦ـ٧ .

(٤) الامامة والسياسة ص٨ .

(٥ ـ ٦) راجع الامامة والسياسة ص٧ـ٨ وراجع جـ٢ ص٢٦٥ من شرح النهج .

٢ ـ هم أولياء الرسول وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده لا ينازعهم إلا ظالم[١].
٣ ـ هم الأمراء، والأنصار وزراء[٢].
٤ ـ تأبى العرب أن تؤمر الأنصار ونبيها من غيرهم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم[٣].
٥ ـ من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته[٤].
وهذا ملخص رأي أبي بكر وعمر.

— الاذعان للحق:

لما سمع الأنصار حجة المهاجرين، اقتنعوا واكتشفوا أن أهل الرسول أولى بميراثه. هنالك قالت الأنصار كلها (لا نبايع إلا علياً)[٥]. قال بعض الأنصار لا نبايع إلا علياً[٦].

— تمني وايضاح:

فلو أن المهاجرين الثلاثة قبلوا إمامة علي، كما طلبت الأنصار، لما حدث أي اشكال، ولسار النظام سيراً طبيعياً. ويجدر بالذكر أن الأنصار قالت لا نبايع إلا علياً وعلي غائب مشغول مع العترة الطاهرة بمصيبتهم لا يدري، وأعدال الكتاب جميعاً أهل البيت وآل البيت لا علم لهم بما يجري حيث كانوا يجهزون الرسول.

— تفتت جبهة الأنصار:

لما رأى بشير بن سعد أن الثلاثة المهاجرين يرفضون إمارة علي ويريدون تأمير أحدهم، ولما رأى الأنصار قد أجمعت على سعد بن عبادة، قام حسداً لسعد وقال: إن محمداً رجل من قريش، وقومه أحق بميراثه، فتبعثر جمع الأنصار[٧].

(١ ـ ٧) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص١٩٨. راجع الامامة والسياسة ص٨ وراجع جـ٢ ص٢٦٦ من شرح النهج.

ويجدر بالذكر أن بشير بن سعد كان ثاني اثنين من الأنصار وقفوا مع معاوية فيما بعد ضد علي[1].

— اهتبال الفرصة :

لما رأى أبو بكر اعتراف الأنصار بحق أقرباء الرسول وعشيرته بتولي الأمر من بعده، اهتبل الفرصة وقدم عمر وأبا عبيدة مرشحين للخلافة، ليختار الأنصار منهما من شاؤ وا. وبسرعة فائقة قال عمر: أنت أحق بهذا الأمر، فأنت صاحب الرسول، وقفز بشير بن سعد وبايعه، وبايعه المهاجران الآخران عمر وأبو عبيدة، وتتابع المبايعون، وبايع قسم كبير من الأنصار.

— خروج الخليفة واعلان خلافته :

بهذه المبايعة خرج أبو بكر كخليفة، وخرج عمر وأبو عبيدة كنائبين للخليفة. وخرج الذين بايعوه كجيش للخليفة وذهبوا إلى المسجد ليعلنوا أن أبا بكر أصبح خليفة للنبي.

— كيف تمت البيعة :

هكذا تمت بيعة أبي بكر في غياب كل قريش، اذ لم يحضر الاجتماع من قريش الا أبوبكر وهو من بني تيم، وعمر وهو من بني عدي، وأبوعبيدة وهو من بني الحارث.

وهذه البطون الثلاثة، ليست من عشيرة الرسول الاقربين[3]

وتمت بيعة ابي بكر في غياب المهاجرين كلهم، فلم يحضر من المهاجرين احد سوى الثلاثة[4]. وتمت بيعة ابي بكر في غياب العترة الطاهرة، ومن الطبيعي ان العترة الطاهرة هي ناصية قريش بنص الشرع، ولا يحق لقريش ان تقطع امرا دون

(١) راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد جـ٢ ص٨٤٩ـ٨٥١.
(٢) راجع ص٢٠٧ـ٢١٠ جـ٣ من تاريخ الطبري و ص٥ـ٧ من الامامة والسياسة.
(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٧٤.
(٤) راجع كل مراجع الدنيا تصل إلى هذه الحقيقة.

علم ورأي العترة الطاهرة، وما سقناه من الادلة، سواء في باب تسمية الامام شرعا، أو في باب القرابة الطاهرة، ما يكفي بفضل الله لبيان الحقيقة. فهم اعدال الكتاب لا تمنع الضلالة الا باثنين، كتاب الله وعترة رسوله[1]

— الاجراء الاول:

وجد الخليفة ونائباه وجيشه الناس مجتمعين في المسجد، قال لهم نائب الخليفة؟ وولي عهده عمر:

مالي اراكم حلقا شتّى، قوموا فبايعوا أبابكر فقد بايعته وبايعه الانصار[2]. فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا، وقام سعد بن أبي وقاص ومن معه من بني زهره فبايعوا، أما علي والعباس ومن معهم من بني هاشم، فقد انصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير[3].

وهكذا ليس امام الناس إلا أن يبايعوا، بدليل ان عمر ذهب في عصابة فيهم اسيد بن حضير وسلمه بن اسلم في اثر علي ومن معه، وطلبوا منهم ان ينطلقوا فيبايعوا أبابكر، فأبوا، فخرج الزبير بالسيف، فأمر نائب الخليفة عمر أن يأخذوا السيف منه وان يضربوا به الجدار[4].

وهكذا وجدت المعارضة نفسها بمواجهة سلطة حقيقية، تختلف تماما عن سلطة الرسول.

ولعمري لقد تركت تلك الفلتة آثارها على التاريخ الإسلامي كله، والنظام السياسي الإسلامي أيضاً.

---

(١) اخرجه الترمذي والنسائي وراجع ص٤٤ جـ١ من الكنز واخرجه الامام أحمد ص١٨٢ و١٨٩ جـ٥ واخرجه أبويعلي وابن أبي شيبه وابن سعد، وراجع ص٤٧ جـ١ من الكنز و ص١٤٨ جـ٣ من المستدرك للحاكم وراجع ص١٧ و٢٦ من مسند الامام أحمد وراجع ص١٠٩ جـ٣ من المستدرك واخرجه الطبراني والنبهاني واحياء الميت للسيوطي وراجع فصل باب ٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر ص٥٧ و٨٩ و٩١ وراجع فتح القدير للشوكاني جـ٤ ص٢٨٠ ونقله عن الترمذي والحاكم، وابن مردويه والبيهقي والطبراني وراجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص١٩ و٢٠.

(٢و٣) راجع الامامة والسياسة ص١١.

(٤) الامامة والسياسة ص١١.

الفصل السابع

— السلطة والمعارضة :

مجرد بيعة أبي بكر في السقيفة، على الرغم من امتناع الكثير من الانصار من مبايعته، وعلى الرغم من غياب قريش كلها، وعلى الرغم من غياب المهاجرين كلهم، إلا ان أبا بكر تصرف كسلطة، وتصرف عمر وأبوعبيده كنائبين للخليفة وكجزء من السلطة. وبدأت هذه السلطة بمواجهة من يمكن أن نسميهم بالمعارضة.

١ ـ مواجهة المعارضة داخل السقيفة نفسها :

أ ـ معارضة سعد بن عباده : لحسن حظ السلطة ان سعدا كان مريضا ولا يقوى على النهوض، ومع هذا عارض معارضة شديدة إلى درجة استوجبت صدور أمر من السلطة بقتل سعد، فقد أمر نائب الخليفة عمر بن الخطاب بقتل سعد بن عباده. ولكن لم ينفذ الامر لاسباب امنية وسياسية، فسعد هو سيد الخزرج[١].

ومع هذا لوحق سعد، واضطر إلى ترك المدينة لأن عمر كره جواره، وقتل في زمن عمر غيلة، وقيل ان الجن قد قتلت سعد بن عباده.

وترنم (الجني) المثبور الذي قتل سعد بن عباده سيد الخزرج بفعلته في بئر وفي بيتين من الشعر؟

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين فلم نخطىء فؤاده[٢]

وعلى أي حال فلم يبايع سعد بن عباده حتى مات، . وعندما طلب منه أبوبكر أن يبايع قال سعد : ولا والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الأنس ما بايعتكم حتى اعرض على ربي واعرف حسابي.

---

(١) راجع الامامة والسياسة ١٠٩.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٣ ص٦١٣.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ ٣ ص٦١٦.

فلما سمع أبوبكر قوله، قال له عمر لا تدعه حتى يبايعك، فقال لهم بشير بن سعد انه قد ابى ولج، وليس يبايعك حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل ولده معه وأهل بيته وعشيرته، ولن تقتلوهم حتى تقتلوا الخزرج . . . فلا تفسدوا على انفسكم امراً استقام لكم فاتركوه، فليس تركه بضاركم، وانما هو رجل واحدا. وقبلوا مشورة بشير[1]

وبقي سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجتمع بجمعتهم، ولا يفيض بافاضتهم، ولو يجد عليهم اعوانا لصال بهم ولو يبايعه احد على قتالهم لقاتلهم[2]

ب ـ معارضة الحباب بن منذر:

قال الحباب بن المنذر: اما والله لئن شئتم لنعدينها جذعة، والله لا يرد على احد ما اقول الا حطمت انفه بالسيف. وتصدى لمن اراد ان يبايع أبابكر بالسيف داخل السقيفة، الا انهم اخذوا السيف منه، فجعل يضرب ثوبه بوجوههم حتى فرغوا من البيعة. فقال، فعلتموها يا معشر الانصار، والله لكأني بأبنائكم على ابواب ابنائهم قد وقفوا يسألونهم الماء بأكفهم.

قال أبوبكر: امنا تخاف يا حباب؟ قال الحباب ليس منك اخاف ولكن ممن يجيء بعدك. قال أبوبكر، فالامر اليك وإلى اصحابك ليس لنا عليكم طاعة.
قال الحباب: هيهات يا أبابكر إن ذهبت أنا وانت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم[3].

ويلاحظ ان الحباب بن المنذر خائف على مستقبل النظام، ولم يكن خائفا من أبي بكر، ويلاحظ ان الحباب بن المنذر من انصار الشرعية ومن الذين قالوا عندما اقيمت الحجة على الانصار واحتج المهاجرون الثلاثة بالقرابة من رسول الله ﷺ: اذن لا نبايع الا عليا[4].

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص١٠ لابن قتيبه.

(٢) راجع نفس المرجع ص٩-١٠.

(٣) راجع نفس المرجع ص٩.

(٤) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص١٩٨.

ب ـ معارضة العترة الطاهرة:

قلنـا ان العتـرة الطـاهـرة كانت غائبة بالكامل عما جرى في سقيفة بني ساعده وهنـالـك اجمـاع وقـول واحـد على ذلك، بأنهم لم يشهدوا بيعة أبي بكر ولم يدخلوا سقيفة بني ساعده.

«وكـانـوا منصرفين بكلهم إلى خطبهم الفادح بوفاة رسول الله وقيامهم بالواجب من تجهيـزه ﷺ لا يعنـون بغيـر ذلك، وما ان واروه في ضراحه الاقدس، حتى أكمل أهل السقيفة امرهم. فأبرموا البيعة، واحكموا العقد، واجمعوا اخذا بالحزم على منع كل قول أو فعل يوهن بيعتهم أو يخدش عقدهم أو يدخل التشويش والإضطراب إلى عامتهم»[1].

١ ـ الامام علي بمواجهة السلطة:

— حجة الامام بالمعارضة:

اتى بعلي إلى ابي بكـر وهـو يقـول: (انـا عبـدالله واخـو رسوله). فقيل له بايع ابابكر فقال: أنا احق بهذا الأمر منكم، لا ابايعكم وانتم اولى بالبيعة لي، اخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، وتأخذونه منا أهل البيت غصبـا؟ الستم زعمتم للانصـار انكم أولى بهـذا الأمر لما كان محمد منكم فأعطوكم المقـادة وسلمـوا اليكم الامـارة، نحن أولى برسول الله حيا، وميتا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، والا فبوءوا بالظلم وانتم تعلمون.

فقال عمر: انك لست متروكا حتى تبايع.

فأجـابـه الامـام علي: احلب حلباً لك شطـره، واشـدد له اليوم امره، يردده عليك غدا.

والله يا عمر لا اقبل قولك ولا ابايع. فقال أبوبكر: ان لم تبايع فلا اكرهك.

قال أبـوعبيـدة لعلي: يا ابن عم، انـك حديث السن وهـؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثـل تجـربتهم بالأمـور، ولا أرى أبا بكر إلا اقوى منك على هذا الأمر واشد

---

(١) راجع المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص٣٣٢ وما فوق.

احتمالا واضطلاعا به، فسلم لأبي بكر،فانك تعيش ويطول بك بقاء،فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك .

فقال علي : الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر ما دام فينا القارىء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، المدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية . والله انه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا[1] .

— حكم على حجة الامام علي :

فلما سمع بشير بن سعد الانصاري ـ الذي شق اجماع الانصار وبايع أبابكر ـ قال : لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان[2] .

— الامام يطلب النصرة لمواجهة السلطة :

وخرج علي يحمل فاطمة بنت محمد ﷺ على دابة ليلا في مجالس الانصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون ، يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل أبي بكر ما عدلنا به .

فقالت فاطمة : ما صنع أبوالحسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[3] .

وعندما ارسل له أبوبكر مولاه قنفد فقال له قنفد ، خليفة رسول الله يدعوك اجابه علي : لسريع ما كذبتم على رسول الله ، فأرسل الخليفة مولاه قنفد ثانية وطلب ان يبلغ عليا بان خليفة رسول الله يدعوه ليبايع ، فبلغ قنفد الرسالة لعلي ، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله ، لقد ادعى ما ليس له[4] .

---

(١) الامامة والسياسة ص١١-١٢ .

(٢) الامامة والسياسة ص١٢ .

(٣) الامامة والسياسة ص١٢ وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد جـ٢ ص٢٦٨ ونقله عن الجوهري .

(٤) راجع الامامة والسياسة ص١٣ .

— استعمال القوة ضد الامام علي (التهديد بالقتل):

امام اصرار علي هذا، تحرك نائب الخليفة فمشى في جماعة وأخرجوا عليا غير عابئين ببكاء فاطمة الزهراء، وجاؤ وا به إلى ابي بكر. فقالوا له بايع. فقال علي: ان لم افعل فماذا. قالوا اذا نضرب عنقك... قال علي: اذا تقتلون عبدالله وأخا رسول الله؟

قال عمر: اما عبدالله، فنعم، واما اخو رسول الله، فلا، - (اخاء علي مع الرسول حقيقة فيها حديث قدسي) - ومجموعة هائلة من الاحاديث التي وصلت الى مرحلة التواتر.

وكان أبوبكر الخليفة ساكتا، فقال له نائبه عمر: الا تأمر فيه بأمرك؟ فقال أبوبكر: لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جانبه.

فلحق علي بقبر الرسول يصيح ويبكي وينادي (يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[1].

— الامام يقدر لموقف:

انت تلاحظ ان اولي الامر والنهي قد اخذوا بالحزم واعلنوا تلك الشدة، وهل يتسنى في عصرنا الحاضر لاحد ان يقابل أهل السلطة بما يدفع سلطتهم، ويلغي دولتهم، وهل يتركونه وشأنه لو أراد ذلك، هيهات، فقس الماضي على الحاضر، فالناس ناس والزمان زمان، وعلي يرى يومئذ بهذه الظروف أن إمتناعه ليس له أثر إلا الفتنة التي كان يؤثر ضياع حقه على حصولها في تلك الظروف.

أ - الخلافة بنصوصها ووصاياهاتستصرخه وتستفزه بشكوى تدمي الفؤاد وحنين يفتت الاكباد.

ب - والفتن الطاغية تنذر بانتفاض شبه الجزيرة، وانقلاب العرب واجتياح الإسلام وتهدده بالمنافقين من أهل المدينة وبمن حولها من الاعراب وهم منافقون بنص الكتاب، وقد قويت شوكتهم بفقده ﷺ واصبح المسلمون بعده كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب عادية، ووحوش كاسرة ضارية، ومسيلمة الكذاب

(١) راجع الامامة والسياسة ص١٢-١٣.

وطليحة وسجاع بنت الحارث، والروم والاكاسرة والقياصرة، وغيرهم كانوا للمسلمين بالمرصاد، وكل هذه العناصر تجيش بالحقد على محمد وآله وعلى كلمة الإسلام، تريد أن تنقضها من اساسها وتستأصل شأفتها[1]

— **المنهج الذي اختاره الامام:**

لم يكن امام الامام علي إلا الاحتفاظ بحقه في الخلافة والاحتجاج على من عدل عنه بها على وجه لا تشق بها للمسلمين عصا، ولا تقع بينهم فتنة ينتهزها عدوهم.

فقعد في بيته حتى اخرجوه كرها بدون قتال، ولو اسرع اليهم ما تمت له حجة ولا سطع لشيعته برهان، لكنه جمع بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقه من خلافة المسلمين، وحين رأى ان حفظ الإسلام ورد عادية اعدائه موقوفا في تلك الأيام على الموادعة والمسالمة، شق بنفسه طريق الموادعة وآثر مسالمة القائمين في الامر احتفاظا بالامة واحتياطا على الملة وضنا بالدين، وايثارا للعاجلة على الآجلة وقياما بالواجب شرعا وعقلا من تقديم الاهم في قيام التعارض على المهم.

قال الامام علي: (اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عنها السيل ولا يرقى اليها الطير فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت ارتئي بين أن اصول بيد جذاء، أو اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت ان الصبر على هات احجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهبا. . . إلى آخر الخطبة الشقشقية)[2].

وكم مرة قال: اللهم اني استعينك على قريش ومن اعانهم، فانهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، واجمعوا على منازعتي امراً هو لي. . وقد قال قائل، انك على هذا الامر يا ابن ابي طالب لحريص، فقال بل انتم والله احرص، وانما طلبت حقا لي وانتم تحولون بيني وبينه.

---

(۱) راجع المراجعات ص۳۳۲-۳۳٤ للامام العاملي. وراجع بيعة الامام علي لأبي بكر في ص۱۲-۱٤.

(۲) راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد جـ۱ ص۲٥.

فوالله ما زلت مدفوعها عن حقي مستأثرا علي منذ قبض رسول الله ﷺ حتى يومنا هذا.

وقال مرة: لنا حق فان اعطيناه، والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى[1].

وكتب كتابا إلى أخيه عقيل قال فيه:

(فجزت قريش عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن امي)[2].

وقال يوما: (ونظرت فاذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، واغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم)[3].

٢ ـ فاطمة الزهراء بمواجهة السلطة:

تفقد أبو بكر قوما تخلفوا عن بيعته، فوجدهم عند علي، فبعث إليهم، فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا.

فدعا عمر بالحطب وقال، والذي نفسي بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها. فقيل له، يا ابا حفص، ان فيها فاطمة الزهراء فقال عمر وان... فخرجوا جميعا فبايعوا إلا علي[4].

ووقفت فاطمة رضي الله عنها فقالت: لا عهد لي بقوم اسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله جنازة بين ايدينا، وقطعتم امركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقنا[5].

عندما اخذ نائب الخليفة عمر جماعة من جنده ليخرجوا عليا بالقوة، نادت بأعلى صوتها (يا ابتي يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة)..

---

(١) راجع شرح المنهج لابن أبي الحديد ص١٠٣ جـ٢ وص٣٧ جـ١ والمراجعات ص٢٣٨.

(٢) راجع شرح النهج ص٦٧ جـ٣.

(٣) راجع شرح النهج ص٦٢ جـ١.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص١٢ وراجع مراجع التحريق التي سقناها عشرات المرات.

(٥) راجع الامامة والسياسة ص١٣.

فلمـا سمـع القـوم صوت بكائها كادت قلوبهم تنصدع ، واكبادهم تنفطر، ومع هذا بقي عمر ومن معه حتى اخرجوا عليا[1].

جرب أبـوبكـر وعمر ان يقابلا فاطمة ليكفرا عن اغضابهما لها وعن تهديد عمر بحـرق بيتهـا ، فلم تأذن لهمـا . فأتيـا عليـا فأدخلهما عليها ، وسلما ، فلم ترد عليهما السلام ، فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فلم ترد عليهما .

وتكلم أبـوبكـر إلى ان قال ، اني سمعت رسـول الله يقول : لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة .

وبالمناسبة ، كيف نفسر الاحاديث الصحاح التي وردت عن النبي واكدت ان عليا هو وارث النبي ، بل وكيف نقول امام النص القرآني الواضح ﴿وورث سليمان داود﴾، ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ ثم لماذا اذا رد عمر بن عبدالعزيز فدك[2].

— والخلاصة ان فاطمة الزهراء قالت لهما :

(ارأيتكمـا ان حدثتكمـا حديثـا عن رسـول الله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا نعم ، فقـالت نشـدتكمـا الله الم تسمعـا رسـول الله يقول ، رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمـة من سخطي ، فمن احب فاطمـة ابنتي فقـد احبني ، ومن ارضى فاطمـة فقـد ارضاني ، ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني) . قالا نعم ، . سـمعناه من رسول الله .

قالت الـزهـراء : فاني اشهـد الله ومـلائكته انكما اسخطتماني وما ارضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكما اليه .

فقـال أبـوبكر : انا عائذ بالله من سخطه وسخطك يا فاطمة . ثم انتحب أبوبكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول والله لأدعون عليك في كل صلاة اصليها[3].

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص١٣ .

(٢) راجـع شرح النهـج جـ٢ ص٨٢٩ وراجـع جـ٥ ص٦٢٥ الحديث ١٤١٠١ من الكنز و جـ٤ ص٩٨ ن الطبقات وراجع جـ٥ ص٦٠٥ من الكنز والحديث ١٤٠٧٠ .

(٣) الامامة والسياسة ص١٤ .

— اثر هذه المقابلة على السلطة:

خرج أبوبكر فاجتمع اليه الناس فقال، يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته، مسرورا بأهله، وتركتموني وما انا فيه لا حاجة لي في بيعتكم اقيلوني بيعتي . . .

لكن الحاشية منعوه وقالوا، يا خليفة رسول الله، ان هذا الامر لا يستقيم وانت اعلمنا بذلك. إن كان هذا لم يقم لله دين.

فقال أبوبكر، والله لولا ذلك وما اخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة[1].

— محاولات اخرى للزهراء:

طافت فاطمة الزهراء مع علي على مجالس الانصار تسألهم النصرة. فكانوا يتعذرون بسبب ان بيعتهم سبقت لابي بكر، ويقولون، لو ان زوجك سبق ما عدلنا به. وكانت تقول لهم ما صنع أبوالحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[2]. ولقد نازعت فاطمة أبابكر أيضاً في الميراث والنحلة وسهم ذوي القربى[3].

— الزهراء تثبت شكواها:

. . . ويحهم انى زحزحوها ـ الخلافة ـ عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة، ومهبط الروح الامين، الطبن بأمور الدين والدنيا، الا ذلك هو الخسران المبين.

وما الذي نقموا من ابي الحسن؟ نقموا منه والله نكير سيفه وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله. والله لو تكافأ على زمام نبذه رسول الله ﷺ لاعتقله وسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه، ولا يتتعتع راكبه، ولأوردهم منهلا رويا فضفاضا تطفح ضفتاه ولا يترنم جانباه، ولا صدرهم بطانه ونصح لهم سرا واعلانا، غير متمل منهم بطائل الا بغمر الناهل، وردة سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص١٣-١٤.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص١٢.

(٣) راجع شرح النهج.

الا هلم فاستمع ومـا عشت اراك الـدهـر عجبـا ، وان تعجب فقـد اعجبـك الحادث ، إلى أي لجأ لجأوا ، وبأي عروة تمسكوا لبئس المولى ولبئس العشير ، بئس للظالمين بدلا .

استبـدلـوا والله الـذنـابـا بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعطس قوم يحسبون انهم يحسنـون صنعـا ، الا انهم هم المفسـدون ولكن لا يشعـرون . ويحهم ، افمن يهدى إلى الحق احق ان يتبع أمن لا يهدى فما لكم كيف تحكمون[1] .

وقد اوصت رضي الله عنها أن لا يصلي عليها أبوبكر[2] .

جـ احتجاج العباس :

اتى المغيرة بن شعبة فقال الرأي يا أبابكر ان تلقوا العباس فتجعلوا له في هذه الامـرة نصيبـا يكـون له ولعقبـه ، وتكـون لكما الحجة على علي وبني هاشم اذا كان العباس معكم .

وانطلق أبـوبكـر وعمـر وأبـوعبيـدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس رضي الله عنـه . فحمـد الله أبـوبكر واثنى عليه ثم قال : ان الله بعث محمدا ﷺ نبيا وللمؤمنين وليـا فمن الله تعـالى بمقـامـه بين اظهرنا حتى اختار له الله ما عنده فخلى على الناس امرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم متفقين غير مختلفين ، فاختاروني عليهم ولياً ولأمورهم راعياً ، وما أخاف بعون الله وهناً ولاحيرة ولا جبناً ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب ، وما أزال يبلغني عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين ويتخـذكم لجأ فتكـونـوا حصنه المنيع ، فاما دخلتم فيما دخل فيه العامة أو دفعتمـوهم عمـا مالـوا اليـه ، وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الامر نصيبا يكون لك ولعقبك من بعدك ، اذ كنت عم رسول الله ، وان كان الناس قد رأوا مكانك

---

(١) اخـرجهـا أبـوبكـر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتابه السـقيفة . ورواها الامام أبوالفضل أحمد بن أبي الطـاهـر المتـوفي سنـة ٢٨٠هـ في ص٢٣ من كتـابه بلاغات النسـاء وقد اوردها الطبري في كتاب الاجتمـاع والمجلس في بحـار الانـوار ورواهـا غيـر واحـد من الثقـات راجـع في ذلـك ص٣٤١ من المراجعات للامام العاملي .

(٢) راجع مجلد ٤ ص٥٢٧ من شرح النهج .

ومكـان أصحـابـك فعدلوا الأمر عنكم على رسلكم يا بني عبدالمطلب فإن رسول الله منا ومنكم[1].

ثم قال عمـر: أي والله، واخـرى انـا لم نأتكم حاجة منا اليكم ولكن كرهنا ان يكـون الطعن منكم فيمـا اجتمع عليـه العـامـة فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسـكم وعامتكم.

— الرد الحاسم:

حمد العباس الله واثنى عليه ثم قال:

ان الله بعث محمـدا كمـا زعمت نبيـاً وللمـؤمنين وليـاً. فمن الله بمقـامـه بين اظهرنـا حتى اختـار له الله ما عنـده، فخلى على النـاس امـرهـم، ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحق، لا مائلين عنـه بزيـغ الهـوى. فان كنت برسـول الله طلبت، فحقنـا اخذت، وان كنت بالمؤمنين طلبت، فنحن منهم متقدمون. وان كان هذا الأمر انما يجب لك بالمؤمنين، فما وجب أن كنا كارهين.

فأما ما بذلت لنا، فان يكن حقا لك، فلا حاجة لنا به، وان يكن حقا للمؤمنين فليس لك ان تحكم عليهم. وان كان حقنا، لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض. واما قولك ان رسول الله منا ومنكم، فانه كان من شجرة نحن اغصانها وانتم جيرانها[2].

جـ سيدا شباب أهل الجنة بمواجهة السلطة:

جاء الحسين بن علي إلى ابي بكر وهو على منبر رسول الله ﷺ فقال له: (انزل عن مجلس ابي)[3].

وقال الحسين نحو ذلك لعمر وهو على المنبر أيضاً.

---

(١) الامامة والسياسة ص١٥

(٢) راجع الامامة والسياسة ص١٥-١٦.

(٣) نقل بن حجر كلتا القضيتين في المقصد الخامس مما اشارت اليه آية المودة في القربى وهي الآية ١٤ من آيات البـاب ١١ من صـواعقـه، فراجع ص١٦٠ من الصواعق وقد اخرج الدارقطني قضية الحسـن مع أبي بكر واخرج بن سعد في ترجمة عمر من طبقاته قضية الحسين مع عمر راجع ص٣٤٥ من المراجعات.

د ـ المواجهة السلمية لابن عباس مع السلطة:

١ ـ قال عمر لابن عباس في حديث طويل دار بينهما:
يا ابن عباس، اتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد ﷺ؟

قال ابن عباس فكرهت ان اجيبه. فقلت ان لم اكن ادري، فان أمير المؤمنين يدري. فقال عمر: كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجحا بجحا. فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت. قال فقلت يا أمير المؤمنين، ان تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت. قال، تكلم، قال ابن عباس فقلت: اما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو ان قريشا اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها، لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

واما قولك، انهم ابوا ان تكون لنا النبوة والخلافة، فان الله عز وجل وصف قوما بالكراهة فقال: ﴿ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فأحبط اعمالهم﴾.

فقال عمر: هيهات يا ابن العباس، قد كانت تبلغني عنك اشياء اكره ان اقرك عليها فتزيل منزلتك مني. فقلت يا أمير المؤمنين، فان كانت حقا فما ينبغي ان تزيل منزلتي منك، وان كانت باطلا، فمثلي اماط الباطل عن نفسه. فقال عمر بلغني انك تقول: صرفوها عنا حسدا وبغيا وظلما. قال ابن عباس فقلت:

اما قولك يا أمير المؤمنين ظلما، فقد تبين للجاهل والحليم، واما قولك حسدا، فان آدم حسد ونحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات هيهات، ابت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسدا لا يزول، قال فقلت يا أمير المؤمنين مهلا، لا تصف بهذا قلوب قوم اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا[1].

٢ ـ وحاوره مرة أخرى فقال له في حديث آخر، كيف خلفت ابن عمك، قال فظنته

---

(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الاثير جـ٣ ص٢٤ اخر سيرة عمر من حوادث سن ٢٣. وراجع علامة المعتزلة ص١٠٧ مجلد ٣ من شرح النهج. (٢) اخرجه الامام ابوالفضل أحمد بن ابي الطاهر في تاريخ بغداد بسنده المعتبر إلى ابن عباس واورده علامة المعتزلة في احوال عمر من شرح النهج ص٩٧ مجلد ٣

يعني عبـدالله بن جعفـر، قال فقلت، خلفتـه مع اترابه. قال عمر، لم اعن ذلك انما عنيت عظيمكم أهل البيت، قال، قلت خلفته يمتح بالغرب وهويقرأ القرآن، قال يا عبدالله عليك دماء البدن ان كتمتنيها هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟

قلت، نعم، قال ايزعم ان رسول الله نص عليه؟ قال ابن عباس قلت وازيدك سألت ابي عما يدعي من نص رسول الله عليه بالخلافة فقال صدق.

فقال عمر: قد كان من رسول الله في امره ذروا - اي المكان المرتفع - من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرا ولقد كان يربع (يمتحن) في أُمره وقتا ما، ولقد أراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعته[1].

٣ - وتحـاور مرة ثالثـة فقـال: يا ابن عباس ما ارى صاحبك الا مظلوما، فقلت يا أمير المؤمنين فاردد اليه ظلامته. قال ابن عباس، فانتزع عمر يده من يدي ومضى يهمهم ساعـة ثم وقف فلحقتـه فقـال، يا ابن عبـاس، ما اظنهم منعهم عنه الا انه استصغره قومـه، قال فقلت، والله ما استصغـره الله ورسـولـه حين امـره ان يأخذ سورة براءة من صاحبك. قال، فاعرض عني وأسرع[2].

٤ - وكم لرجالات بني هاشم من امثال هذه الاحتجاجات[3].

٥ - راجـع احتجـاجـات الصحـابـة، كخالد بن سعيد بن العاص الاموي، وسلمان الفـارسي، وابي ذر الغفـاري، وعمـار بن ياسـر، والمقـداد، وبـريـده الاسلمي، وأبوالهيثم بن التيهان، وسهل، وعثمان ابني حنيف، وخزيمه ذو الشهادتين، وابي بن كعب وابوايوب الانصاري وغيرهم[4].

— اجتماع بني عبد مناف واحتواثه:

لما علم أبوسفيان ان اناسا بايعوا أبا بكر، اقبل وهويقول: ما لنا وأبي فصيل، انما هو بنو عبد مناف[5].

---

(١) راجع نهج البلاغة لعلامة المعتزلة الحديدي ص١٠٥ مجلد ٣.

(٢) راج المراجعات للامام شرف الدين العاملي ص٣٤٢-٣٤٥.

(٣) يمكن الاطلاع على احتجاجاتهم في كتاب الاحتجاج للامام الطبرسي.

(٤) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٢٠٢.

ولما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر، اقبل أبوسفيان وهويقول: والله اني لأرى عجاج لا يطفئها إلا الدم يا آل عبد مناف فيما أبوبكر من اموركم، اين المستضعفان، اين الاذلان علي والعباس، وقال يا أباالحسن، ابسط يدك ابايعك فأبى ذلك علي وزجره وقال له والله ما اردت بهذا الا الفتنة، والله طالما بغيت الإسلام شرا لا حاجة لنا بنصيحتك[1].

وهكذا رفض علي وحدة بني عبد مناف ضد أبي بكر حرصا على الإسلام.

ووجد أبوسفيان الفرصة سانحة امامه، واذرع السلطة مفتوحة له. فقد اقترح عمر على أبي بكر، كما روى الجوهري في كتاب السقيفة. ان يترك لابي سفيان ما بيده من الصدقات التي جمعها[2].

وليجعل عمر لأبي سفيان مصلحة في خلافة أبي بكر، اقترح على أبي بكر أن يولي يزيد بن أبي سفيان قيادة جيش ويرسل معه اخاه معاوية كقائد من قواده، مع ان معاوية من المؤلفة قلوبهم، ويموت يزيد فيما بعد ويتسلم معاوية ولاية الشام ويغير مجرى التاريخ كله.

ويتلقى أبوسفيان تلك المنن بالرضا والقبول ويقول عن أبي بكر وصلته رحم[3].

وباختصار فان عليا ارفع وانبل من أن يفرق بين الدين والسياسة، حتى ولو ضاع حقه.

واثبت فيما يلي نص الرسالتين المتبادلتين بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبين والده[4].

ارسل أبوبكر الصديق رسالة إلى والده الذي كان بالطائف جاء فيها:

(من خليفة رسول الله ﷺ إلى ابيه ابي قحافة. اما بعد: فان الناس تراضوا

---

(١) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٢٠٣.

(٢) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد جـ١ ص٣٠٦-٣٠٧.

(٣) راجع جـ٣ ص٢٠٩-٢١٠ من تاريخ الطبري وراجع ص١٥٢ من نظام الحكم للقاسمي.

(٤) راجع شرح النهج للخوئي جـ٣ ص٣٩ نقلا عن الاحتجاج للطبرسي نقلهما الدكتور محمد الصادقي في كتابه علي والحاكمون ص١٠٤-١٠٥.

بي، فاني اليـوم خليفـة الله، فلو قدمت علينـا كان احسن بك). فلمـا قرأ أبـوقحـافة الكتاب قال للرسول الذي حمله: ما منعكم من علي عليه السلام؟ قال الرسول، هو حدث السن، وقد اكثر القتل في قريش وغيرها وأبوبكر هو اسن منه..

قال أبوقحافة: ان كان الأمر في ذلك بالسن، فأنا احق من أبي بكر، لقد ظلموا عليا حقه، وقد بايع له النبي وامرنا ببيعته، ثم كتب اليه:

من أبي قحافة إلى إبي بكر، اما بعد: فقد اتاني كتابك، فوجدته كتابا احمق ينقض بعضـه بعضـا، مرة تقـول خليفـة رسول الله، ومرة تقول خليفة الله، ومرة تقول تراضى بي النـاس، وهـو أمـر ملتبس، فلا تدخلن في امر يصعب عليك الخروج منه غدا، ويكون عقابك منه إلى الندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب يوم القيامة فان للامـور مداخـل ومخـارج، وانت تعـرف من هو أولى بهـامتك، فراقب الله كأنك تراه، ولا تدعن صاحبها، فان تركها اليوم اخف عليك وأسلم لك.

بعد حادثة السقيفة ومبايعة أبي بكر اخذ الناس يتندرون، ان أبابكر تقدم علياً، وعلي يقـول انـه الأولى، وبعـد فتـرة قام أبـوبكر خطيبا، كما يرويه الزبير بن العوام، وقـال: صبـرا على من ليس يوال الى دين، ولا يحتجب برعـايـة، ولا يرعوى لولاية، أظهـر الايمـان ذله، وأسر النفاق غله، هؤلاء عصبة الشيطان وجمع الطغيان يزعمون اني اقـول اني افضـــل من علي، وكيف اقـول ذلـك؟ ومـالي سابقتـه ولا قرابتـه ولا خصوصيته، وحد الله وانا ملحده، وعبدالله قبل ان اعبده، ووالى الرسول وانا عدوه، وسابقني بساعات لم الحق شاوه ولم اقطع غباره.

ان ابن ابي طالب فاز والله من الله بمحبـة، ومن الـرسـول بقربة، ومن الايمان برتبة، لو جهد الأولون إلا النبيين ـ لم يبلغوا درجته ولم يلسكوا منهجه... إلى ان قال:

فلو كانت جميـع الخيـرات لقلبـه كنـوزا، لا يدخر منها مثقال ذرة إلا انفقه في بابه، فمن ذا يؤمل ان ينال درجته، وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين وليا، وللنبي ﷺ وصيا، وللخلافة راعيا، وبالامانة قائما، افيغتر الجاهل بمقام قمته اذا أقامني وأطعته اذا امرني...

إلى ان قال: ود المتمنــون ان لو كانــوا تراب اقـدام بن ابي طالب، اليس هو صاحب لواء الحمــد، والســاقي يوم الــورود، وجـامـع كل كريـم، وعـالم كل علم، والوسيلة الى الله ورسوله[1].

وقال أبوبكر يوما: اقيلوني، اقيلوني، فلست بخيركم وعلي فيكم[2].

---

(١) راجـع شرح النهـج للخـوئي جـ٣/٤١ نقلهـا عن احتجـاج الطبرسي برواية عامر الشعبي عن عروة بن الزبير عن الزبير بن العوام ونقلهما عنهما الدكتور محمد الصادقي في كتابه ـ علي والحاكمون ـ ص١٠٥-١٠٧.

(٢) راجـع علي والحـاكمـون ـ اجمـع عليهـا أهل الشيعة وذكرها الكثير من أهل السنة منهم الفخر الرازي والطبـرسي في تاريخـه والبـلاذري في انســاب الاشراف والسمعاني في الفضـائل راجع ص١٠٩ من ـ علي والحاكمون ـ.

الفصل الثامن

— الآثار السياسية «للفلته»:

كان لما جرى في سقيفة بني ساعده آثار سياسية هامة منها:

١ ـ عرف الخلفاء الثلاثة: وبمجرد تمام بيعة أبي بكر وممارسته لشؤون رئاسة الدولة تبين بوضوح ان خليفته سيكون عمر وخليفة عمر سيكون أباعبيدة.

بدليل ان عائشة ام المؤمنين كانت وثيقة الصلة بأبيها الخليفة الأول ونائبه عمر، وكانت مسموعة الكلمة عندهم وهي ترى:

(ان الرسول لو استخلف لاستخلف أبابكر ومن بعده عمر ومن بعده أبا عبيده)[١].

ولأن هؤلاء الثلاثة هم وحدهم الذين حضروا اجتماع سقيفة بني ساعده من دون المهاجرين فكان من الطبيعي جدا ان يقطفوا ثمرة حضورهم.

وهذا ما حدث بالفعل، اذ ان أبابكر اوصى بالخلافة لعمر وهو على فراش الموت. وقد عرف على هذا قبل ان يحدث وصرح به لعمر[٣].

وهذا عمر يصرح وهو على فراش الموت أيضاً بأنه لو كان أبوعبيدة حيا لولاه واستخلفه[٤]. وتلك حقيقة اكبر من ان تنكر.

وعندما تحققت وفاة أبي عبيدة، اقتنع الصديق الخليفة ونائبه الفاروق رضي الله عنهما ان الخليفة لا بد ان يكون عثمان، وبدأت تعد العدة لذلك، انظر الى قول أبي بكر عندما كتب عثمان وصيته باستخلاف عمر، يقول أبوبكر لعثمان:

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٢٢٥.

(٢) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٤٢٨ و ص١٩ من الامامة والسياسة و ص٨٥ جـ٢ من تاريخ بن خلدون و ص٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي على سبيل المثال فقط.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص١١.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص٢٣ على سبيل المثال.

والله لو كتبت نفسك لكنت اهلا[1]. وعثمان جدير بذلك سياسيا، فهو اول زعيم من زعماء المهاجرين بايع أبابكر[2].

ولم يذكر ان عارض أبابكر أو عمر بأي وقت من الاوقات، وتولية عثان أمر طبيعي لأنه كان موضع ثقة أبي بكر وعمر. فكان الناس اذا ارادوا ان يسألوا عمر عن شيء رموه بعثمان أو بعبدالرحمن بن عوف، وكان عثمان يدعى في إمارة عمر بالرديف، والرديف بلسان العرب الرجل الذي يأتي بعد الرجل والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم[3].

إذاً، فتلك حقيقة أن الثلاثة الذين حضروا اجتماع السقيفة، قد خرجوا من السقيفة معاً مثلما دخلوها معاً، وترتب حقيقة أن أبا بكر الخليفة الأول، وأن عمر هو الخليفة الثاني، وأن أبا عبيدة هو الخليفة الثالث. وبموت أبي عبيدة، وقع اختيار عمر على عثمان بن عفان. ومن يدقق بالشروط التي وضعها عمر لأصحاب الشورى الخمسة، يكتشف أن عثمان بن عفان قد عينه عمر بالنص أو ـ إن شئت فقل ـ سماه خليفة بالنص.

٢ ـ الأثر السياسي الثاني للفلتة: الايمان بولاية العهد والعمل بها:

أدرك الخليفة أبو بكر ونائبه عمر أهمية ولاية العهد وضرورتها لمصلحة المسلمين، ومجرد خروج الثلاثة من السقيفة، فرضت الأحداث عمر بن الخطاب ولياً للعهد، وتصرف تصرف ولي العهد. فعمر هو الذي هدد علياً بالقتل إن لم يبايع[4]. وعمر هو الذي أمر بقتل سعد بن عبادة في السقيفة، لا بصفته الشخصية، إنما بصفته ولياً للعهد أو جزءاً من السلطة[5]. وعمر هو الذي أقسم على حرق بيت

(١) راجع ص٤٢٨ جـ٢ من تاريخ الطبري و ص٣٧ من سيرة عمر و ص٨٥ جـ٢ من تاريخ ابن خلدون.

(٢) راجع ص١١ الامامة والسياسة.

(٣) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٤١٩ كما نقلها عن الطبري من ابتداء معركة القادسية.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص١٣ و ص٨ـ٩.

(٥) راجع الامامة والسياسة ص١٠ والطبقات لابن سعد جـ٣ ص٦١٧

فاطمـة بنت رسـول الله ﷺ على من فيـه، لا بصفتـه عمـر، إنما بوصفه ولياً للعهد أو جزءاً من السلطة(١).

وأبو بكر ـ على فراش الموت ـ أوصى بأن يكون الخليفة من بعده ولي عهده عمـر(٢)، وعمـر ـ على فراش المـوت ـ أوصى بأن يكـون الخليفـة من بعده عثمان. فعثمان كان يعرف بالرديف، وهو موضع سر أبي بكر وموضع سر عمر، وإذا أراد الناس شيئاً من عمر رموه بعثمان(٣).

ومن الطبيعي أنـه لو كان أبـو عبيـدة حيـاً، لتـولى الخلافة من بعد عمر، عملاً بمقولة أم المؤمنين عائشة(٤).

والأربعـة يسلمـون ضمنـاً وينفـون بطريقة قاطعة أن يكون للرسول ولي عهد. ويقـولـون أن الرسول خلى على الناس أمرهم(٥). ومع هذا، ابتدعوا ولاية العهد، إذ رأوها وسيلة لمنع الفتنة، وطريقة سهلة لانتقال السلطة بغير طريق الفلتة وبصورة سلمية.

ويجدر بالذكر، أن أبا بكر أوصى لعمر وهو على فراش الموت، حتى أنه ذهب في غيبوبة قبل أن يكتب اسم ولي عهده وخليفته من بعده، فكتبه عثمان وأقره أبو بكر(٦).

ويجـدر بالـذكـر، أن عمـر قد عهـد للستة من الناحية الشكلية، وعهد لعثمان عملياً وهو أيضاً على فراش الموت وقد اشتد به الوجع(٧).

---

(١) راجع مصادر التحريق وقد اشرنا اليها في هذه الدراسة عدة مرات وراجع ص١٣٤ ج١ من شرح النهج الحديدي و ص٢٩٥ من المراجعات.

(٢) راجـع الامـامـة والسـياسة ص١٩ وراجع ص٤٢٩ جـ٣ من تاريخ الطبري و ص٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي و ص٨٥ جـ٢ من تاريخ ابن خلدون.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص٢٣.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ٣ ص٢٢٥ و ص٢٢٣ الامامة والسياسة.

(٥) راجـع ص١٩ الامـامـة والسـياسـة و ص٤٢٩ جـ٣ من تاريخ الطبري و ص٣٧ من سيرة عمر و ص١٩٩ جـ٣ من الطبقات و ص٨٥ جـ٢ من تاريخ ابن خلدون.

(٦) راجع الامامة والسياسة ص٣٣.

وغني عن البيان، أن الرسول ﷺ قد منع من كتابة عهده ومن كتابة وصيته تحت شعار أن المرض قد اشتد به ولا ينبغي أن يسمح له بالوصية[1].

ويجدر بالذكر أيضاً ان ولاية العهد اصبحت جائزة في نظر علماء أهل السنة بسبب عهد أبي بكر لعمر وعهد عمر للستة أو عمليا لعثمان.

وبعد أن تولى الامويون رئاسة الدولة أُصبح العهد هو الطريقة المتبعة على الاغلب في تولية الخليفة.

وهكذا كانت الحالة في عهد العباسيين والعثمانيين. فإما عهد إلى الولد أو عهد لأحد افراد الاسرة.

واصبحت التسمية أو ولاية العهد جائزة شرعا لا لأن الرسول قد امر بها، أو أتخذ ولياً لعهده، ولكن لأن أبابكر قد عهد لعمر وعمر قد عهد لعثمان أو للستة[2].

أنظر إلى قول عائشة لعمر: استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا [3]. ثم انظر إلى رد عمر عليها، ومن تأمرني ان استخلف. الا ترى ان صلاحيات الخليفة باختيار ولي عهده شبه مطلقة، فلو امرته أم المؤمنين ان يستخلف أي شخص لفعل، لسبب بسيط انه وام المؤمنين يكرهون ان تبقى أمة محمد هملا وبغير راع. ورأفة ورحمة بهذه الأمة.

ارجع لعنوان ولاية العهد في باب تسمية الامام من هذه الدراسة.

الاثر السياسي الثالث للفلتة: عزل العترة الطاهرة

كانت معارضة علي لابي بكر معارضة منطقية جداً ومؤثرة بشهادة بشير بن سعد وتستند إلى قواعد شرعية لا يمكن انكارها.

ولكن تبقى السلطة سلطة وتبقى المعارضة معارضة، ولا يمكن للسلطة بأي

---

(١) راجع صحيح بخاري ص٢٢ جـ١ و ص٣٢٥ جـ١ من مسند الامام احمد وراجع كتاب السقيفة للجوهري و ص٢٠ مجلد ٣ من شرح النهج و ص١٨٨ جـ٢ من البخاري و ص٣٥٥ جـ١ من مسند الامام احمد وراجع ص٢٢٢ جـ١ من صحيح مسلم وراجع الطبراني كما ذكر صاحب الكنز ص١٣٨ جـ١ وراجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٢٤٢-٢٤٥ وراجع ص١١٤ مجلد ٢ من النهج سطر ٢٧.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص٢٣.

مقياس ان تثق سياسيا بالمعارضة ولا ان تسلم للمعارضة مكتسباتها، ولكن لأن فاطمة بنت محمد بجانب علي، فقد رؤ ى عدم قتله، بالرغم من انه هدد بالقتل ورؤ ى عدم اكراهه على البيعة تقديرا لفاطمة زوجته(١).

ومع هذا فالنتيجة المنطقية كانت عزل الامام بعد وفاة فاطمة، وتجلت رغبة عزل الامام عن بني هاشم، محاولة السلطة اجتذاب العباس اليها باغرائه ببعض الامر له ولعقبه، ولكن العباس رفض ذلك رفضاً قاطعاً، ورد ردا حاسما على السلطة(٢).

وبالمعيار الموضوعي، فاذا قدر للشخص العادي ان يختار بين السلطة وبين خصومها، فانه سيختار جانب السلطة لانها هي الجانب القوي. خاصة وان معارضات أهل البيت تتابعت(٣)، وكاد حبل الود بين السلطة وبين العترة الطاهرة ان ينقطع نهائيا عندما همّ عمر باحراق بيت فاطمة.

ولكن الله سلم وخرج الذين اجتمعوا في بيتها بسلام(٥).

ولقد بلغ الشك بالعترة الطاهرة حدا ان اقتنعت السلطة بانه لا يجوز لبني هاشم ان يجمعوا مع النبوة الخلافة حتى يمنع اجحافهم. وآمنت السلطة انْ قريشا قد اهتدت عندما اخذت بهذا المبدأ(٦).

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص١٣.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص١٥-١٦.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص١٥-١٦ وص١٦٠ من الصواعق المحرقة وص٣٤٥ من المراجعات وص٢٤ جـ٣ من تاريخ بن الاثير وص١٠٧ مجلد ٣ من الشرح الحديدي. وص١٠٥ و٩٧ مجلد ٣ من الشرح الحديدي وراجع كتاب الاحتجاج للطبرسي.

(٤) راجع مراجع التحريق ومنها ص١٢ الامامة والسياسة وص١٣٤ مجلد١ من الشرح والمسعودي في مروج الذهب في معرض الاعتذار عن فعل اخيه عبدالله اذ هم بتحريق بيوت بني هاشم وراجع ديوان حافظ ابراهيم وقصيدته العمري وراجع ص٢٩٥ المراجعات.

(٥) راجع ص١٠٧ مجلد ٣ من شرح النهج وص٢٤ جـ٣ من الكامل في التاريخ وص٢٦ من الامامة والسياسة.

(٦) راجع الكامل في التاريخ لابن الاثير جـ٣ ص٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ وراجع علامة المعتزلة ص١٠٧ مجلد ٣ من الشرح وراجع ص٩٧ مجلد ٣ وقد نقلها عن الامام أبوالفضل أحمد بن أبي الطاهر في كتابه تاريخ بغداد.

والاهم من ذلك انه قد وضع شرط بانه لا يجوز ان يسلط اي هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وذا امانة. وقد نفذ هذا الشرط بدقة خلال عهدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما(١).

وباستمالة ابي سفيان إلى جانب السلطة وترك ما بيده من الصدقات التي جمعها وتولية ابنه يزيد قائدا على جيش الشام وتعيين أخيه معاوية قائداً من قواد يزيد تم عزل العترة الطهرة حتى عن بني عبد مناف. وقد اضطرت السلطة ان تترك ما بيد ابي سفيان من الصدقات التي ارسله الرسول ﷺ لجمعها، واضطرت ان تعين ولديه يزيد ومعاوية حتى يختفي إلى غير رجعة شعار آل عبد مناف الذي رفعه أبوسفيان(٢).

وقد هم عبدالله بن الزبير ان يحرق بيوت بني هاشم، وبقي الحكام طوال التاريخ ينظرون للعترة الطاهرة من الناحية العملية نظرة شك وريبة كتركة للفلتة وما جرى في السقيفة.

— **الأثر السياسي الرابع للفلتة: «اصبحت الخلافة من الناحية النظرية ملك الفرص وحق لأي انسان».**

فأنت رأيت ان الانصار في سقيفة بن ساعده اقتنعوا ان الخلافة محصورة بأهل النبي وعشيرته، وهذه حجة تمسك بها المهاجرون الثلاثة في السقيفة ورضخ لها الانصار، ومن اجل هذا سلمت المقادة للمهاجرين الثلاثة.

وبسبب هذا قالت الأنصار لا نبايع إلا علياً. أو قال بعض الأنصار لا نبايع إلا علياً وعلي غائب(٣).

واحتج الثلاثة على الأنصار بانهم أولى بالخلافة لانهم أصحاب السابقة في الايمان ولأن العرب تأبى ان تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم(٤).

---

(١) راجع المراجع السابقة وراجع ص٢٦ من الامامة والسياسة.

(٢) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٢٠٢-٢٠٣ و٢٠٩-٢١٠ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد جـ١ ص٣٠٦-٣٠٧ وراجع ص١٥٢ من نظام الحكم للقاسمي.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص٤-٩ و ص١٩٧-١٩٨ جـ٣ من تاريخ الطبري.

(٤) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص١٩٧-١٩٨.

(٥) راجع الامامة والسياسة ص٧ و٨.

لكن بعد حادثة السقيفة انقلبت تلك الاطر تماما. انظر إلى قول عمر:

لو ادركت معاذ بن جبل استخلفته ووليته[1]. ومعاذ بن جبل هذا من طبقة البدريين من الانصار[2]. فاذا كان يجوز تولية الانصار فلماذا لم تكن تلك التولية جائزة يوم السقيفة؟ الم يطالب بالخلافة سعد بن عباده سيد الخزرج واحد النقباء ليلة العقبة، ونقباء العقبة اختارهم جبريل، وسعد ليس كمعاذ بن جبل، فسعد سيد الخزرج بلا منازع[3].

ثم انظر إلى قول عمر: ولو ادركت خالد بن الوليد لوليته[4]. وخالد بن الوليد من الطبقة العاشرة من طبقات الصحابة، وهو الذي غير موازين القوى في معركة احد عندما انقض على الرماة. الا ترى بأن هذا الغاء لطبقات الصحابة ولفكرة الطبقة ولفكرة القرابة التي آمن بها عمر نفسه ووزع العطايا على اساسها[5].

والأهم من ذلك ان عمر يقول بانه لو ادرك سالم مولى ابي حذيفة حيا لولاه الخلافة. مع ان سالماً ليس من الانصار ولا يعرف له نسب في العرب. اليس هذا نسف للقاعدة الشرعية القائلة (بان الائمة من قريش) كما رواها اكثر اصحاب السنن ونسف للحجة التي تولى بها أبوبكر نفسه الخلافة بموجبها[6].

ومن هنا فلا ينبغي ان ندهش اذا رأينا ان معاوية بن ابي سفيان يعتلي سدة الخلافة وهو الطليق ابن الطليق ومن المؤلفة قلوبهم وينازع بالخلافة اول من اسلم وهو علي ولا ينبغي ان تدهش عندما يطالب مروان بن الحكم بالخلافة وهو ابن الحكم بن العاص الذي كان محظورا عليه ان يدخل المدينة في زمن رسول الله وزمن أبي بكر وزمن عمر حتى تولى عثمان الخلافة فأدخله معززا مكرما واتخذ ابنه مروان وزيرا له.

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٢٣.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ص٥٨٣ جـ٣.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص٥ـ٨ و ص٥٨٣ جـ٣ الطبقات و ص٦١٣ـ٦١٧ من الطبقات جـ٣ لابن سعد.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص٢٤.

(٥) راجع فتوح البلدان للبلاذري ص٤٣٧ـ٤٣٨.

(٦) راجع خطبة أبي بكر في سقيفة بني ساعده وراجع خطبة عمر ص٥ وما فوق.

فما جرى مناقض تماما للحجج التي سلمت بموجبها الأنصار ومناقض لقواعد الاسبقية في الايمان وللقاعدة الشرعية القائلة بان الأئمة من قريش والأهم من ذلك انه مناقض لمفاهيم عمر نفسه[1].

فلذلك فتحت فلتة السقيفة الباب على مصراعيه امام أي طامع بالخلافة.

— الأثر السياسي الخامس للفلتة: بروز فكرة التغلب واعتبارها سببا شرعيا للوصول إلى منصب الخلافة في الإسلام

ذكر أبويعلي الفراء فقال: روى عن الامام أحمد ما دل على ان الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ولا تفتقر إلى العقد. فقال في رواية عبدوس بن مالك العطار (ومن غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي امير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الأخر ان يبيت ولا يراه اماما بَرّاً كان أم فاجرا.

وقال أيضاً في رواية أبي الحارث في الامام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم (تكون الجمعة مع من غلب).

واحتج بان ابن عمر صلى بأهل المدين وقال (نحن مع من غلب) والناس يبايعون الغالب.

الا ترى كيف انتهت الأمور واقعيا بالنظام السياسي الإسلامي، فعلى الأمة ان تبايع الغالب بغض النظر عن دينه وصفاته. وبغض النظر عن موقف الشرع، بل اصبحت تلك المقولات جزءاً من الشريعة السياسية.

— الأثر السياسي السادس للفلتة:

أهل الشورى الذين حددهم الشرع، الغي دورهم تماما واصبح الذين يؤيدون خليفة هم أهل شوراه، يبايعونه البيعة الخاصة، ثم يساعدونه كجزء من السلطة للحصول على بيعة الأمة العامة.

وهكذا يصبح الذين يؤيدون الخليفة هم أهل الشورى، وبالتالي قادة الأمة.

---

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٢٤٤-٢٤٥

(٢) راجع فتوح البلدان للبلاذري

الفصل التاسع

— النظرية التطبيقة في التولية :

اثبتنا في بحثنا بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، ان المسلمين اخفقوا بتطبيق النظام السياسي الإسلامي على الأقل فيما يتعلق برئيس الدولة (الامام أو الخليفة أو الولي) لظروف اوضحناها .

وقد اجتهدوا في معرض وجود النص الصريح والواضح ، وعلى الاغلب ، فقد حصلوا على أجر واحد فقط من اجتهادهم هذا .

وانعكس اخفاقهم هذا واجتهادهم على طريقة تطبيقهم للنظام السياسي الإسلامي وتوصلوا إلى صورتين رئيسيتين في التطبيق :

١ ـ الخلافة الراشدة وهي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

٢ ـ المملكة الإسلامية وظهرت في :

ا ـ خلافة الطلقاء .

ب ـ الخلافة العباسية .

جـ ـ الخلافة العثمانية .

وسنقوم بالقاء نظرة موثقة على هاتين الصورتين .

— الصورة الأولى :

١ ـ تولية الخلفاء الراشدين :

أ ـ تولية ابي بكر الصديق رضي الله عنه :

قلنا ان الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ليتداولوا امرهم بعد وفاة رسول الله ﷺ ، ولم يعرف للآن من الذي اخبر عمر بن الخطاب بهذا الاجتماع ، ولما علم عمر ذهب إلى أبي بكر حيث كان يساعد العترة الطاهرة على تجهيز الرسول وناداه وخرج أبوبكر وسار مع عمر ، وهنالك اختلاف : فقسم يقول سار الاثنان أبوبكر وعمر ووجدا أباعبيدة في الطريق ، وقسم آخر يقول ان أباعبيدة حضر مع عمر والخلاصة ان الثلاثة دخلوا إلى سقيفة بني ساعده حيث اجتمع الأنصار[1] .

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٥ .

وتكلم ابوبكر[1]، وتكلم عمر[2]، وتكلم أبوعبيدة[3]، وركز الثلاثة على:

١ - ان العرب تأبى ان تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم[4]،

٢ - ان العرب تأبى ان تخضع إلا لقريش[5].

٣ - ان أهل محمد وعشيرته أولى بميراث محمد وسلطانه[6].

واقتنع الأنصار ان أهل محمد أولى بميراثه وسلطانه كما قال بشير بن سعد[6].

هنالك قالت الأنصار (لا نبايع إلا علياً)[7]، قال بعض الأنصار لا نبايع إلا علياً[8].

عندئذ تجاهل أبوبكر قول الأنصار وقال:

اني ادعوكم إلى ابي عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم. فقال عمر وأبوعبيده ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك، فأنت صاحب الغار وثاني اثنين، وامرك رسول الله على الصلاة. فأنت احق الناس بهذا الأمر[9].

فقام بشير بن سعد فبايع أبابكر حسدا لسعد بن عباده وبايع عمر وأبوعبيده وحتى لا يذهب سعد بن عباده بالفضيلة، قام جماعة منهم اسيد بن حضير وبايعوا. وتتابعت بيعة الأنصار، وبايع قسم كبير من الأنصار[10].

خرج أبوبكر ليفاجىء الناس بأنه الخليفة، وخرج عمر كنائب للخليفة، وخرج الذين بايعوه كجيش للسلطة أو الخليفة. انظر إلى اسيد بن حضير فقد تولى قيادة السرية التي لحقت بني هاشم والزبير وجرتهم إلى البيعة جرا[11].

وجاء الخليفة ونائبه وجيشه الذين بايعوه إلى المسجد حيث كان المهاجرون مجتمعين، وصاح بهم نائب الخليفة عمر: مالي اراكم حلقا شتى، قوموا فبايعوا

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٥-٧.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص٧-٨.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص٨.

(٤-٦) راجع الامامة والسياسة ص٥-٨.

(٧ و ٨) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص١٩٧-١٩٨.

(٩) راجع الامامة والسياسة ص٨ و٩.

(١٠) راجع الامامة والسياسة ص١١.

أبابكر، فقد بايعته وبايعه الأنصار [١] .

فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا [٢]، وقام سعد بن ابي وقاص وعبدالرحمن بن عوف ومن معهم من بني زهره فبايعوا [٣] .

أما علي والعباس والزبير ومن معهم من بني هاشم فقد انصرفوا إلى رحالهم [٤] . فذهب إليهم عمر في عصابة منهم اسيد بن حضير وسلمه بن اسلم فقال: انطلقوا فبايعوا فأبوا، فخرج الزبير بالسيف. فصاح عمر بجنده عليكم بالرجل فخذوه. فوثب عليه سلمه بن اسلم، فأخذ السيف من يده وضرب الجدار به وانطلقوا به فبايع، وبايع بنو هاشم بالقوة [٥] .

البيعة العامة: تخلف عن بيعة أبي بكر مجموعة كبيرة من الناس، ومن اشهرهم علي بن ابي طالب الذي كان يرى انه احق بالخلافة من أبي بكر وسعد بن عباده [٦].

ولكن كل الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر بايعوا في النهاية أما طوعا أو كرهاً [٧]. ما عدا سعد بن عباده الذي اصر على عدم البيعة، وقتل غيلة في زمن عمر بن الخطاب [٨] .

اقبلت اسلم في البداية بطن من بطون الأنصار حتى تضايق بهم السكك، فبايعوا أبابكر، فكان عمر يقول: ما ان رأيت اسلم فأيقنت بالنصر [٩].
وتمّ الأمر لأبي بكر الصديق واصبح أول خليفة من خلفاء المسلمين.

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص١١ .
(٢) راجع الامامة والسياسة ص١١ .
(٣) راجع الامامة والسياسة ص١١ .
(٤) راجع الامامة والسياسة ص١١ .
(٥) راجع معارضة العترة الطاهرة ومعارضة سعد في باب السلطة والمعارضة من هذه الدراسة .
(٦) راجع الامامة والسياسة ص١٢ـ١٥ .
(٧) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٦١٣ـ٦١٧ وراجع الامامة والسياسة ص١٢ـ١٥
(٨) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٢٢٢ و ص٢٥٩ من نظام الحكم للقاسمي .

ب ـ تولية الخليفة عمر بن الخطاب :

لو شاء عمر بن الخطاب لأصبح الخليفة الأول، فقد قال له أبوبكر: ابسط يدك ابايعك. فكان من الطبيعي جدا ان يكون الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فقد لعب دورا بارزا في مجريات الاحداث.

فهو الذي حال بين رسول الله وبين كتابة وصيته، لأن المرض قد اشتد برسول الله ﷺ وقال يومها حسبنا كتاب الله كما هو ثابت[١]، وهو صاحب المقالة المشهورة في السقيفة (انه والله لا ترضى العرب ان تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي ان تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم. . . ومن ينازعنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته إلا مدل بباطل، أو متجانف لاثم، أو متورط في هلكة)[٢].

وهو الذي دوخ المعارضة، ففي قيادته كتائب للخليفة، ذهبت عصابة واحضروا بني هاشم والزبير بالقوة فبايعوا[٣].

وهو الذي صاح بالمهاجرين المجتمعين في المسجد (مالي اراكم حلقا شتى قوموا فبايعوا أبابكر فقد بايعته وبايعه الأنصار)[٤].

وبسببه قام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا[٥]، وقام سعد بن ابي وقاص وعبدالرحمن بن عوف وبنو زهرة فبايعوا[٦].

وهو الذي اصدر امرا بقتل سعد بن عبادة في السقيفة[٧]، وهو الذي هدد علي ابن أبي طالب بضرب العنق ان لم يبايع[٨]. «طبعا بوصفه نائب الخليفة». وهو الذي

---

(١) راجع مراجع المنع فكل الذين صرحوا باسم المعارض ذكروا عمر رضي الله عنه.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص٨٧ـ٨٨.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص١١.

(٤) راجع الامامة والسياسة ص ١١.

(٥ـ٦) الامامة والسياسة ص١١.

(٧) راجع ص١٠ من الامامة والسياسة وجـ٣ ص٢١٠ من تاريخ الطبري وراجع ص٦١٦ـ٦١٧ من الطبقات لابن سعد جـ٣.

(٨) راجع الامامة والسياسة ص١٣.

هدد فاطمة بنت محمد بحرق بيتها[1]. وهو ولي عهد الخليفة ابي بكر رضي الله عنهما. وبالتالي هو المرشح المؤكد لرئاسة الدولة بعد ابي بكر. انظر الى قول علي لعمر يوم السقيفة (احلب حلبا لك شطره واشدد له اليوم امره يردده عليك غدا)[2].

وعمر رضي الله عنه هو منظر الرأي السياسي القائل: بعدم جواز جمع الهاشميين الملك مع النبوة. وهو الذي وضع شرطا بعدم جواز تولية أي هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان الهاشمي موضع قوة وامانة [3]. (وهو الذي حرم على أصحاب رسول الله الوظائف العامة حتى لا يدنسهم بالعمل)[4]. وهو الذي حال بين الرسول وبين كتابة وصيته في مرضه [5]، وهو الرجل العظيم الذي توعد بالموت وبتقطيع الاطراف من يزعم ان محمداً قد مات مع انه حاضر للموت [6].

وهو الذي لم تحمله رجلاه عندما تأكد من وفاة الرسول [7]، وهو الذي تحامل على نفسه بعد ذلك وبحث عن ابي بكر وذهب وإياه إلى سقيفة بني ساعده وانتزعوا الخلافة من الأنصار [8].

وهو الذي رتب الامور بحيث ان البيعة تمت لأبي بكر بنفس اليوم الذي قبض فيه رسول الله وفي غياب كل المهاجرين وكل العترة الطاهرة[9].

---

(١) راجع مراجع التحريق، وقد سقناها اكثر من مرة راجع ص٢٩٥ من المراجعات للامام العاملي.

(٢) راجع ص٩ من الامامة والسياسة.

(٣) راجع ص١٠٧ مجلد ٣ من شرح النهج و ص١٠٥ مجلد ٣ وراجع ص٢٤ جـ٣ من تاريخ بن الاثير وراجع ص٢٢٢ من نظام الحكم للقاسمي كما نقله عن الطبري راجع رقم ٧.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ٣ ص٢٨٣.

(٥) راجع جـ١ ص٢٢ من صحيح بخاري و ص٣٢٥ من مسند الامام أحمد. وراجع كتاب السقيفة للجوهري و ص٢٠ مجلد ٢ من شرح النهج وراجع ص١١٨ جـ٢ من بخاري و ص٣٥٥ جـ١ من مسند الامام أحمد وراجع ص٢٢٢ جـ١ من صحيح مسلم و ص١٣٨ جـ٣ من كنز العمال و ص٢٤٢-٢٤٥ جـ٢ من طبقات بن سعد و ص١١٤ مجلد ٣ سطر ٢٧ من شرح النهج.

(٦) راجع ص١٩٧ جـ٣ من تاريخ الطبري.

(٧) راجع ص١٩٧ جـ٣ من تاريخ الطبري.

(٨) راجع كل المراجع التي بحثت اجتماع السقيفة.

(٩) هنالك اجماع بانه لم يحضر من المهاجرين سوى أبي بكر وعمر وأبي عبده.

وبالاختصار الشديد هو الذي اخضع المعارضة طوعا وكرها. فكان من الطبيعي جداً ان تستقر أمور الدولة وان تطبق شهرة عمر الآفاق وان يعهد اليه أبوبكر بالخلافة.

— العهد:

دعا أبوبكر عثمان خاليا فقال اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبوبكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، اما بعد: ثم اغمي عليه. فكتب عثمان: فاني استخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا. ثم افاق أبوبكر فقال اقرأ علي. فقرأ عليه، فكبر أبوبكر وقال: اراك خفت ان يختلف الناس ان افتلتت نفسي من غشيتي؟ قال نعم.. قال جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله. واقرها أبوبكر رضي الله عنه[1].

ويروي ابن الجوزي:

كتب عثمان عهد الخليفة بعد أبي بكر وامره ان لا يسمع احد وترك اسم الرجل فأغمي عليه اغماءة، فأخذ عثمان العهد فكتب فيه اسم عمر قال فأفاق أبوبكر فقال ارني العهد فاذا فيه اسم عمر. قال ومن كتب هذا؟ فقال عثمان أنا، فقال أبوبكر: رحمك الله وجزاك خيرا فوالله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لذلك[2].

— البيعة العامة:

الأمور كانت مستقرة، وجرت بيعة عمر مع مينة أبي بكر واستغرقت بيعة عمر ثلاثة ايام[3]، وكان عمر رضي الله عنه محبا لرسول الله وآله فقد بدأ بهم عند توزيع العطايا[4].

---

(١) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٤٢٩ وراجع سيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧ وراجع تاريخ بن خلدون جـ٢ ص٨٥.

(٢) راجع المراجع السابقة في رقم ١٨.

(٣) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٢٢٢.

(٤) راجع فتوح البلدان للبلاذري.

جـ تولية الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه :

كان عثمـان موضـع سر أبي بكر، فهو كاتب وصيته، وهو الذي قال له أبوبكر: (والله لو كتبت نفسك للخلافة لكنت أهلاً لها)

فعثمان أول زعيم من زعماء المهاجرين قد بايع أبابكر وتبعه قومه بنو أمية .

وكـان عثمـان موضـع سر عمر أيضاً، فكان الناس اذا ارادوا ان يسألوا عمر شيئا رمـوه بعثمـان . وكـان عثمـان يدعى في امـارة عمـر بالرديف، والرديف بلسان العرب الرجل الذي بعد الرجل والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم .

والحقيقـة، انـه يوم انتقل أبوعبيدة إلى الرفيق الأعلى، بدأ واضحا ان الخليفة سيكون عثمان .

انظـر إلى قول عبـدالـرحمن بن عوف لعلي : يا علي، لا تجعـل على نفسـك سبيلا فاني قد نظرت وشاورت النـاس، فاذا هم لا يعدلون بعثمان .

اذاً فان صرف الامر عن علي واعطـائه لعثمان ليس لأن علياً قد قال (ارجو ان افعـل واعمـل بمبلغ علمي وطـاقتي)، أو لأنـه رفض التمشي على شرط عمـر القائل بعدم جواز تولية أي هاشمي حتى ولو كان صاحب قوة وامانة .

لكن لأن الامـر معـد أصـلاً ليكـون عثمـان الخليفـة، فعبـدالرحمن بن عوف وسعـد بن ابي وقـاص وعثمـان هؤلاء فريق، فسعـد مع ابن عمـه عبـدالـرحمن، وعبدالرحمن مع صهره عثمان، وعثمان مع نفسه .

وطلحة غائب فيبقى علي والزبير فريق ثاني . ووصية الخليفة عمر واضحة، اذا اجتمعـوا ثلاثـة فثـلاثة فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمـع عليـه النـاس . وعلى أي حال فقد حضر علي ليقيم عليهم الحجة فقط، ومع

هذا فقد دعا عبدالرحمن بن عوف علياً فقال له : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين.

قال علي ، ارجو أن افعل واعمل بمبلغ علمي وطاقتي . ودعا عبدالرحمن عثمان فقال له مثلما قال لعلي فقال عثمان، نعم فبايع عثمان.

فقال علي حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر اليك والله كل يوم هو في شأن.

فخرج علي وهو يقول، سيبلغ الكتاب أجله. فقال المقداد: يا عبدالرحمن اما والله لقد تركته وهو من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

وقال المقداد: ما رأيت ما أوتي أهل هذا البيت بعد نبيهم ، اني لأعجب من قريش، انهم تركوا رجلاً ما أقول ان احدا اعلم ولا اقضى بالعدل منه.

فقال رجل للمقداد من أهل هذا البيت ومن ذلك الرجل، فقال المقداد: أهل البيت بنوعبدالمطلب والرجل علي بن أبي طالب.

فقال علي : ان الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول ان ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم ابدا، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها.

والحقيقة ان هذا هو السر، فقريش تدرك انه اذا تولى الهاشميون الخلافة فلن تخرج منهم. لذلك فان قريش اجمعت ان لا تولي أي هاشمي،وعبر عن هذا الاجماع عمر رضي الله عنه بأكثر من مناسبة(٢).

وبايع الناس عثمان بيعة عامة، وانتعش الناس في بداية عهده، ومع الأيام بدأ

---

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٢١٨-٢٢٢

(٢) راجع تاريخ بن الاثير جـ٣ ص٢٤ وراجع ص١٠٧ مجلد ٣ و ص١٠٥ مجلد ٣ و ص١١٤ مجلد ٣ سطر ٢٧ من شرح النهج لعلامة المعتزلة وراجع ص٢٢٢ من نظام الحكم للقاسمي و ص٢٦-٢٧ من الامامة والسياسة.

الصحابة ينفضون من حول عثمان، وبدأت بنو أمية تتسلل واحدا بعد الآخر حتى اصبح الخليفة عثمان اداة بأيديهم وسيقة لهم.

— ما اخذ على عثمان:

ذكروا انه اجتمع اناس من اصحاب النبي، فكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وصاحبيه فقالوا:

١ - ما كان من هبته خمس افريقيا لمروان، وفيه حق الله ورسوله، ومنهم ذوي القربى واليتامى والمساكين، وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدد سبع دور بناها في المدينة. وبنيان مروان القصور بزي خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله.

٢ - وما كان من انشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه وهم احداث غلمه لا صحبه لهم مع رسول الله ولا تجربة لهم بالأمور.

٣ - وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذ صلى الصبح وهو امير عليها سكران اربع ركعات ثم قال لهم ان شئتم ازيدكم صلاة زدتكم، وتعطيله اقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه.

٤ - وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعلمهم على شيء ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم.

٥ - وما كان من الحمى حول المدينة، وما كان من ادارة القطائع والارزاق والاعطيات على اقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي ثم لا يغزون ولا يذبون.

٦ - وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط وانه اول من ضرب بالسوط ظهور الناس، وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران.

ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان، وكان ممن حضر عمار بن ياسر، والمقداد، وكانوا عشرة، فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمار، جعلوا يتسللون عن عمار حتى بقي وحده. فمضى به حتى جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له في يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم واهله من بني أمية، فدفع اليه الكتاب، فقال له انت كتبت هذا الكتاب قال، نعم، قال ومن كان

معك؟ قال كان معي نفر تفرقوا فرقا منك قال من هم؟ قال لا اخبرك بهم. قال فلم اجترأت علي من بينهم؟

فقال مروان: يا أمير المؤمنين ان هذا العبد الاسود ـ يعني عمارا ـ[1] قد جرأ عليك الناس، وانك ان قتلته نكلت به من وراءه.

قال عثمان، اضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار. فأمرت به ام سلمة زوج النبي فأدخل منزلها فغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم، فلما خرج عثمان لصلاة العصر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال، لئن مات عمار من ضربه هذا لأقتلن به رجلا عظيما من بني أمية، فقال عثمان لست هنالك[2].

وقال مروان بن الحكم مرة لعلي عليه السلام (انا والله اذا لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون في هذا الأمر خير لمن بعدنا[3]

— حصار عثمان[4]:

اشتد الطعن على عثمان، والبداية بسبب عبدالله بن ابي سرح، فقد طلب أهل مصر تغييره فقال عثمان اختاروا رجلا نوليه على مصر، فتم اختيار محمد بن ابي بكر، ورضي الناس.

الا ان عثمان ارسل شخصا آخر ومعه امرا الى عبدالله بن ابي سرح يطلب منه ان يقتل محمد ابن ابي بكر وفلان... ويقره إلى عمله. والقي القبض على هذا الشخص، وكان الكتاب مختوما بخاتم الخليفة إلا انه كما تبين من صنع مروان بن الحكم.

وطالبت الجماهير الثائرة بمروان، فأبى الخليفة ان يسلمه وتجمعوا وقتلوه رضي الله عنه[5].

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٣٢-٣٣.

(٢و٣) راجع الامامة والسياسة ص٣٢-٣٣.

(٤ و٥) راجع الامامة والسياسة ص ٣٤-٣٨ وراجع جـ٣ من تاريخ بن الاثير مقتل عثمان.

د ـ تولية الامام علي بن ابي طالب:

دفن عثمان رضي الله عنه. وفي الصباح اجتمع الناس في المسجد وكثر الندم والتأسف على عثمان، وسقط في ايديهم واكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان. فقال الناس لهما أيها الرجلان قد وقعتما في أمر عثمان، فخليا عن انفسكما.

فقام طلحة، فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس، انا والله ما نقول اليوم إلا ما قلناه امس، ان عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا ولايته وكرهنا قتله وسرنا ان نكفاه، وقد كثر فيه اللجاج وامره إلى الله.

ثم قام الزبير فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس، ان الله قد رضي لكم الشورى، فأذهب بها الهوى، وقد تشاورنا فرضينا عليا فبايعوه. واما قتل عثمان فانا نقول فيه ان امره إلى الله. وقد احدث احداثا والله وليه فيما كان.

فقام الناس واتوا عليا في داره فقالوا نبايعك فمد يدك، لا بد من امير فأنت أحق الناس بها. فقال ليس ذلك اليكم، انما هو لأهل الشورى وأهل بدر، فمن رضي به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة[1].

وعادوا إلى علي ثم اقبل إلى المسجد الشريف وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده، وكانت اصابعه شلاء فتطير منها علي وقال ما اخلقها ان تنكث، ثم بايعه الزبير وسعد واصحاب النبي جميعا. ثم نزل علي فدعا الناس وامر بطلب مروان بن الحكم فهرب منه، وطلب نفرا من بني امية وابن ابي معيط فهربوا.

وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله، فقال لها عمار بالامس تحرضين عليه الناس واليوم تبكينه.

ثم جاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها، من قتل عثمان؟ قالت لا ادري، دخل عليه رجالا لا اعرفهم إلا ان ارى وجوههم وكان معهم محمداً بن ابي بكر. فدعا علي محمد فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد صدقت، قد والله دخلت عليه فذكر

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٤٥-٤٦.

لي ابي فقمت عنـه وانـا تائب إلى الله تعـالى ، والله ما قتلتـه ولا امسكتـه . فقال علي صدق، ولكن هو ادخلهم .

خرج طلحة فلقي عائشة فقالت : ما صنع الناس ، قال قتلوا عثمان . قالت ثم ما صنعوا . قال بايعوا عليا ، ثم اتوني فأكروهني وليلبسوني حتى بايعت . قالت عائشة وما لعلي يستولي على رقابنا ، لا ادخل المدينة ولعلي سلطان فيها .

— البيعة العامة :

ثم ارسـل علي بالبيعـة الى جميـع الامصار وإلى الأفاق فجاءته البيعة من كل مكان إلا الشام فانه لم يأته[1] .

الخارجون على علي

وهكذا انحصر الخارجون على علي في فريقين :

١ ـ عائشة أم المؤمنين والزبير وطلحة ومن لف لفهم .

(أ) وسبب عداوة طلحـة والـزبيـر أنهمـا أتيـا علياً بعد فراغ البيعة ، فقالا : هل تدري على ما بايعنـاك ؟ قال علي : نعم ، على السمـع والطـاعـة ، وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان؟ فقالا : لا ، ولكنا بايعناك على أنا شريكاك في الأمر . قال علي : لا ، ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز والأولاد .

وكـان الـزبير لا يشـك في ولاية العراق وطلحة في اليمن ، فلما استبان لهما أن علياً غير موليهما ، أظهرا الشكاة فتكلم الزبير في ملأ من قريش ، فقال : هذا جزاؤ نا من علي ، قمنـا في أمـر عثمـان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس في بيته وكفى الأمر ، فلما نال بنا ما أراد ، جعل دوننا غيرنا .

فقـال طلحـة :ما الملوم إلا أنـا كنـا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا ، ومنعنا ما في يده ، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا .

وانتهى قولهما إلى علي ، فدعا عبدالله بن عباس ، وكان قد اسـتوزره فقال له : بلغـك قول هذين الـرجلين ، قال نعـم ، بلغني قولهمـا ، قال فما ترى ، قال أرى أنهما

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٤٥-٥٣ .

أحيا الولاية، فول البصرة الزبير، وول طلحة الكوفة فإنهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان، فضحك علي ثم قال: إن العراقيين بهما الرجال والأموال، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع، ويضربا الضعيف بالبلاء، ويقويا على القوي بالسلطان، ولو كنت مستعملاً أحداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام.

(ب) قصة عائشة أم المؤمنين:

لما أخبرت عائشة أنه بويع لعلي وكانت خارجة عن المدينة، فقيل لها قتل عثمان وبايع الناس علياً، فقالت: ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض، قتل والله مظلوماً وأنا طالبة بدمه. فقال لها عبيد: إن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لأنت ولقد قلت اقتلوا نعثلا فقد فجر. فقالت عائشة: قد والله قلت، وقال الناس: وآخر قولي خير من أوله.

فقال عبيد، عذر والله ضعيف يا أم المؤمنين ثم قال:

فمنك البداء ومنك العبر	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الامام	وقلت لنا انه قد فجر
فهبنا اطعناك في قتله	وقاتله عندنا من أمر

فلما أتى عائشة خبر أن أهل الشام ردوا بيعة علي وأبوا أن يبايعوه، أمرت فعمل لها الهودج من حديد وجعل فيه موضع عينيها ثم خرجت ومعها الزبير وطلحة وعبدالله بن الزبير ومحمد بن طلحة[1].

— معتزلة:

اعتزل عبدالله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة، وراجعهم عمار ليخرجوا عن اعتزالهم فأبوا، وقال علي في ذلك: اما ابن عمر فضعيف (ويجدر بالقول ان عبدالله بن عمر هو القائل نحن مع من غلب). واما سعد بن ابي وقاص فحسود، وذنبي إلى محمد بن مسلمة اني قتلت اخاه يوم خيبر مرحب اليهودي[1].

---

(١) راجع ص٥٣ من الامامة والسياسة.

— محاولات لثني أم المؤمنين :

كتبت أم سلمة رضي الله عنها لعائشة تحاول ان تثنيها عن الخروج، ولكن أم المـؤمنين عائشـة أبت إلا أن تمضي في طريقهـا وتجمـع مع طلحـة والـزبير وذويهم وتتوجه إلى البصرة[1].

— التقاء الجمعين :

تواجه الجمعان، علي وجنده، وعائشة والزبير وطلحة وجندهم من الاحزاب. فلما تواقفوا للقتال، امر علي مناديا ينادي من اصحابه لا يرمين أحد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى اعذر إلى القوم فأتخذ عليهم الحجة البالغة.

فكلم علي طلحـة والـزبيـر قبـل القتـال فقـال لهما: استحلفا عائشة بحق الله وبحق رسوله على اربع خصال ان تصدق فيها، (هل تعلم رجلاً من قريش أولى مني بالله ورسـولـه، وإسـلامي قبـل كافـة النـاس اجمعين ،وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي، وعلى براءتي من دم عثمان، وعلى اني لم استكره احدا على البيعة ولم اكن احسن قولاً في عثمان منكما)[2].

وذكر الزبير بقوله ﷺ (يا زبير انت تقاتل علياً وانت ظالم له) فقال الزبير نسيتها والله لو ذكرتها ما خرجت اليك. ورجع الزبير[3].

وهزمت عائشة وهزم معها الاحزاب ودخل عليها محمد بن أبي بكر وقال لها: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ علي مع الحق والحق مع علي ـ تقاتلينه بدم عثمان.

ثم دخـل علي فسلم عليهـا وقـال لها يا صاحبة الهودج قد امرك الله ان تقعدي في بيتـك ثم خرجت تقـاتلين، اترحلين، قالت ارتحل. ولما وصلت المدينة وعرفت ان حرسها نساء قالت: جزى الله بن أبي طالب الجنة .

---

(١) راجع ص٦٤ـ٧٢ من الامامة والسياسة.

(٢) راجع ص٧٠ـ٧٢ من الامامة والسياسة.

(٣) راجع ص٧٢ـ٧٣ من الامامة والسياسة.

لمحـة عن عائشـة أم المـؤمنين رضي الله عنهـا وعن منهجها ان رأيها السـياسي يطـابق بالكـامـل لرأي الخليفتين أبي بكـر وعمر رضي الله عنهما. من حيث الخلفاء وتعيينهم. ذكر ابن سعد في طبقاته ان عائشة عندما سئلت لو استخلف رسول الله من يستخلف، فقالت عائشة: لو استخلف، لاستخلف أبابكر ومن بعده عمر ومن بعده اباعبيدة[1]. وهي التي اوصت عمر انه يستخلف قبل موته حتى لا يدع أمة محمد هملا[1].

وقـالت ذات يوم اثنـاء مرض الـرسـول ان الـرسـول قد قال: «ادعـولي اخي» وفسرت ان اخا الرسول هو أبوبكر حسب روايتها، بينما الثابت كما مر ووثقناه ان علياً هو أخو رسول الله وليس أبابكر[2].

وهي التي قالت ان الـرسـول ﷺ قد امـرهـا ان تأمر أبابكر ليصلي بالناس اثناء مرضه واستعمل هذا الأمر فيما بعد حجة سياسية ومبرراً لتولية أبي بكر[3].

وهي التي قالت ان الـرسـول قد مات بين سحـرهـا ونحرها ونفت وجود الوصية بينما الثابت ان الرسول قد مات على صدر علي[4]

وفي زمن عمر، كان الصحابة يجلسون، فقام كعب الاحبار وسأل ما كان آخر ما تكلم به رسول الله. فقال عمر، سل علياً، فروى علي كيف مات وماذا قال.

وكـانت رضي الله عنهـا تتصـرف كأنهـا المـالكـة لكـل شيء وكأنهـا الشريك الشرعي في نظام الحكم. فهي التي اذنت لأبي بكر وعمر بان يدفنا في جانب النبي.

وهي التي حرضت على قتـل عثمـان وقـالت اقتلوا نعثـلا فقد كفر، ثم اخذت

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٢٣.

(٢) راجع المستدرك للحاكم جـ٣ ص١٣٩ وراجع تلخيص الذهبي وابن أبي شيبه وراجع الحديث ٦٠٩٦ من احـاديث الكنـز جـ٦ ص٣٩٢ و ص٩٩ جـ٦ فضـلا عن عشـرات النصوص التي اوردناها في باب موقف الشرع من تسمية الامام.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص٩.

(٤) راجع الحـديث ١١٠٧ ص٥٥ جـ٤ والحـديث ٦٠٠٩ ص٣٩٢ جـ٦ والحـديث ١١٠٦ ص٥٥ جـ٤ والحـديث ١١٠٨ ص٥٥ جـ٤ من الكنـز وص٥١ جـ٢ من الطبقـات وص١٩٦ جـ٢ وص٥٦١ وص٢٠٧ وص٥٠٩ من النهج. وروى هذه الاحـاديث علي وابن عبـاس وام سلمه وعبدالله بن عمر وعلي بن الحسين وسائر ائمة أهل البيت راجع ص٢٨٢ من المراجعات للامام العاملي.

تبكي عليه وجمعت الجموع للمطالبة بدمه كأنها من بني عبد مناف مع انها من بني تيم (1) وهي التي ناصبت أمير المؤمنين علياً العداء وخرجت من بيتها وهي التي ركبت جملها ونبحتها كلاب الحوأب. وروى البخاري في صحيحه ص١٢٥ من كتاب الجهاد جـ ٢ بعد فرض الخمس ولفظه في صحيح مسلم ان الرسول خرج من بيت عائشة فقال (رأس الكفر من ههنا حيث يطلع قرن الشيطان) (2). وقالت للرسول مرة في كلام غضبت عنده: (انت الذي تزعم انك نبي).

وسبحان الله، فانها رضي الله عنها لا تطيق ابدا حتى ان تلفظ كلمة علي (3). ولما بلغها موت الامام علي سجدت لله شكرا ثم انشدت:

والقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عينا بالاياب المسافر (4)

فقد كانت رضي الله عنها زوجة الرسول المدللة، ومهتمة بأمر المسلمين، ومولعة بالسياسة لا تطيق بعدا عنها. ولقد قوي مركزها بخلافة ابيها وبخلافة عمر. انظر إلى قولها لعمر: استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا (5). ثم انظر إلى رد عمر تعرف مركزها، قال عمر ومن تأمرني ان استخلف (6). ثم انظر الى اسلوب عائشة رضي الله عنها في معالجة الامور: قيل لرسول الله من يغسلك يا رسول الله؟ قال أهلي الاولى فالاولى (7).

وبعد موته قالت عائشة: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله الا نسلؤه. باختصار، زوجة نبي، وابنة خليفة. وباختصار أيضاً فقد هزمت أم المؤمنين والاحزاب التي ائتلفت معها وبقي في مواجهة علي حزب الطلقاء.

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٢٦٣-٢٦٤.

(٢) راجع الكامل في التاريخ جـ٣ ص٨٠ لابن الاثير وراجع المراجعات ص٢٨٤ وراجع ص٥٥ من الامامة والسياسة.

(٣) راجع صحيح مسلم جـ٢ ص٥٠٣.

(٤) راجع ص٣٥ جـ٢ من احياء علوم الدين للغزالي وراجع باب ٩٤ ص٢٣٨ من مكاشفة القلوب للامام الغزالي و ص٢٧٧ من المراجعات للامام العاملي.

(٥) راجع ص٢٣٢ جـ٢ من طبقات بن سعد.

(٦) راجع المراجعات للامام العاملي ص٢٧٠.

(٧) راجع الامامة والسياسة ص٢٣.

(٨) راجع الامامة والسياسة ص٢٣.

— **الصورة الثانية :**

— **المملكة الإسلامية :**

١ ـ خلافة الطلقاء :

قلنا ان الامام علي هزم خصومه ودانت له ديار الإسلام بالطاعة ، واعطته البيعة إلا أهل الشام بزعامة معاوية بن ابي سفيان الذي رفض بيعة الامام . واشتد الصراع بين علي من جهة وبين الطلقاء بزعامة معاوية بن ابي سفيان من جهة اخرى .

علي يريد ان يخضع كل المسلمين لسلطان الامامة ، ومعاوية يريد ان يخلع الامام الشرعي ويحل محله .

— **قدم الصراع بين بني امية وبني هاشم :**

الصراع قديم بين أمية وهاشم . هاشم وعبد شمس اخوة اشقاء بل توأمين . قبل ولادتهما كانت رجل هاشم ملصقة بجبهة عبد شمس ، فلم يمكن نزع الاصبع دون سيلان دم مما فتح أبواب ألتكهنات بان عداوة ستنشب بين الاخوين الشقيقين .

— **أول عداوة بين الهاشميين والامويين :**

ساد هاشم بعد أبيه ، فحسده أميه بن أخيه عبد شمس ، فتكلف ان يصنع ما صنع هاشم وقالوا له انت تتشبه بهاشم . وعجز عن مجاراة هاشم ، فعيرته قريش ، فدعا أمية هاشما للمنافرة ، فأبى هاشم ذلك لسنه ولعلو مرتبته ، فلم تدعه قريش . فقال هاشم لابن اخيه أميه : انافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة وعلى الجلاء عن مكة عشر سنين . فرضي أمية وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان .

— **الفوز بالمنافرة :**

خرج كل واحد من المتنافرين في نفر فنزلوا على الكاهن الخزاعي فقال

الكاهن قبل ان يخبروه خبرهم : (والقمر الباهر، الكوكب الزاهر، والغمام الماطر وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، ومن منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر).

— تنفيذ الاتفاقية :

عاد هاشم إلى مكة ونحر الابل واطعم الناس، وخرج أمية إلى الشام فأقام فيها عشر سنين، فكانت هذه أول عدواة بينهما وتوراثها بنوهما بعد ذلك[١].

— عظمة الطرفين :

كان يقال لهاشم واخوانه عبد شمس والمطلب ونوفل اقداح النضار. ويقال لهم المجبرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب، ولكنهم تباعدوا حتى بالموت، مات هاشم بغزه، وعبد شمس بمكة، ونوفل بالعراق، والمطلب بأرض اليمن وهم أولاد عبد مناف.

قيل لمن سكن البطاح قريش البطاح، ولمن سكن الظواهر قريش الظواهر، والاولى اشرف من الثانية وبنو عبد مناف من قريش البطاح.

من بني هاشم بن عبد مناف   وبنو هاشم بحور الحباء

من قريش البطاح من عرف الناس فضلهم بغير امتراء

حاز قصي شرف مكة، فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة، وان اكبر اولاد قصي عبدالدار، وكان اشرفهم عبد مناف اذ شرف بزمان أبيه وذهب شرفه كل مذهب.

كانت السقاية والرفادة والقيادة لبني عبد مناف، وكانت الحجابة واللواء لبني عبدالدار[٢].

ثم صارت السقاية لعبد المطلب، ومن بعده لابي طالب، والقيادة كانت لعبد مناف ومن بعده لولده عبد شمس، ثم لابنه اميه، ثم لابنه حرب، ثم لابنه أبوسفيان

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٧٦.

(٢) راجع السيرة الحلبية ص١٢-١٥ :

فكـان يقـود النـاس في غزواتهم، ودار النـدوة في يد بني عبدالدار، وقصي هو جماع قريش. لذلك سمي مجمعا[1].

— فرسا الرهان:

كان الامـويين يعتقـدون ان مقـاليـد الأمـور بأيديهم، وهم اصحاب الملك، أليست القيـادة في ايـديهم؟ وفي احسن الظروف فان بني هاشم وبني المطلب، من جهـة، وبني أميـة وبني نوفـل من جهـة اخـرى، كانـا كفرسي رهان يتعاوران زعامة قريش وبـالتـالي زعامة العرب. والسبق فيها. ولقد فضل الله هاشماً على أمية، وقدم هاشماً وآخر أمية بفضله في ما بعد.

— الهواجس الأموية قبل النبوة وطمعهم بالنبوّه:

قبل ان يعلن محمد ﷺ دعوته، كانت القيادة في مكة لبني امية، ولابي سفيان بالذات. تلك حقيقة مجردة ومسلم بها[2].

وكـان أبـوسفيـان يعلم ان سيأتي نبي فيأخذ منه القيادة، فهوعلى علاقة وطيدة بأميـة بن ابي الصلت، وهـذا النبي سيكون من سلالةعبد مناف. وبعد معاناة، اقتنع أبـوسفيـان انـه بالـذات سيكـون النبي لانـه لا يوجـد حسب رأيـه من هوجدير بالنبوة سواه[3]. وأفصح عن هاجسه هذا لبعض الذين يرتاح اليهم. وتمثلت بخواطره اركان الشـرف وجـلاء الشعـر سنين وشهـادة أهـل مكـة، وتلك حقائق، لكن القيادة تعيش وتبحث عن مستقبلها بالغد كالجمل يلتهم نبته الشبرق وعينه على الأخرى.

انه لأمر مشين حسب تفكير أبي سفيان ان تراه بنيات ثقيف يتبع غلاما من بني عبد مناف[4].

وعبثا حاول ابن ابي الصلت ان يغير طريقة ابي سفيان بالتفكير فيقول أمية مشفقا كأني بك يا أبـاسفيـان ان خالفتـه قد ربطت كمـا يربط الجدي يؤتى بك إليه فيحكم

---

(١) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص١٥.

(٢) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص١٥.

(٣) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص٨٠.

(٤) راجع السيرة الحلبية ص٨٠ جـ١

فيك بما يريد. ومن سوء طالع أبي سفيان ان بني هاشم، كافرهم ومؤمنهم، احتضنوا محمدا[1].

— المقاومة:

ولما لم تتحقق هواجس أبوسفيان، وجهر النبي محمد بنبوته، قاومه أبوسفيان واركان القيادة في مكة بكل الأساليب، ولم ينثن.

واتبعه نفر قليل من اولئك الذين عرفوا بالحصافة وبعد النظر أو اولئك الذين مسته عبودية البشر مساً اليما. واحتضنه الهاشميون.

— المكر الاكبر ورده:

واتفقت قريش بزعامة أبي سفيان أمام اصرار محمد ورفض بني هاشم لفكرة تسليمه ان يقاطعوا بني هاشم، فقاطعتهم قريش كلها ومن لف لفها، بما فيهم بني عدي، وبني تيم. تلك حقيقة كالشمس لا يجادل بها أحد.

ولم يركع محمد، ولم يركع الهاشميون، وابطل الله كيد مكة وزعامتها بعد مقاطعة استمرت ثلاث سنوات[2].

وتمكن محمد من ايجاد قاعدة له في يثرب وأمر أصحابه بالهجرة إليها. وعلمت قيادة مكة ممثلة بأبي سفيان، فاجمعوا أمرهم ان يختاروا من كل قبيلة رجلاً ويقتلوا محمدا قبل هجرته، لأنه إن هاجر نجح وبالتالي سلبهم القادة والشرف. وباللحظة التي اجمعوا فيها أمرهم، دخلوا فوجدوا علياً بن ابي طالب نائماً مكانه، وجن جنون القيادة المكية واعلنت الجوائز لمن يقبض عليه حياً أو ميتاً.

وفي الطرف الأخر كان محمد وصاحبه أبوبكر ودليلهما المشرك يشقون طريقهم سالمين باذن الله.

وتلك حقيقة ساطعة كالشمس لا تحتاج إلى دليل ولا يجادل فيها احد.

---

(١) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص٨٠ وما فوق

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠٨-٢٠٩ والسيرة الحلبية جـ١ ص٣٣٦.

— والخلاصة:

ان جد أبي سفيان قصر عن شرف هاشم، وجلا عشر سنين، وان مكة والعرب قاطبة تعرف ان هاشما اشرف من أمية، ولكن أبا سفيان ورث القيادة ومحمد بوصفه نبي يشكل خطرا على القيادة الأموية، فاذا جمع الهاشميون السقاية والرفادة والقيادة والشرف المسلم به، فسيصبح ملكهم عظيما. وهذا هو السر الدقيق لكراهية أبي سفيان وقيادة مكة لمحمد ودعوته.

وليست الكراهية نابعة من حبهم للآلهة وللاصنام، حقيقة ان للاصنام دورا اقتصاديا، اذ تحج لها العرب كل عام مع ما تحمله من خيرات الحج، لكن القضية هي قضية الملك والزعامة، أو ان شئت فقل، لعل الدم الأموي دم ازرق مولع بحب الرئاسة.

— تأجج الكراهية:

نجاح محمد بالهجرة اجج الكراهية، وعندما اشتعلت الحرب الأولى ببدر بين محمد وبين زعامة مكة، قتل ثلاثة من اجود واروع شخصيات أمية وهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وهم من سادات بني أمية، والمريع ان الذين قتلوهم من بني هاشم وهم الحمزة وعلي وعبيدالله بن الحارث.

اذن اصبح محمد وبنو هاشم الخطر الحقيقي على الزعامة الأموية، والاعداء الحقيقيين لانهم قتلوا سادات بني أمية. «اصبحوا سالبي الشرف وقاتلي الأحبة». وتحول حقدهم على محمد وعترته الى سواد مظلم ملأ صدورهم وعطل اذهانهم. لقد شربوا هذا الحقد طوال سني البعثة المحمدية، واصبح عسيرا ان يتركوه، بل ان تركه فوق طاقة البشر. انظر الى يزيد بن معاوية بن ابي سفيان يلعب برأس الحسين بن علي بن ابي طالب الذي فصل عن جسده واحضر (لأمير المؤمنين) يزيد بن معاوية في دمشق يلعب بالرأس ويقول: «ليت اشياخي ببدر شهدوا». أي كأنه يثأر من ابن بنت رسول الله لأشياخه وخالي والده وابن خال والده وجده (عتبة والوليد وشيبه) الذين قتلوا في معركة بدر في صدر الإسلام.

وهو المسلم بن معاوية المسلم، أو ان شئت فقل الخليفة سلسيل الخليفة.

انظـر إلى جدتـه هنـد أم معـاويـة زوجـة أبي سفيان تأمر بقتل حمزة غدرا، ولا تكتفي بالقتـل بل تشق صدر حمـزه عم النبي واسـد الله وتتناول كبده وتحاول اكلها. وهذا امر طبيعي، فعسير على النفس البشرية العادية ان لا تفعل ذلك.

وبـايجـاز رفضت الـزعامة الأموية الدين المحمدي ونبوة محمد بالذات، بكل اصناف الرفض والوانه، وقاومته بكل فنون المقاومة، لا وفاء للاصنام، كما اسلفت، ولكن لانها تكره ان يأتي الدين عن طريق هاشمي، تكـره ان يذهب الملك منها.

واخيـرا فوجىء أبـوسفيان بجند الله قرب مكة، ويوقفه العباس فيرى جند الله، فيـدخـل الـرعب في قلبـه، وينتـزع منه فتيل المقاومة، ويفصح قائد الحزب «حزب الطلقاء» عن حقيقة تصوراته لدعوة محمد فيقول:

«ما رأيت ملكا مثل هذا، لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الاصفر»[1].

— اسلام أبي سفيان قائد الحزب:

ويجره العباس إلى محمد فيقول ﷺ «ويحك يا اباسفيان الم يأن لك ان تعلم انه لا اله إلا الله». فيقول أبوسفيان: بأبي انت وامي ما احلمك واكرمك، لقد ظننت انه لو كان مع الله الها غيره لما اغني عني شيئا.

قال ﷺ: يا أباسفيان الم يأن لك ان تعلم اني رسول الله. قال أبوسفيان: بأبي أنت وامي، اما والله فان في النفس حتى الآن منها شيء.

صاح العبـاس ويحـك يا أبـاسفيـان، أسلم واشهد ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك.

هنـا فقـط، بعـد ذكر ضرب العنق، وبعد الاحاطة وضعف الحيلة اسلم لينجو بنفســه. ودهش أبـوسفيـان وهـو ينظـر للنبي فقـال في نفســه، ليت شعري بأي شيء غلبني، فأوحى الله إلى نبيه بما في صدر أبي سفيان، فقال له الرسول «غلبتك بالله».

---

(١) راجع السيرة الحلبية جـ٣ ص٧٩.

(٢) راجع ص٧٩ جـ٣ من السيرة الحلبية وما فوق.

— كياسة قائد الحزب وقدرته على الاستفادة من ظروفه :

من عرف لذة الزعامة لا تفارقه نكهتها. ان السياسة داء وبيل ان جرى بالدم.
ومن يكن بالقمة يأبى الغور

ولكن أباسفيان كيّس عرف كيف يسوس نفسه ويستفيد من ظروفه.

موقف حزب الطلقاء زمن النبي : بذل النبي واصحابه جهودهم لادخال الايمان إلى ابي سفيان واتباعه، وفرض الله جزءا من الصدقة لابي سفيان وحزبه لتأتلف قلوبهم فقال تعالى : ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها.. والمؤلفة قلوبهم﴾. وكان الرسول ووجوده ثقلا هائلا يمنع أباسفيان أو غيره من ان يعبث.

— **موقف زعامة الحزب من أبي بكر أو خليفة النبي :**

كان أبوسفيان يجمع الصدقات بناء على أمر الرسول. عاد بعد وفاة الرسول وعلم ان أبابكر اصبح خليفة، فعرف كيف يستفيد، فأدرك ان علياً وبني هاشم هم اقوى المعارضين لأبي بكر، فرفع شعار وحدة بني عبد مناف ضد أبي بكر.

فقال أبوسفيان، ما لابي فصيل من امورنا، انما هي بنو عبد مناف... ما بال هذا الأمر في اذل حي من قريش، والله لئن شئت يا علي لأملأنها عليه خيلا ورجلا. فقال علي، يا أباسفان، طالما عاديت الإسلام وأهله. ولما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر، قال أبوسفيان، اني لأرى عجاجة، لا يطفئها إلا الدم يا آل عبد مناف، فيم أبوبكر من اموركم، اين المستضعفان، اين الاذلان علي والعباس. وقال، يا أباالحسن، ابسط يدك ابايعك، فأبى علي ذلك. فجعل أبوسفيان يتمثل بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسْف يراد به ... الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف معكوس برمته ... واذا يشبح فلا يبكي له احد

فزجره علي وقال : انت طالما بغيت الإسلام شرا لا حاجة لنا بنصيحتك[1].

اذن فان علياً رفض وحدة بني عبد مناف لانها ضد الشرع. وبهذه الوحدة

(١) تاريخ الطبري جـ٣ ص٢٠٩-٢١٠.

حقيقـة كان من الممكن ان يتغيـر مجـرى التـاريخ وان لا يحدث ما حدث لأن قريشاً الحقيقيـة هم بنـو عبـد منـاف، ولكن علي لا يطلب النصر بالجور، ولا على حساب الدين ويدرك ان بني أمية لن يخلصوا له لانه قاتل ساداتهم.

واتحاد بني عبد مناف يعني زوال الوضع القائم والدخول في طريق مجهول. لذلك رفض علي هذه العروض.

— دولة ابي بكر تحاول احتواء قائد الحزب:

كلم عمـر أبـا بكـر فقال: (ان أبا سفيان قادم، وانا لا نأمن شره، فدع له مابيده من الصدقات)[1].

والخطـوة الثـانيـة ان أبابكر ولى يزيد بن أبي سفيان قيادة الجيش الذاهب إلى الشام، فيزيد قائد عام لذلك الجيش.

وعين معـاويـة قائـدا آخـر بنفس الجيش تحت امـرة يزيـد. فكان معاوية على مقدمة جيش يزيد في فتح صيدا وعرفه وجبيل وبيروت[2]

وهكذا رضي أبوسفيان وعبر عن هذه المنن بقوله عن أبي بكر (وصلته رحم). وتعيين معاوية كان أهم اساس لقيام خلافة الطلقاء[3]

— العوامل التي ساعدت على وضع الأسس لقيام دولة الطلقاء:

ثم ان عثمان بن عفان كان اول زعيم من زعماء المهاجرين بايع أبابكر وتبعه بنو أميـة[4]. ممـا جعـل لهم حظـوة لدى السلطـة الحاكمة. فقد اصبح عثمان من اعظم مستشـاري الخليفـة أبي بكـر ونـائبـه عمـر لدرجة ان أبابكر قد قال لعثمان لو وضعت اسمك بدلاً من عمر لكنت أهلاً للخلافة[4].

فضـلاً عن تعيين معـاوية ويزيد ابني أبي سفيان، مما جعل للأمويين مصلحة بالوقوف ولو مؤقتاً مع السلطة القائمة.

---

(١) راجع ص٣٠٦ و٣٠٧ جـ من شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد.

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص١٥٢.

(٣) راجع الامامة والسياسة ص١١.

(٤) راجع سيرة عمر لابن الجوزي.

اذن كل قريش ومعها الخليفة الجديد وكل اسباب القوة في الدولة ضد المعارضة وقادتها بني هاشم وبالذات علي. وهكذا اصبح لرئاسة الدولة ولحزب الطلقاء هدف واحد مشترك اوبتعبير علي: (ان الناس ينظرون الى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها فتقول ان ولي عليكم بنو هاشم مرة، لم تخرج منهم ابدا، وما كان في غيرهم تداولتموها[1].

ولقد عبر الخليفة عمر عن هذا الاتجاه خير تعبير، فقد كان يرى بأن العرب تأبى ان تجمع لبني هاشم النبوة مع الملك، خوفا من اجحافهم، وخوفاً من الاجحاف أيضاً لم يولهم أبوبكر ولا عمر، ووضع شرطا بعدم جواز تولية الهاشمي حتى ولو كان ذي قوة وذي أمانة[2].

وقصد عمر نبيل، وهكذا قصد أبي بكر.

ومع هذا فقد كان هذا الاتجاه هدفاً مشتركاً بين الدولة وبين حزب الطلقاء وقيادة هذا الحزب بالذات.

وهذا الاتجاه هو الذي يسعى اليه حزب الطلقاء حتى يعزلوا الامة عن أهل بيت نبيها ثم ينقضوا على الامر ذات يوم.

والغرسة التي غرست زمن ابي بكر، وهي معاوية، ضربت جذورها في الارض واثمرت فقد ظل معاوية والياً على الشام مدة عشرين سنة، يجمع كما يشاء، ويعطي كما يشاء.

وعندما آلت الأمور الى عثمان المولع بطبعه في اقاربه بدأ الصحابة يتفرقون من حول عثمان، وبدأ بنو أمية ينزون حوله واحدا بعد الأخر، حتى اصبحوا رجال الخليفة ومستشاريه، واصبحت مقاليد الأمور عملياً بيد مروان بن الحكم حتى ان مروان امر بقتل محمد بن أبي بكر وطائفة من الصحابة، دون ان يستشير الخليفة حتى مجرد استشارة، وختم الامر بخاتم الخليفة، والخليفة لا يدري وبتعبير علي صار عثمان رضي الله عنه يلعب به مروان، فصار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبته الرسول[3].

---

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي كما نقلها عن الطبري.

(٢) قد وثقنا ذلك اكثر من مرة فارجع إلى توثيقاتنا في هذا البحث.

(٣) راجع تاريخ الطبري جـ٥ ص١١٣.

ومـا ادراك ما مروان ، انـه طليق ، ومن المـؤلفـة قلوبهم ، وابـوه الحكم ، كان محـرمـاً عليـه ان يدخـل المدينة في زمن الرسول ، وفي زمن أبي بكر وفي زمن عمر ، ولما تولى عثمان الخلافة ، ادخله معززا مكرماً واعطاه مئة الف درهم .

ومما ساعد حزب الطلقاء أيضاً على تكوين دولتهم ، عبدالله بن أبي سرح والي مصـر بكـل خيـراتهـا ، ومـا ادراك ما عبـدالله بن أبي سرح ، انه الذي افترى على الله الكذب واباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة ، كما يروي صاحب السيرة الحلبية في باب فتح مكة . وجاء به عثمان يوم الفتح يطلب الامان له ، وسكت الرسول على أمل ان يقتل خلال فترة سكوته ، كما اوضح ﷺ ، ثم اعطاه الامان .

مروان الطليق ، ومعـاويـه الطليق ، وعبـدالله بن أبي سرح الطليق ، والوليد بن عقبة الطليق أيضاً ، مصلي الصبح اربعا ووالي الكوفة ، كلهم على مدرسة أبي سفيان حتى ان أباسفيان حاول ان يخرج عثمان من مدرسته ، فقد قال لعثمان يوماً :

روى الجـوهـري : انـه لما بويع لعثمان قال أبوسفيان كان الأمر في تيم واني لتيـم هذا الامـر ، ثم صار لعـدي فأبعـد وابعد ، ثم رجعت لمنازلها واستقر الأمر قراره فتلقفوها تلقف الكرة .

وقال لعثمان يوماً : بأبي انت وامي ، انفق ولا تكن كأبي حجر ، وتداولوها يا بني أميـة تداول الـولـدان الكره ، فوالله ما من جنة ولا نار . وكان الزبير حاضرا فقال عثمان لأبي سفيـان اغـرب ، فقـال أبـوسفيـان : يا بني أههنا احد ، فقال الزبير نعم ، والله لا كتمتها عليك[1] .

وبايجاز قال مروان عمليا وبحق - كما يروى ابن الاثير في تاريخه الجزء الثالث قبيـل مقتـل عثمـان - (شـاهت الـوجـوه تريـدون ان تـسلبوا منا ملكنا) . فقد اصبحت الخـلافـة في اواخـر عهـد عثمـان ملكا امويا ولكن بثوب الخلافة . فلا تجد مصر إلا وواليه امويا أو مواليا لبني أمية .

فأي خليفة سيأتي بعد عثمان ، اما ان يصبح اداة بيد الامويين ، أو يدخل ليلا مظلماً ويسير على أرض مليئة بالعثرات والألغام .

---

(١) راجع جـ١ ص٣٠٧ و٣٢٦ و٣٢٧ من شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد وراجع فتوح البلدان للبلاذري ص٤٥٩ .

ونتيجة الفتوحات كثر عدد المسلمين الاحداث والمنتفعين من الدولة كدولة، وقل عدد الصحابة الذين قامت الدولة على اكتافهم، واصبح الصحابة السابقون كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود من حيث العدد، ومن حيث المصائب، اصبحوا كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية على حد تعبير الامام العاملي في كتابه المراجعات.

والأهم من ذلك ان الصحابة السابقين تفرقوا واختلفت مسالكهم في غياب العترة الطاهرة عن مسرح الحكم.

وتلك أمور لم تكن خافية على معاوية الذكي. قال معاوية مهدداً قبل قتل عثمان (ما انتم في الناس إلا كالشامة السوداء في الثور الابيض)[1].

هذا الكلام وجهه معاوية لقادة الصحابة لدى اجتماعه فيهم عند عثمان.

وباختصار، بأيدي بني أمية صنعت كل المآخذ التي اخذت على عثمان فخلقوا بايديهم مبررات قتله[2].

كل الولايات، أموية أو موالية لبني أمية ومعاوية بن أبي سفيان رضيع هند بنت عتبة اصبح قطب الرحى ومركز الدائرة وهو الوصي على بني أمية، ومن أعطى نفسه الحق بالمطالبة بدم عثمان أو ان شئت فقل رفع شعار المطالبة بدم عثمان ليضمن استمرار الملك الأموي ولقهر خصمه وقاتل اخيه وخاله وابن خاله وجده واحبابه علي بن أبي طالب.

فالقضية ليست قضية قتل عثمان. فهذا عمر قد قتل وسارت الأمور من بعده. لقد نشأ الملك الأموي من الناحية الفعلية يوم ولّى أبوبكر يزيد بن أبي سفيان وتوطد الأمر لمعاوية، ونشأ ملك حقيقي في أواخر عهد عثمان، وساعد على ذلك وعجل به بذور العداء التاريخي بين الاسرتين الهاشمية والأموية[3].

وكتبت نائلة زوجة عثمان تصف لمعاوية قتل عثمان، وارسلت قميص عثمان

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٣٠.

(٢) راجع الامامة والسياسة ص٢٣ راجع ما انكر الناس على عثمان.

(٣) راجع تاريخ الطبري جـ٥ ص١١٢ وما فوق وراجع السيرة الحلبية‌نسبه ﷺ.

مضرجا بالدم وبالخصلة التي نتفها المصري من لحيته وعقدت الشعر في زر القميص وارسلتها مع النعمان بن بشير الأنصاري[1].

بعد مقتل عثمان غادر بنو أمية المدينة المنورة والتحقوا بمعاوية ورفعوا شعارات الحق لخدمة الباطل، مثل نريد معاقبة قتلة عثمان.

لكن حتى زوجة عثمان لا تعرف القتلة والخليفة يقول لمعاوية، ادخل في الطاعة وحاكم القوم، إليّ احكم بينهم بالحق.

قتل عثمان ليست قضية في نظر بني أمية، القضية الحقيقية هي الملك، قتل الروح المؤمنة ليس بذي قيمة، الم يصدر مروان بن الحكم امرا بقتل اصحاب محمد بن أبي بكر دون جريرة.

اليس معاوية هو قاتل الحضرمي الذي كتب فيه بن زياد انه على دين علي، اليس معاوية هو قاتل عمرو بن الحمق الذي اخلقت العبادة وجهه، أوليس معاوية هو قاتل حجر بن عدي واصحابه العابدين المخبتين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

أوليس معاوية هو الذي سلط بن زياد يوزع فيما بعد، يقتل عباد الله ويصلبهم في جذوع النخل. المهم عند معاوية هو الملك والانتقام من قاتل جده وخاله وابن خاله واخيه.

— معاوية مؤسس دولة الطلقاء:

استعمل معاوية بشر بن ارطأة وبعثه إلى المدينة والقى الرعب في قلوب الصحابة وأذلهم[2].

وبعثه أيضاً إلى اليمن، وامره ان يقتل كل من كان في طاعة علي حتى الاطفال كما فعل بطفلي عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب، وكانا غلامين صغيرين[3].

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٤٤.

(٢) راجع ص١١٣ و١١٧ و١١٨ و١٣٩ جـ٥ تارخ الطبري و ص٢٨٢ من نظام الحكم للقاسمي.

(٣) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٢٨٣.

وبـاختصـار حصل معاوية على البيعة بالتقتيل والتدمير والتحريق وشتمه انصار رسول الله[1]. واستغل اموال المسلمين.التي جمعها خلال عشرين عاما بولايته على الشام لتوطيد سلطانه بعد ان اخرج اموال المسلمين عن مصارفها الشرعية[2]. ورتب معاوية عطاء اسـمه رزق البيعة يعطي للجند عند تعيين خليفة جديد[3].

— يزيد بن معاويه :

وتأكد ان المطلب الحقيقي لمعاوية هو الملك. عندما كتب معاوية وصيته من بعده ليزيد ابنه واخذ له البيعة بالقوة. واستهل يزيد عهده بعملية ابادة لأهل البيت، فقتـل الحسين وستـة عشـر رجـلا من أهـل البيت وآلـه في كربلاء، وكان أبوه قد سم الحسن، سبط الرسول وقبل موت معاوية اوصى لابنه يزيد.

— وصية معاوية ليزيد ابنه :

(اذا ثار أهـل المـدينـة فأرسـل اليهم مسلمة بن عقبة). وكان مع مسلمة قائمة بأسماء الطاهرين مع الصحابة ليقتلهم واحدا واحدا.

ويفعـل عقبـة الافـاعيـل التي تضج منها السماء. مروان دليل الجيش يؤشر، وعقبة ينفذ ويعدم بغير رحمة، وتم تنفيذ ابشع مجزرة لأخس مؤامرة عرفها التاريخ.

— نتائج وصية معاوية لابنه يزيد :

١ ـ ابيد من حضر من البدريين بالكامل.
٢ ـ ابيد من قريش ومن الأنصار سبعمائة رجل.
٣ ـ ابيد من الموالي والعرب عشرة آلاف.

كان ذلك سنة ٦٣ هـ في وقعة الحرة.

هنالك قال عبدالله بن عمر نحن مع من غلب، وكان رضي الله عنه معتزلا عند اشتداد الصراع بين علي ومعاوية.

---

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٢٨٣.

(٢) راجع ص٥٥٠ جـ٤ من تاريخ الطبري ونظام الحكم للقاسمي ص٢٨٣ وما فوق.

(٣) راجع ص٢٨٥ من نظام الحكم للقاسمي.

— استمرار نظام الوصية :

وسارت خلافة الطلقاء على نظام الوصية، كلما مات سيد اوصى لخلفه، واستمر نظام البيعة، وعلى الناس ان يصفقوا، وعلى الناس ان يبايعوا، ومن لم يبايع يبحث عن الفتنة. وقامت المملكة الأموية والفتنة نائمة لعن الله من ايقظها.

— التماس العذر لمعاوية :

ربما اراد معاوية بارساله بشر بن ارطأة ووصيته لابنه بارسال مسلمة بن عقبه ان يبيد طبقات الصحابة الاحدى عشر حتى يأتي دوره كواحد من الطبقة الثانية عشر من الصحابة، فيكون هو أولى أفراد الطبقة الثانية عشرة شرعاً.

— الخلافة العباسية :

قاد العباسيون ثورة باسم الدفاع عن الشرعية واعادة الحق لأهل البيت، ولما سيطروا على مقاليد الأمور وانتقموا من بني أمية باسم بني هاشم وباسم الأمة وباسم أهل البيت، اقاموا مملكة عباسية، وسارت على المنهاج الأموي فيما يتعلق بتعيين رئيس الدولة.

— الخلافة العثمانية :

وعندما سقطت دولة بني العباس وآلت الأمور مع الأيام لبني عثمان بحكم الغلبة ساروا على نفس المنهاج.

— خصائص العائلات الثلاث :

١ ـ اشترك الجميع باعتبار ان أهل البيت خطر على أمن الدولة فعزلوا.
٢ ـ آمن الجميع بنظام الوصاية. «ولاية العهد».
٣ ـ والحقيقة ان الأمة مدينة لهذه العائلات الثلاث لحفظها متحدة تحت رئاسة رجل واحد، واظهارها بمظهر الدولة الواحدة.
٤ ـ ان الاطار العام لنظام الحكم كان إسلامياً ولو من الناحية الشكلية على الأقل.

— الحكم على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان واوليائهم :

لقد تأولوا النص بالخلافة كأي شيء من شؤون السياسة وتدبير قواعد الدولة

ونقـريـر شؤونهـا . ولعلهم لم يعتبروها كأمور دينية فهان عليهم مخالفة الرسول فيها . وحين تمّ لهم الأمر، اخذوا بالحزم في تناسي تلك النصوص، واعلنوا الشدة على من يذكرها أو يشير إليها، ولما توقفوا في حفظ النظام ونشر دين الإسلام، وفتح الممالك والاستيـلاء على الثـروة ولـم يتدنسوا بشهوة، علا امرهم وعظم قدرهم، وحسنت بهم الظنـــون، واحبتهم القلوب، ونسـج النـاس في تنـاسي النص على منـوالهم. وجـاء بعدهم بنو أمية ولا هم لهم الا اجتياح أهل البيت واستئصال شأفتهم، ومع ذلك فقد وصل من النصوص الصريحة ما فيه الكفاية والحمد لله[1].

— نماذج على النصوص التي لم يتعبدوا بها:

١ ـ يوم الرزية عندما منعوا الرسول ان يكتب وصيته[2].

٢ ـ وسـريـة اسـامه، فقد عبأ الرسول كل الصحابة بما فيهم أبوبكر وعمر وابقى علياً وامـر عليهم اسـامـه وظلوا يتثاقلون حتى مات الرسول بالرغم من الحاح الرسول بتسييرها. وامر عليهم اسامه ومات الرسول وهي لـم تسر، ومع هذا جاء عمر بن الخطاب وطلب من أبي بكر ان يعزل اسامه الذي عينه رسول الله[3].

٣ ـ وامره ﷺ لابي بكر وعمر كلا على حده بقتل المارق وعدم امتثالهم لامره[4].

— خلاصة ما مرّ كله:

قلنـا ان الـرسـول ﷺ قد سمـاه الله نبيـا. وبقيـام الدولة الإسلامية سماه اماماً ووليأ، واثبتنا بالدليل القاطع والبرهان الساطع ان الله أمر نبيه ان يسمي خليفته وولي عهده، فسماه وهو علي بن أبي طالب.

---

(١) راجع المراجعات ص٢٩٩ـ٣٠٠ للامام العاملين.

(٢) راجع صحيح بخاري جـ٤ ص٥ و جـ١ ص٢٢ وراجع صحيح مسلم جـ٢ ص١٤ وراجع مسند الامام أحمد ص٣٢٥ جـ١ و ص٢٠ و١١٨ و١١٤ مجلد ٣ من شرح النهج و ص٢٢٢ جـ١ من صحيح مسلم و ص١٣٨ جـ١ من كنز العمال وص١١٤ جـ٣ من الشرح سطر ٢٧.

(٣) راجع سيرة اسامه من طبقات بن سعد، والسيرة الحلبيةوالدحلانية وراجع تاريخ ابن جرير الطبري في احداث سنة ١١.

(٤) راجع مسند الامام أحمد ص١٥ جـ٣ واخرجه أبويعلى وراجع ص٥٥ جـ١ من مسند الامام أحمد و ص٣٩٦ جـ٦ من الكنز.

وسقنا من النصوص الشرعية الصحيحة والمتواترة ما يؤيد ذلك ويثبته. وكان من المفترض ان يبايعه أهل الشورى البيعة الخاصة وان يقدموه للامة لتبايعه البيعة العامة، فهو امام لأن الرسول سماه بناء على امر ربه. ولكن لأن الأمة لم تبايعه تعذر عليه ممارسة مهام منصبه كامام.

وتجملا نقول ان الأمة اجتهدت بتعيين خلفائها، وهؤلاء الخلفاء الذين حكموا يمكن ان يحشروا في مجموعتين:

١ ـ **الخلافة الراشدة**: وهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي.
٢ ـ **بقية الخلفاء**: بدءا من حكام بني امية، ومرورا بحكام بني العباس، وانتهاء بحكام بني عثمان حتى آخر سلاطينهم.

والمجموعة الأولى لها من الاحترام والمحبة ما ليس للمجموعة الثانية، خاصة أبوبكر وعمر، فعلماء السياسة الشرعية يكادون أن ينظروا الى تصرفاتهما نفس النظرة التي ينظرون بها للقواعد الشرعية، بل ويفسرون القواعد الشرعية بما لا يتعارض مع تفسير هذين الخليفتين. فيقولون هكذا فعل أبوبكر، أوهكذا فعل عمر، أوهكذا فعلا الاثنان واسناد الفعل الشبيهة من افعال أبي بكر وعمر يجعله شرعياً حسب رأي هؤلاء العلماء، ومن ابرز الامثلة على ذلك ولاية العهد.

وقد بينا الطريقة التي تولى الخلافة فيها كل خليفة من هؤلاء الاربعة والطريقة التي عين فيها كل الخلفاء.

وعادة كل خلفة يعهد لمن بعده، ومن يؤيدونه هم أهل الشورى. وعلى الأمة ان تبايع أما طوعا أو كرها.

وقد ذكرنا ان الرسول سمى خليفته من بعده. وكان على أهل الشورى وهم القرابة الطاهرة وافاضل الصحابة ان يبايعوه. ولكن هذا لم يحدث.

والذي حدث ان أبابكر غلب واستقام له الأمر، فعهد من بعده لعمر وبايعه جزء من أهل الشورى، وعهد عمر لعثمان وبايعه جزء من أهل الشورى أوبايعه الجميع بغير رضا.

ومع الأيام الغي دور أهل الشورى الشرعيين وطمسوا. فأصبح أهل الشورى

هم الذين يبايعون الخليفة ويشدون له عضده. اما الأمة فهي ملزمة بالمبايعة أما رغبة أورهبة، طوعا أو كرها، لانه لم يصدف طوال التاريخ ان امتنعت الامة عن مبايعة حاكم فوقها. وبهذه الحالة تابعنا عرض النصوص الشرعية بغض النظر عن الواقع.

الامام المعين وفق الشرع يسمي خليفته أهل الشورى معروفون شرعا وهم القرابة الطاهرة وافاضل الصحابة هؤلاء يبايعون الامام البيعة الخاصة.

الامة: تبايع بعدهم البيعة العامة.

الفصل العاشر

— اختصاصات الامام وصلاحياته :

١ ـ الاختصاص العقائدي :

يتعلق هذا الاختصاص بالقرآن والسنة كشريعة. ويتعلق بالمجتمع المسلم الذي تحكمه تلك الشريعة. ويتعلق بالجنس البشري الذي يأمل الإسلام بهدايته وانقاذه.

أ ـ فيما يتعلق بالقرآن الكريم :

من أهم واجبات الامام واعظم اختصاصاته ان يتلو القرآن الكريم على المجتمع المسلم.

﴿وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن﴾[1]. وان يعلمهم احكام هذا القرآن، قراءته واسباب نزوله وعلومه وكل ما يساعد على فهمه. ﴿يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[2]. لأن القرآن هو اللفظ المتعبد بتلاوته والموحى إلى رسول الله لفظا ومعنى ﴿وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾[3].

ب ـ اما ما يتعلق بالسنة المطهرة :

وهي ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير فهي بيان وان الرسول قد أرسل مع القرآن للبيان. ﴿ان اتبع الا ما يوحي اليّ﴾[3]. ﴿لقد جاءكم رسولنا يبين لكم﴾.

وهذا الاختصاص من اعظم اختصاصات الامام بعد القرآن، وهي ملزمة للرسول لأن البيان تكليف من الله ﴿ان اتبع إلا ما يوحى إليّ﴾. ومليزم بالتالي، لخليفته، ومن واجبه ان يبين للناس، ويصعب على الاشخاص العاديين ان يفهموا

---

(١) سورة النمل آية ٩٢.

(٢) سورة البقرة آية ١٥١.

(٣) سورة الاعراف آية ٢٠٢.

القـرآن دون بيـان، لأن القـرآن معجـزة بيانية فيه من الاجمال ما يستعصي فهمه على العامة دون بيان . . ومهمة البيان انتقلت من رسول الله إلى اهله المطهرين .

جـ ـ أما ما يتعلق بالمجتمع المسلم :

فمن اختصـاص الامـام تطبيق هذه الشريعة (القرآن والسنة) عليه وتربيته على هذه الشـريعـة لأنهـا القـانون السائد وحق للمحكومين ان يعرفوا القانون السائد حتى يعرفوا ما يتقون ﴿وما انزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم﴾[1].

وعن طريق البيـان والتعليم والتطبيق يتحـول المجتمـع المسلم إلى مجتمـع عقـائـدي ويتحـول افـراده إلى افـراد متقين ومتـذكرين[2]. ومتعقلين[3] ومتفكرين[4] وبالتالي مهتدين[5].

أمـا ما يتعلق بالمجتمعـات غيـر المسلمـة فهم داخلون باختصـاص الامـام العقـائـدي لأن الرسول هو أول امام للدولة المسلمة أرسل للناس كافة ورحمة للناس وبشيـرا ونـذيـرا للنـاس كافة . وتلك حقائق ثابتة في الشريعة الإسلامية وحتى يمكن انقاذ الجنس البشري وهدايته يتذرع الامام بالوسائل التالية :

١ ـ الدعوة إلى دين الله وتعريف الناس به .
٢ ـ محاربة طواغيت الكفر وهم الذين لا يحكمون بكتاب الله .
٣ ـ بيان فساد الأسس التشريعية التي تقوم عليها مجتمعات الكفر. وهدف الإسلام من ذلك كله : خلق حرية الاختيار امام الإنسان، أي إنسـان ليختار الحق ويترك الباطل بغير اكراه، ووسيلته إلى ذلك كله الكلمة الطيبة والجهاد ليحمي الكلمة الطيبـة لأن الكلمـة لا تثمـر اذا لم تكن مدعمـة بالقـوة والسنة شاهدة على ذلك ومبينـة له . فقـد قضى الـرسول في مكة بضع عشرة سنة وهو يتلو القرآن، مع ان

---

(١) سورة النمل آية ٦٤ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٢١ .
(٣) سورة البقرة اية ٢٤٢ .
(٤) سورة البقرة آية ٢١٩ .
(٥) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

هذا القرآن كلمة الله ولم ينجح، نجح فقط عندما تجسدت الكلمة إلى واقع واستعملت تحت حماية القوة وبهيبتها.

٢ ـ اختصاص الحكم:

يختص الامام بالحكم. وكلمة الحكم إذا اخذتها على اطلاقها تعني كيان الدولة وكامل مؤسساتها، ويشمل تعبئة جهازها بالكفاءات وتطبيق شريعتها وادارة امورها بالشكل الذي يجعلها محققة لغايات وجودها في النظام السياسي.

فالامام هو رئيس السلطة التنفيذية، يعين جهازها سواء للعاصمة أو بالولايات وبالطريقة التي تحقق الغاية من حكم الله تماما.

والامام هو أيضاً معلم الأمة، يتلو عليها كتاب ربها ويعلمها احكامه وعلومه ويبين لها بيان نبيها لهذا الكتاب وسيرة النبي وطريقته باقامة الدين.

والامام أيضاً يطبق شريعة الله ويعمل على انقاذ الجنس البشري واتاحة حرية الاختيار امام الناس ليختاروا الحق ان شاؤ وا غير ممنوعين عنه.

ويدخل في اختصاص الامام هذا بيان حكم الله والحكم فيه ﴿فاحكم بينهم بما انزل الله﴾[١]. ومنع حكم الطاغوت، ومنع شريعة الطاغوت، والطاغوت هو كل حاكم لا يحكم بكتاب الله، وشريعة الطاغوت هي كل شريعة مطبقة غير شريعة الله. ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون﴾. ﴿واولئك هم الفاسقون..﴾. ﴿واولئك هم الظالمون..﴾[١].

٣ ـ اختصاصات الامام التشريعية:

ما ورد في القرآن الكريم تشريع، وما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير فهو تشريع. ﴿ان اتبع الا ما يوحى الي﴾[٢]. ﴿قل انما انذركم بالوحي﴾[٣].

لم يمت الرسول ﷺ إلا بعد أن اكمل الله الدين واتم النعمة. فالشريعة كاملة شاملة لكل شيء، وما ليس فيه نص يستنبط بوسائل الاستنباط الشرعية.

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٣

(٣) سورة الأنبياء آية ٤٥.

والامام الذي يخلف رسول الله ليس من صلاحيته التشريع، ولا من صلاحية الأمة كلها التشريع، لأن التشريع محصور بالله ورسوله وقول الرسول ليس إلا ايضاحا وبيانا للوحي.

﴿فاحكم بينهم بما انزل الله..﴾[1]. ﴿ان الحكم إلا لله﴾[2] ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون.. الفاسقون.. الظالمون...[3] وكل حاكم لا يحكم بكتاب الله طاغوت.

يريدون ان يتحاكموا إلى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به[4].

وبايجاز شديد. يخرج عن صلاحيات الامام تماما ان يشرع، ودور الامام ينحصر في البحث عن النص الذي يطبق على الواقعة فيطبقه أو يتأكد من تطبيق القضاء له.

وهنا تبرز حكمة الله بتعيين الذي يخلف الرسول، اذ يجب ان تتوفر فيه صفات معينة وإلا فلا يؤمن زلله ويجب أن يكون معتصما بالله، ومن يعتصم بالله يهد قلبه. والله وحده هو الذي يعرف من يعتصم به، لذلك خص نفسه بتسمية خليفة الرسول.

٤ ـ اختصاصات الامام التنفيذية:

الامام في الإسلام يتمتع بصلاحيات هائلة جدا، لأن النظام الإسلامي محتاط بطريقة تعيين الامام. فالله سبحانه وتعالى هو الذي أوحى لرسوله وسمى له الامام الذي سيخلفه، وهو الذي كلف رسوله بأن صنعه على عينه ويعده اعداداً خاصاً ليكون أهلاً لخلافته، وبالتالي لا يكون هنالك خطر من صلاحيات الامام الهائلة. ومن اختصاصاته التنفيذية:

١ ـ إن الامام ينقل السلطة لولي عهده المعين ويعلن تسميته ولياً للعهد.
٢ ـ يعين الوزير أو الوزراء بالعدد الذي يفي بتحقيق الغاية الشرعية ويعزلهم.

(١) سورة المائدة آية ٤٨.
(٢) سورة الأنعام آية ٥٧.
(٣) سورة المائدة آية ٤٨.
(٤) سورة النساء آية ٦٠.

٣ ـ يعين قادة الجيش ويعزلهم، يقود الجيش بنفسه أو يعين له قائداً.
٤ ـ يعين حكام الولايات ويعزلهم.
٥ ـ يعين القضاة ويعزلهم.
٦ ـ يرسم السياسة التنفيذية على الصورة التي يراها محققة للغايات الشرعية وله ان يسخر كل طاقات المجتمع بالطريقة الشرعية لتحقيق مقاصد الشرع ولاستمرار سير المجتمع على نفس مسيرة النبوة المثال.

هذه الصلاحيات كانت معطاة لرسول الله وهي أمور مسلم بها. ويبدو ان ولي العهد أو خليفته من بعده يتمتع بهذه الصلاحيات، لأن الرسول تمتع بها باعتباره ولياً للمؤمنين.

٥ ـ الاختصاصات القضائية:

كان رسول الله ﷺ هو رئيس ما يمكن أن نسميه بالسلطة القضائية، فهو المرجع الرسمي لحل الخلافات التي نشأت بين المسلمين مع بعضهم، أو بين الجماعات التي يتكون منها مجتمع الدولة الإسلامية. ويمكن مراجعة الصحيفة التي اصدرها رسول الله ﷺ عند قدومه إلى المدينة المنورة[1].

ومن الناحية العقائدية لا يمكن ان يكتمل ايمان المؤمن ولا المجتمع المؤمن اذا لم يكن الرسول هو القاضي، واذا لم يسلموا في حكمه ولا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضى. ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت...﴾[2].

فالرسول اما ان يحكم بالقضايا المعروضة عليه بنفسه، أو يعين قاضيا للحكم فيها، كذلك الامراء الذين يعينهم الرسول، يمارسون القضاء أو يعينون من يمارسه لحل الخلافات التي تنشأ في المنطقة الخاضعة لامارتهم. ويلوح لي ان الامام

---

(١) راجع المادة ٣٣ من الصحيفة التي ذكرها ابن هشام في سيرته ص٥٠١، جـ١، ونقلها القاسمي في نظام الحكم ص١٥، ونقلها مصطفى طلاس في كتابه الرسول العربي وفن الحرب عند العرب، ونقلها السيد سابق في آخر المجلد الثاني من فقه السنة.
(٢) راجع سورة النساء آية ٦٥.

المعين شرعاً من بعد الرسول له هذه الصلاحيات. ومن الأهمية بمكان التذكير بان الامام هو الامام المعين شرعا وليس من غلب.

— من مبادىء القضاء في الإسلام:

١ ـ «لا يقضي حكم بين اثنين وهو غضبان»[١].

٢ ـ لا يجوز اصدار الحكم قبل سماع حجة الطرفين.

«فاذا جلس بين يديك الخصمان لا تقضي حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فانه احرى ان يتبين لك القضاء»[٢].

٣ ـ البينة على من ادعى واليمين على من انكر[٣] قيل يا رسول الله، انه فاجر لا يبالي بما حلف ليس يتورع من شيء فقال ﷺ ليس لك منه إلا ذلك[٤].

٤ ـ ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ولا يأبى الشهداء اذا ما دعوا . .﴾.

٥ ـ قال ﷺ، لرجل حلفه: احلف بالله الذي لا إله إلا هو ما له عندك شيء[٥].

٦ ـ اليمين المتممة: قضى الرسول بيمين وشاهد[٦].

ترد شهادة الخائن والخائنة والزاني والزانية[٧].

ترد شهادة ذي الغمر[٨].

خير الشهود: الذي يأتي بالشهادة قبل ان يسألها[٩].

---

(١) رواه الخمسة ص٥٩، جـ٣ من التاج الجامع للأصول.

(٢) رواه أبو داود والترمذي ص٦٠، جـ٣ من التاج.

(٣) رواه الترمذي ص٦١، جـ٣ من التاج.

(٤) رواه الخمسة إلا البخاري ص٦١، جـ٣ من التاج.

(٥) رواه أبو داود والنسائي ص٦١، جـ٣ من التاج.

(٦) راجع ص٦٣، جـ٣ من التاج.

(٧) رواه أبو داود ص٦٣، جـ٣.

(٨) رواه أبو داود والترمذي ص٦٣، جـ٣.

(٩) رواه الخمسة إلا البخاري ص٦٢، جـ٣ من التاج.

٦ - **اختصاصات الامام المالية :**

قال تعالى : ﴿خذ من اموالهم صدقة تطهركم وتزكيهم بها﴾[١]. ﴿وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾[٢]. ﴿... انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها...﴾

حددت الشريعة مقدار الزكاة الواجب دفعها على جميع الاموال التي يملكها مالكوها، وبينت الشريعة الوجوه التي تحقق فيها تلك المقادير المجموعة ومن هنا تتبين اختصاصات الامام المالية وهي :

١ - اخذ الصدقات من باذليها وتوزيعها على مستحقيها.

٢ - اخذ الزكاة من اغنياء المسلمين بالنسب المفروضة بالشريعة وصرفها على الوجوه المحددة بالشريعة.

٣ - جمع غنائم الحرب وصرفها على الطريقة المحددة بالشريعة.

٤ - تحديد ما ينفق وما يدخر.

٥ - تعيين العمال والجباة والايدي العاملة اللازمة لتحقيق تلك المقاصد، واعطائهم حقوقهم المحددة شرعاً.

٧ - **اختصاصات الامام برأي الماوردي :**

١ - حفظ الدين على الاصول المستقرة التي اجمع عليها سلف الأمة. فاذا زاغ ذو شبهة بين له الحجة واوضح له الصواب واخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسا من خلل والأمة ممنوعة من زلل.

٢ - حماية البيضة والذب عن الحوزة ليتصرف الناس في المعايش وينشروا في الامصار آمنين.

٣ - تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام حتى تظهر النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم.

٤ - اقامة الحدود لتصان المحارم من الانتهاك وتحفظ حقوق العباد من الاتلاف والاستهلاك.

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٣.

(٢) سورة الذاريات آية ١٩، والمعارج آية ٢٤.

٥ ـ تحصين الثغور بالقوة الدافعة والعدة المانعة حتى لا تظفر الاعداء بغرة ينتهكون بها محرما ويسفكون بها دما لمسلم أو لمعاهد.
٦ ـ جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة.
٧ ـ جباية الفيء والصدقات على ما اوجبه الشرع نصا واجتهادا من غير عنف.
٨ ـ تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير ورفعه في وقته لا تقديم فيه ولا تأخير.
٩ ـ استكفاء الامناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه اليهم من الاعمال ويكله اليهم من الاموال لتكون الاعمال مضبوطة والاموال محفوظة.
١٠ ـ ان يباشر بنفسه مشارفة الامور وتصفح الاحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة. ولا يعول على التفويض متشاغلا بلذة أو عبادة، فقد يخون الامين ويغش الناصح[١].

٨ ـ الحسم باختصاصات الامام:

احسن صاحب كتاب نظام الحكم الاستاذ ظافر القاسمي عندما قال:

ان اختصاصات الخليفة تشمل جميع الشؤون الداخلية والخارجية والعسكرية. وان اعباءه تقع عليه وحده، وانه اذا فوض شيئا منها فان ذلك لا يسقط حقه الاصيل بممارستها.

— حقوق الامام:

١ ـ للامام ثلاثة حقوق:
١ ـ حق الطاعة.
٢ ـ حق النصرة.
٣ ـ الحق المالي.

— حق الطاعة:

قال تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم﴾ وهو الرسول وخلفائه الشرعيين والولاة الذين عينهم الرسول أو الخليفة الشرعي.

---

(١) راجع الفرا ص١١، والماوردي ص١٥ـ١٦، ونظام الحكم للقاسمي ص٣٥٣.

ويروي مسلم في صحيحه قول رسول الله ﷺ :

«عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك» ويقول ﷺ : من خلع يدا من طاعة لقي الله ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية والطاعة فيما احب أو كره ما لم يؤمر بمعصية . فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

ويبدو ان حق الطاعة المنوه عنها محصور بطاعة الرسول والائمة الشرعيين فقط .

— حق النصرة :

في الدول الغربية تتناوب على الحكم الاغلبية والمعارضة . والمعارضة تتلقط اخطاء الاغلبية بلهفة وتتمناها لتجد المبرر للحلول مكانها ، وتستمر على ذلك حتى يأتي اليوم الذي تستولي فيه المعارضة على زمام الحكم . وهكذا تصبح الأغلبية فيما بعد معارضة ، لتفعل كما فعلت المعارضة لها .

اما في النظامي السياسي الإسلامي ، فرئيس الدولة عينه الرسول وبايعته الأمة بشقيها الخاصة والعامة ، وهومعصوم لاعتصامه بالله وهو قائم بواجباته وفقا لقواعد الشريعة ، وعندئذ تصبح طاعته حقا على كل مسلم ونسلمة ، وتصبح نصرته والهب لمساعدته عملا تعبديا ويتمنى المسلمون دوامه ، والكل يتمنى توفيقه حتى الذين يطمعون ان يصلوا للحكم يوما لأن تمني غير التوفيق والخير للامام غش وخداع ومن غش المسلمين فليس منهم .

والمسلم الذي يمارس الغش اذا استطاع ان يخفي نواياه عن الرسول أوعن خليفته الشرعي أوعن الأمة ، فانه لا يستطيع ان يخفي نواياه الحقيقية عن الله فيلاحقه ضميره حيث يقصر سلطان الدولة وما يزال به حتى يرده إلى حظيرة الحق فيعطي للامام ثمرة قلبه ويده ويلبي دعوته لكل خير وتعاون .

ويتعاون مع الامام ومساعديه كل مسلم لتنفيذ الشريعة . والحرية متاحة امام المواطن المسلم وامنية المسلم الحق وقصده هي امنية الامام المسلم وقصده ، واماني وقصد الامام المسلم والأمة والمسلمة هي نفس اماني وقصد الشريعة وبالتالي

تلتقي الأمة مع مقاصد الامام مع مقاصد الشرع ويصنع التكافل الاجتماعي المكرس بالاصول العامة المستقرة للشريعة.

— الحق المالي:

حدد الله جزءا لرسـول الله من موارد الـدولة، وينتقل هذا الجزء إلى الائمة من بعده وهم أهل البيت الكرام، وهذا الجزء باق لهم ينفقون على الصورة التي حددها الشرع وطبقها الرسول، وهذا الخمس ينفق بالمعروف.

فالمسكين والفقير واليتيم من العترة الطاهرة، محرمة عليه الصدقة ويساعدهم الامام من هذا الجزء ويتصرف بالباقي على الصورة التي ترضي الله.

«بقي عن الـرسـول ﷺ ستـة دنـانيـر فقال وهو على فراش الموت، آتوني بها، فقسم خمسـة منها إلى خمسة بيوت من الأنصار ثم قال استنفقوا هذا الباقي، وعندما فعل ذلك قال الآن استرحت»[1].

---

(١) راجع جـ٢ من الطبقات لابن سعد، ص٢٣٧.

مساعدوا الإمام:

الفصل الحادي عشر

١ - ولي العهد.
٢ - مجلس الوزراء أو اعضاء الحكومة.
٣ - أهل الشورى.
٤ - الولاة.

— ولي العهد:

أو على حد تعبير ظافر القاسمي الوزير الحزبي لا المعارض.

كان ولي عهد رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب، وقد اثبتنا في باب تسمية الامام وولاية العهد، ان الرسول ﷺ دعا ربه بنفس الدعاء الذي دعا فيه موسى ربه، وما ان اتم الدعاء حتى هبط عليه جبريل ومعه آية الولاية لعلي. وكثيرا ما كان يقول لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى.

وبحمد الله ومنته ان هذه الاحاديث بلغت مرتبة التواتر واعترف بها اعداء علي قبل اوليائه، فارجع إليها موثقة ومنسقة في باب موقف الشرع من تسمية الامام.

وحقيقة، فلا يوجد صحابي قط إلا وقد عارض الرسول ﷺ، والوحيد الذي لم يعارضه هو علي بن ابي طالب. ومما يؤيد ذلك أيضاً انه لا يوجد صحابي إلا وقد امر عليه رسول الله ﷺ الا علي فانه لم يؤمر عليه احدا قط.

فعلى سبيل المثال في غزوة ذات السلاسل، كان الامير عمرو بن العاص وتحت امرته جل الصحابة بما فيهم أبوبكر وعمر وابوعبيدة، وكان عمرو بن العاص امامهم واميرهم.

وفي غزوة اسامه أمر الرسول كل الصحابة بالخروج مع اسامه، وكان اسامه هو أميرهم وامامهم وفيهم أبوبكر وعمر وأبوعبيدة.

والوحيد الذي لم يؤمر عليه رسول الله احدا هو علي ولا ينبغي ان يكون هذا صدفة.

بل ان الرسول ارسل أبابكر للحج بالناس، ومعه عشر آيات من سورة براءة

ليبلغها للناس يوم الحج الاكبر. وسار أبوبكر قاصدا مكة المكرمة. إلا ان جبريل هبط على رسـول الله ﷺ وابلغـه بأمـر الله بان يلحق علي بأبي بكـر ويأخـذ منه سورة براءة ليبلغها علي بالذات إلى الناس وليس أبوبكر.

وابلغ جبـريـل محمدا بانه لا يؤدى عنه إلا علي، على حد تعبير جبريل، كما امره ربه. تلك حقيقة بفضل الله ومنته لم تقو السياسة على طمسها، وقد وثقناها في باب ولاية العهد. وفي كل المعارك كان لواء الرسول اما بيد علي أو بيد حمزه[1].

وفي غزوة الخندق كان عمرو بن ود يقول:

ولقـد بححت من النـداء لجمعهم هل من مبـارز. كان عمـرو ينـادي كل المسلمين، كل كبـار الصحـابـة هل من مبارز؟ فلم يجرؤ على مبارزة عمر بن ود غير علي، كمـا ذكر ابن سعـد[2]. سل عنـه كل المعـارك، سل بدرا، وسـل احداً، سل الخندق، سل خيبر، سل كل المواقع هل هرب علي أوتقاعص أوهرب أي واحد من العترة الطاهرة. من يدعي انه يفوقهم شرفاً فقد خدع نفسه وان غلب. (راجع ما اثبتنا من نصوص في باب تسمية الامام وولاية العهد).

— مجلس الوزراء أو اعضاء الحكومة:

يتألف مجلس الوزراء أو اعضاء حكومة الرسول من فئتين من الاعضاء.

١ ـ الفئة الاولى: وهم القرابة الطاهرة، وقد اثبتنا بالنصوص القاطعة في باب البيعة الخاصة ان العترة الطاهرة ركن حقيقي من اركان السلطة لا يمكن الاستغناء عنه اذا ما اريد للسلطة ان تكون إسلامية وان تفلح.

٢ ـ افاضل الصحابة وفقا لمعايير التفاضل الدينية: وهي ليست معايير طبقية أوعرقية أو ماليـة، انمـا هي معـايير مستمدة من القرآن ومن السنة، وموقف الفرد من دين الله تقـدمـا أوتأخـرا، نصـرا أوخذلانـا، وهـذه المعـايير هي: القرابة الطاهرة، والسابقة في الايمان والتقوى، والعلم، ورأي الرسول.

---

(١) راجع على سبيل المثال جـ٢، ص٨ من الطبقات و ص٩ و٢٩ و٣١ و٤٩ و٥٨ و٥٩ و٧٤ و١٠٦ و١٥ و١٧ـ١٨.

(٢) راجع جـ٢، ص٦٨ من الطبقات لابن سعد.

فأفاضل الصحابة هم حكومة الرسول ومجلس وزرائه. وما يثبت صحة هذا التحليل ما رواه احمد والبزار والطبراني في الكبير من ان «اصحاب النبي وزراؤه»(1).

والمقصود بأصحاب النبي هم الصفوة أو افاضل الصحابة وقادتهم وهم بالذات أهل الشورى، لأن الصحابة كما اثبتنا في معرض البيعة الخاصة طبقات شرعية، ولأن المجتمع المسلم كله كان زمن الرسول صحابة حسب تعريف ابن حجر في اصابته، وحسب تقسيم ابن سعد في طبقاته وحسب تقسيم الحاكم للصحابة في مستدركه.

ومن المستحيل عقلا ان يصبح كل افراد المجتمع وزراء، لكن الذي لا شك فيه ان نطاق المشاركة بالوزارة المحمدية كان يجري بطرق موضوعية صرفه، ولا علاقة لرئيس الدولة فيه، فالسابقة والتقوى والعلم والاشتراك في معارك الايمان، أمور متروكة لحرية الفرد، فمن يبرز بهذه النواحي ويصدق مع الله يفرض نفسه فرضاً في مجلس وزراء أو حكومة الإسلام. ثم انظر الى قول زيد بن ثابت وهويجيب خطيب تميم بحضور الرسول ﷺ: (نحن انصار الله ووزراء رسوله)(2).

فاذا اخذنا بعين الاعتبار معنى الوزارة لغة، ومعنى الوزارة اصطلاحا ووحدة المعنيين، لوجدنا ان أهل الشورى حقيقة كانوا وزراء النبي ﷺ بما للكلمة من معنى. كانوا يقومون بعمل الوزراء فيستشيرهم مجتمعين أومنفردين، أويستشير بعضهم دون بعض. وهكذا يؤلف أهل الشورى مجلسا لشورى الامام، وهذه وظيفة من وظائف الوزراء وكان يطلب من بعضهم تنفيذ احكامه. وتلك وظيفة من وظائف الوزراء، فهم هيئته التنفيذية، ويطلب من آخر قيادة الجيش، وثالث قيادة سرية عسكرية، ورابع يرسله سفيرا لرئيس دولة أو لتجمع سكاني، أولمفاوضته امراً أو بحث أمر. فاذا اخذنا بعين الاعتبار ان الإسلام دين عملي وقواعده غائيه، فان الاسلوب المتبع بالوزارة المحمدية مؤدياً للغاية الشرعية من اقرب الطرق ويضمن مشاركة شعبية واسعة وعريضة.

---

(1) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٤١٣-٤١٤.

(2) راجع نظام الحكم للقاسمي، ص٤١٣-٤١٤.

وبالتالي يصبح تعيين اشخاص محددين وخلع لقب وزراء عليهم وفتح مكاتب لهم تجاوزا لحاجات الغايات الشرعية آنذاك خاصة مع وجود رئيس دولة الرسول ﷺ، ومع وجود ولي عهده الذي يكون دائما مع الحق بنص الشرع كما اثبتنا ذلك. ومع الاخذ بعين الاعتبار بان المسلم يقدمه عمله لله.

وبعد وفاة الرسول بدأت دائرة أهل الشورى تضيق، واختلت موازين التفاضل فهذا سعد بن عباده مثلا، وهو أحد وزراء الرسول اللامعين واحد النقباء ليلة العقبة يطرد من وزارته بل وتكره جيرته بسبب موقفه من رئيس الدولة ابي بكر وموقفه من الرئيس اللاحق عمر ويضطر إلى الرحيل عن المدينة ويموت قتلا ثم يسند قتله إلى الجن، كما وثقنا ذلك.

ويلمع يزيد بن أبي سفيان ومعاوية، ويحولوا إلى بطانه، مع انهم من المؤلفة قلوبهم ولم يكونوا وزراء للرسول ﷺ وعهد عمر وأبي بكر ذهبي من هذه اذ ما قيس بأواخر عهد عثمان، فقد ضاقت دائرة الصحابة، وخرج الأمر من ايديهم حتى انتهى الأمر بان اصبح مروان بن الحكم بمثابة رئيس وزراء لعثمان، واصبح لعثمان اربعة وزراء فقط هم:

١ - عبدالله بن أبي السرح وهو الذي افترى على الله الكذب والذي اباح الرسول دمه فقد كان والي مصر.

٢ - معاوية بن أبي سفيان الذي حارب الإسلام في كل موقعة حتى اذا حوصر وسط جزيرة الكفر اسلم لينجو بروحه وهو طليق وابن طليق ومن المؤلفة قلوبهم.

٣ - سعيد بن العاص وعمرو بن العاص وعبيدالله بن عامر. فقد استقدمهم الخليفة عثمان وكانوا من امرائه وقال لهم: لكل أمير وزراء ونصحاء وانكم وزرائي، ونصحائي وأهل ثقتي.

وعلى أي حال فان الإسلام يحكم عليه كنظام وتطبيق من خلال عهد رسول الله والمفاهيم الاخرى الاصطلاحات التي طرأت على الوزارة شريعة عقلية وضعية وليست شرعية. وما يعنينا بالذات هو الموروث من الكتاب والسنة والمعتبر جزءا من النظام السياسي الإسلامي.

— نواب الرسول على المدينة اثناء غيابه عنها:

لم يترك رسول الله ﷺ المدينة قط إلا وقد استخلف عليها. فعلى سبيل المثال:

١ - في غزوة الأبواء، استخلف سعد بن عبادة وهو بدري.
٢ - في غزوة بواط استخلف سعد بن معاذ وهو بدري.
٣ - في غزوة طلب كرز الفهري استخلف زيد بن حارثه.
٤ - في غزوة ذي العشيرة استخلف ابامسلمة بن الاسد المخزومي وهومن اوائل المهاجرين وبدري أيضاً[١].
٥ - في غزوة بني قينقاع استخلف ابا حبأبة بن المنذر[٢]. واستخلفه في غزوة السويق[٣].
٦ - في غزوة بدر استخلف عمرو بن ام مكتوم[٤]. واستخلفه في غزوة قرقرة الكدر[٥]. واستخلفه في غزوة بني سليم[٦] وفي حمراء الأسد[٧] وفي بني النضير[٨] وفي بني قريظة[٩] ولحيان[١٠] والغابة[١١] والحديبية[١٢] وعام الفتح[١٣].
٧ - وفي غزوة غطفان استخلف عثمان بن عفان[١٤] وفي ذات الرقاع[١٥].
٨ - وفي بدر الموعد استخلف عبدالله بن رواحه وهو بدري ونقيب[١٦].
٩ - في دومة الجندل استخلف سباع بن عرفطة الغفاري[١٧].
١٠ - في تبوك استخلف عليا بن أبي طالب[١٨].
١١ - في غزوة القضية استخلف أبارهم الغفاري[١٩].

— الأمراء الذين عينهم الرسول ومات وهم على اعمالهم[٢٠].

١ - مكة وارضها: عقاب بن اسيد على بني كنانة والظاهر بن أبي هاله على عك وذلك ان النبي قال اجعلوا عمال عك في بنيها.

(١-١٨) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨ و٦١٣، جـ٢ ص٨ و٤٢٠، جـ٢ ص٩ و٦٣، جـ٢ ص٩ و٦٣ و٢٣٩، جـ٢ ص٢٧، جـ٢ ص٣٠ و٤٥٧ و٢٧ و٣١ و٣٦ و٣٩ و٤٩ و٥٨ و٧٤ و٧٩ و٨ و٩٥ و١٣٥ و٦١ و٣٤ و٦١ و٥٩ و٦١٢ و٦٢ و١٠٦ و١٢٦.

(١٩-٢٠) راجع تاريخ الطبري، جـ٣ ص٣١٨.

٢ ـ الطائف وارضها: عثمان بن أبي العاص على أهل المدر ومالك بن عوف النصري على أهل الوبر.

٣ ـ نجران وارضها: عمرو بن حزم على الصلاة وأبوسفيان بن حرب على الصدقات.

٥ ـ على ما بين رمع وزبيد إلى حد نجران: خالد بن سعيد بن العاص.

٦ ـ على صنعاء: فيروز الديلمي ويسانده دازويه وقيس بن الملوح وعلى الجند يعلى بن أمية.

٧ ـ على مأرب: أبوموسى الاشعري.

٨ ـ على الاشعريين مع عك: طاهر بن أبي هاله ومعاذ بن جبل معلم القوم يتنقل في عمل كل عامل [١]

— المعارك والسرايا والقادة:

١ ـ غزا رسول الله ﷺ ٢٧ غزوة. وقاد في تسع منها: بدر، احد، المريسيع، الخندق، خيبر، فتح مكه، حنين، الطائف [٢].

٢ ـ بلغ عدد السرايا التي ارسلها ﷺ ٤٧ سرية وعيّن قادتها بنفسه [٣].

٣ ـ في كل وقعاته كان يحمل اللواء اما حمزه بن عبدالمطلب أوعلي بن أبي طالب، وأول لواء عقد في الإسلام كان لحمزه بن عبدالمطلب[٤].

٤ ـ ابرز القادة العسكريين واشجع المسلمين على الاطلاق بعد رسول الله وحمزه، كان علي بن أب طالب ويكفي ان تعلم قصة عمرو[٥].

وعندما ينادي عمرو بن ود ويصاب الجميع بالصم، خرج ولي الله واخورسوله فأسكت صوت عمرو بن ود إلى الأبد، وهذا معيار موضوعي لقياس الشجاعة.

قالت عائشة تحرض الزبير: يا ابا عبدالله خفت سيوف بني عبدالمطلب طوال حداد يحملها فتية انجاد [٦].

ويمكننا القول بكل ارتياح ان علياً بن أبي طالب كان أكبر واعظم واشجع

(١ - ٢) الطبقات لابن سعد، جـ٢ ص٦، جـ٢ ص٨ـ١٢٦.

(٣) راجع ص٦ و٨ و٩ و٢٩ و٣١ و٤٩ و٥٨ و٥٩ و٧٤ و١٠٦ و١٥٠، جـ٢ من الطبقات.

(٤) راجع الطبقات جـ٢، ص٣٨ على سبيل المثال.

(٥) راجع الامامة والسياسة ص٧٣.

رجالات الرسول على الاطلاق. قبل بدء القتال في وقعة الجمل كلم علي طلحة والزبير وقال لهما:

استحلف عائشة بحق الله وبحق رسوله على أربع خصال أن تصدق فيها: هل تعلم ان رجلاً من قريش أولى مني بالله ورسوله، وإسلامي قبل كافة الناس اجمعين، وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي... [1]

— القادة العسكريون الذين عينهم الرسول:

١ - عبيد بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف أرسله الرسول إلى رابغ[2].

٢ - سعد بن أبي وقاص أرسله ﷺ لعير قريش[3].

٣ - عبدالله بن جحش الاسدي أرسله إلى بطن نخله[4].

٤ - عمر بن عدي بن خرشه الخطمي أرسله إلى عصماء بنت مروان[5].

٥ - سالم بن عمير العمري أرسله إلى أبي عفك اليهودي[6].

٦ - محمد بن مسلمه أرسله لقتل كعب بن الاشرف بناء على طلبه[7].

٧ - زيد بن حارثه أرسله إلى القرد من أرض نجد، وأرسله إلى بني سلم وإلى الطرف وإلى العيص وإلى خمى وإلى وادي القرى[8]

٨ - أبوسلمة بن عبد الأسد المخزومي أرسله إلى قطن[9].

٩ - عبدالله بن انيس أرسله إلى سفيان بن خالد الهذلي[10].

١٠ - المنذر بن عمرو الساعدي أرسله إلى بئر معونه[11].

---

(١) راجع الامامة والسياسة ص٧٢.

(٢) الطبقات، جـ٢ ص٧.

(٣) الطبقات، جـ٢ ص٧.

(٤) الطبقات، جـ٢ ص٢٧.

(٥) الطبقات، جـ٢ ص٢٧.

(٦) الطبقات، جـ٢ ص٢٨.

(٧) الطبقات، جـ٢ ص٣٢ و٧٨ و٨٥.

(٨) الطبقات، جـ٢ ص٣٦ و٨٧ و٨٨ و٨٩ و٩٠.

(٩) الطبقات، جـ٢ ص٥٠.

(١٠) الطبقات، جـ٢ ص٥٠.

(١١) الطبقات، جـ٢ ص٥١.

١١ - مرثد بن أبي مرثد الغنوى[١].

١٢ - عكاشه بن محصن الأسدي أرسله إلى ذي الغمر[٢].

١٣ - أبوعبيدة بن الجراح أرسله إلى القصة[٣].

١٤ - علي بن أبي طالب أرسله إلى فدك، وأرسله إلى طي ليهدمه وأرسله إلى اليمن مرتين[٤].

١٥ - عبدالله بن عتيك أرسله إلى أبي رافع[٥].

١٦ - عبدالله بن رواحه أرسله إلى أسير بن زارم[٦].

١٧ - كرز بن جابر الفهري أرسله إلى العرفين[٧].

١٨ - عمرو بن أميه الضمري وسلمه بن أسلم بن جريس إلى أبي سفيان لاغتياله[٨].

١٩ - عمر بن الخطاب أرسله إلى تربه[٩].

٢٠ - أبوبكر الصديق أرسله إلى ناحية خربه[١٠] وأرسله مرة ثانية[١١].

٢١ - غالب بن عبدالله الشبي أرسله[١٢].

٢٢ - ابن أبي العوجاء أرسله إلى بني سليم[٣].

٢٣ - شجاع بن وهب الأسدي أرسله إلى بني عامر[١٤].

٢٤ - كعب بن عمير الغفاري أرسله إلى ذات اطلاع[١٥].

---

(١) راجع الطبقات، جـ٢ ص٥٥.

(٢) راجع الطبقات، جـ٢ ص٨٤.

(٣) الطبقات، جـ٢ ص٨٦ و١٣٢.

(٤) الطبقات، جـ٢ ص٨٩ و١٦٤ و١٦٩.

(٥) الطبقات، جـ٢ ص٩١.

(٦) الطبقات، جـ٢ ص٩٤.

(٧) الطبقات، جـ٢ ص٩٣.

(٨) الطبقات، جـ٢ ص٩٣.

(٩) الطبقات، جـ٢ ص١١٧.

(١٠-١١) الطبقات، جـ٢ ص١١٨ و١١٧ و١٢٠.

(١٢) الطبقات، جـ٢ ص١١٩ و١٢٤ و١٢٦.

(١٣) الطبقات، جـ٢ ص١٢٣.

(١٤) الطبقات، جـ٢ ص١٢٧.

(١٥) الطبقات، جـ٢ ص١٢٧.

٢٥ ـ زيد بن حارثه إلى مؤته وعين نائبا له جعفر بن أبي طالب ونائبا ثانيا عبدالله بن رواحه ولما قتلوا تولى القيادة خالد بن الوليد [١].

٢٦ ـ عمرو بن العاص أرسله إلى ذات السلاسل وأمره على أبي بكر وعمر وأمّ بهم ويجل الصحابة وأرسله لراع [٢].

٢٧ ـ ابن ربعي الأنصاري أرسله إلى خضرة نجد [٣].

٢٨ ـ خالد بن الوليد أرسله إلى العزى [٤].

٢٩ ـ سعد بن زيد الاشهلي [٥].

٣٠ ـ الطفيل بن عمرو الدوسي أرسله إلى ذى الكفين [٦].

٣١ ـ عينيه بن حصن الفزاري أرسله إلى بني تيم [٧].

٣٢ ـ قطبه بن عامر بن حديد [٨].

٣٣ ـ الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب [٩].

٣٤ ـ علقمة بن مجزر المدلجي أرسله إلى الحبشه [١٠].

٣٥ ـ عكاشه بن محصن الأسدي أرسله إلى الجناب [١١].

٣٦ ـ استعمل الرسول أبابكر على الحج وأرسل معه عشر آيات من سورة براءة إلاّ ان جبريل أمر بأخذها منه وان يكلف علي بتبليغها.

٣٧ ـ اسامه بن زيد إلى البلقاء وحثه على السفر قبل موته إلا انهم تباطأوا حتى مات ﷺ فطلب عمر من أبي بكر أن يعزل اسامه لصغر سنه إلا ان أبابكر رفض طلب عمر وبقي اسامه.

---

(١) الطبقات، جـ٢ ص١٢٨.

(٢) الطبقات، جـ٢ ص١٤٦ و١٣١.

(٣) الطبقات، جـ٢ ص١٣٢ و١٣٣.

(٤) الطبقات، جـ٢ ص١٤٥ و١٤٧ و١٦٩

(٥) الطبقات، جـ٢ ص١٤٦.

(٦) الطبقات، جـ٢ ص١٥٧.

(٧) الطبقات، جـ٢ ص١٦٠.

(٨) الطبقات، جـ٢ ص١٦٢.

(٩) الطبقات، جـ٢ ص١٦٣.

(١٠) الطبقات، جـ٢ ص١٦٣.

(١١) الطبقات، جـ٢ ص١٦٤.

— بعض مبادىء التولية في الإسلام:

قال تعـالى: ﴿واجعـل لي وزيـرا من أهلي. هارون أخي. اشـدد به أزري. واشركه في امري﴾.

يقول الماوردي: اذا اجيزت الوزارة في النبوة، فهي في الامارة اجوز[1]. قال تعالى: ﴿ان خير من استأجرت القوي الامين﴾[2].

قال ابن تيميه: يجب على الامام أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل[3].

ومن قبل قال الامام علي: حيثما وجدت القوة والامانة.

قال ﷺ: من ولي أمـر المسلمين شيئـا فولى رجـلاً وهـو يجـد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله[4].

قال ﷺ: من قلد رجـلاً عمـلاً على عصـابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين[5].

في معـرض إسـلام ثقيف، لمـا اسلموا كتب رسول الله لهم كتابا، وأمر عليهم عثمـان بن أبي العـاص، وكـان احـدثهم سنـا وذلـك لأنه كان احرصهم على النفقة بكتاب الله وفهم الإسلام[6].

والمعاهدة التي أبرمها رسول الله ﷺ مع أهل مقنا نصت بأن الأمير أما ان يكون منهم أو من أهل رسول الله[7].

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي، ص٢٢.

(٢) سورة القصص آية ٢٦

(٣) السياسة الشرعية لابن تيمية.

(٤) رواه الحاكم وصححه.

(٥) راجع نظام الحكم للقاسمي، ص٤٧٨.

(٦) راجع سيرة ابن هشام ص٥٤٠ جـ٢، وراجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٩٩

(٧) راجع الوثائق السياسية ص٥٧-٥٨

ويجب على الامـام ان يختـار الامثـل فالامثـل ﴿واتقوا الله ما استطعتم﴾[1]، ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾[2].

قال ﷺ: من ولي لنا شيئا فلم يكن له زوجة فليتزوج. ومن لم يكن له مسكنا فليتخذ مسكنا. ومن لم يكن له مركبا فليتخذ مركبا. ومن لم يكن له خادما فليتخذ خادما[10].

قال معـاذ: بعثني رسـول الله ﷺ إلى اليمن، فما سرت حتى أرسل في اثري، فرددت فقال ص: اتدري لم بعثت اليك؟ لا تصيبن شيئا بغير اذني فانه غلول، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة، لهذا دعوتك فامض إلى عملك [3].

قال ﷺ: انه ستكون بعدي امراء من صدقهم بكذبهم، واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد على الحوض. ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وانا منه وهو وارد على الحوض [4].

قال ﷺ: ان شر الرعاء الحطمة [5].

— حقوق الولاة:

اذا كان على العامل ان يتفرغ للخدمة العامة، فان له مقابل ذلك الحقوق التالية:

قال ﷺ: من ولي لنـا شيئـا فلم يكن له امـرأة فليتـزوج، ومن لم يكن له سكنـا فليتخـذ سكنـا. ومن لم يكن له مركبـا فليتخذ مركبا، ومن لم يكن له خادما، فليتخذ خادما. فمن اعد سوى ذلك جاء يوم القيامة غالا سارقا.

---

(1) سورة التغابن آية ١٦.

(2) سورة البقرة آية ٢٨٦.

(3) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٤٩٧ نقله عن مشكاة المصابيح ٣٥٧١ وتذكره ابن حمدون ص٦٨، وراجع ص٥٢ جـ٣ من التاج الجامع للأصول، وقد أسقطت بعض هذه الحقوق من التاج.

(4) راجع التاج الجامع الاصول ص٥٦ جـ٣.

(5) رواه الترمذي والنسائي ص٥٤ جـ٣ من التاج.

(6) راجع الجامع للأصول ص٤٩ جـ٣.

اذن فان للعامل: السكن، والزواج ووسيلة النقل، والخادم، والانفاق هو ومن يعول بالمعروف بغير سرف ولا تقتير [1].

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي فقد نقله عن مشكاة المصابيح رقم ٣٧٥١ وتذكرة ابن حمدون ص٦٨.
وفي باب الامارة من التاج الجامع للأصول وحدث حديثاً لرسول الله ﷺ يتضمن أكثر هذه الحقوق.
راجع ص٥٢ جـ٣ من التاج.

الباب الثاني

كيفية قيام دولة الاسلام الاولى

دولة الرسول ﷺ

الفصل الأول

— **الخطوة الأولى: تعيين الامام أو رئيس الدولة:**

الخطـوة لأولى التي وضعت في النظـام السياسي الإسلامي كانت تعيين رئيس الدولة أو الامام، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية وجود الامام. فهو الأساس، وكل بناء لا أساس له منهدم لا محالة. فضلاً عن ذلك، فان صلاحيات الامام في النظام السياسي الإسلامي صلاحيات هائلة جدا، ولا مثيل لتلك الصلاحيات في الانظمة السياسية العصرية. لذلك وجب التحوط عند اختيار الامام. من أجل هذا حصر الله بنفسه حق اختيار وتسمية رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي. فالله هو الذي اختـار محمـدا نبيـا واصطفـاه وليـاً «اماما» للمؤمنين، وهو الذي رباه، وهو الذي امره بالجهر في الدعوة، وهو الذي وجهه في كل مراحل قيام الدولة[1].

ولأن الامـام أو الشخص الـذي يرعى عملية اقامة الدولة الإسلامية، يجب ان يكـون شخصـاً غير عادي بملكاته واستعدادته. فقد اختص تعالى بتسميته لأنه وحده القـادر على معـرفـة هذا التقييم الـدقيق ورحمة بهذه الأمة خاصة وان دين محمد آخر الاديـان ورسـالتـه آخـر الـرسالات ونبوته آخر النبوات ونظامه آخر الانظمة، فقد جعل اختيار وتسمية رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي **محصوراً** بجلال الله وحده بشكـل مبـاشـر كما حدث بتسميته ﷺ وكما حدث بتسميته الامام علي أو بشكل غير مباشر كما حدث بالنسبة للائمة الأخرين.

وعليـه فإن أيـة محـاولـة لاقـامـة الدولة الإسلامية يجب أن تركز على شخصية الامام وماهيته، وتتأكد إنه الامام الشرعي، وبغير ذلك ستسرق المحاولة أو تجهض أو تستغـل أو تتخبـط، وبـالتـالي ستفشـل وستـوظف تلك المحـاولة بكل اخطائها ضد الإسلام، ولكن باسمه. لأنه لا بد من تواجد القائد أو الامام حتى يمكنه قيادة سفينة

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠-٢٥، وراجع السيرة الحلبية جـ١ ص٢٦-٢٨، وراجع النصوص التي سقناها في معرض موقف الشرع من تسمية الإمام، وراجع النصوص التي سقناها في باب البيعة الخاصة لاثبات ان أهل البيت والعترة الطاهرة من أهل الشورى وقد وثقناها وهي دليل كاف على ما قلناه.

الإسلام وسط تلك الظلمات المتراكم بعضها فوق بعض.

ولو راجعنا التاريخ كله لما وجدنا أية دولة ايمانية قد قامت ونجحت بتطبيق الايمان وقواعده إلا اذا كان رئيسها مختارا من الله عز وجل.

ارجع لدولة طالوت، فالله هو الذي اختاره. قال تعالىٰ: ﴿ان الله اختار لكم طالوت ملكا﴾. وعين الله بعده داود وورث سليمان داود وموسى عينه الله وارسل معه اخاه هارون وزيرا وخليفة بأمر ربه.

أما الانظمة التي تتخذ من الإسلام قناعا لها، وتحكم سياسياً وفق رأي ومزاج القائمين عليها، فهي ليست إسلامية انما تستند إلى شرائع عقلية أومزاجية، ان اخطأت أو اصابت فحسابها على الله وحكمه عليها واضح. ولا تفترق عن أي نظام من الانظمة السائدة إلا بمقدار ما يقودها العقل إلى الخير أو يبعدها عن الشر.

— المقر الأول لرئيس الدولة الاولى ﷺ:

أو اقليم الدولة المؤقت: الخطوة الأولى تسمية رئيس الدولة، والخطوة الثانية تحديد المنطقة التي ينطلق منها رئيس الدولة.

أمر الله محمداً ﷺ ان يجهر بدعوته في مكة، جمع أهلها وقال لهم: «تقولو لا إله إلا الله تملكون العرب وتدين لكم العجم»[1]. وأمره سبحانه وتعالى ان يتخذ منها مقرا له حتى يأتي أمر الله.

أما لماذا اختار الله سبحانه وتعالى مكة اقليماً مؤقتاً ومقراً لرئيس الدولة فاننا لا نعرف بالضبط، لكننا سنحاول الاقتراب من المعرفة وتلمسها بالحقائق التالية:

١ - لأن بمكة بيت الله الحرام الذي بناه إبراهيم وابنه اسماعيل والمقدس من كافة العرب.
٢ - الأن العرب تحج البيت كل عام، فمكة ملتقى لكل قبائل العرب.
٣ - لأنها مسقط رأس الامام ومقر أهله وعشيرته.
٤ - لأن في مكة عشيرة قريش وهم من اواسط العرب انسابا. ولقريش أهمية خاصة عند العرب ولانهم باعتراف الشرع أفضل العرب[2].

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٧٤.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠-٢٥.

٥ ـ ولأن سادات قريش هم بنو عبد مناف وهم معروفون عند زعماء العالم آنذاك، وكان يقال لهم المجبرون لفخرهم وسيادتهم على العرب[١].

فقد أخذوا العصم لقريش فانتشروا من الحرم اخذ لهم هاشم حبلا من ملوك الشام والروم وغسان، واخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي الاكبر واخذ لهم نوفل حبلا من الاكاسرة، واخذ لهم المطلب حبلا من ملوك حمير، وهاشم وعبد شمس ونوفل والمطلب هم أولاد عبد مناف اذ جبر الله بهم قريشا فسموا المجبرين[٢].

وهم اكرم العرب واشرف العرب[٣]. وربما لأن بني هاشم عامة ونسل عبدالمطلب بشكل خاص بما ورثوه وآمنوا به مهيأون لتقبل الدعوة المحمدية، فكانوا واقعياً مسلمين يأمرون أولادهم بترك الظلم والبغي، ويحثون على مكارم الاخلاق ويتجنبون دنيات الأمور، وبعضهم رفض عبادة الاصنام كما فعل عبدالمطلب، وكانوا يأمرون بالوفاء بالنذر، ومنع نكاح المحارم وقطع يد السارق، والنهي عن قتل الموؤودة وتحريم الخمر والزنا، ولا يطوفون في البيت عراة، وبعضهم كان مجاب الدعوة كعبدالمطلب أيضاً، وكان فائض الرحمة، فمائدته تمد للطير وأخرى للوحوش وثالثة لبني البشر، وكانوا يكرمون الجار، ويرعون الذمام، وكانوا من أبعد الناس عن كل موبقة، وكانت رؤياهم حق، وكانوا يفون بالعقود ولا يظلمون ولا يغدرون[٤]. ولقد اثبت هذا البيت الهاشمي العظيم انه بحق غرة العرب وتاجهم، وانهم خير خلق الله بعد نبيه كما قال فقد احتضنوه وتحملوا الحصار ثلاث سنوات وحموا حياته[٥].

---

(١) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص٥.

(٢) راجع المراجع السابقة.

(٣-٤) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٨٠ وجـ١ ص٥٠ من السيرة الحلبية وجـ١ ص٧٦ من الطبقات لابن سعد وجـ٢ ص١٧٩ من تاريخ الطبري وجـ١ ص٤ من السيرة الحلبية وجـ١ ص٨٠ من الطبقات لابن سعد وجـ٢ ص١٧٧ من تاريخ الطبري وجـ١ ص٨٣ و٨٤ و٨٥ من السيرة الحلبية جـ١ ص٢٧.

(٥) راجع النصوص التي سقناها في باب البيعة الخاصة عن أهل البيت والعترة الطاهرة.

— النهج الأول لرسول الله باقامة دولته وتكوين الشعب:

لجأ رسول الله ﷺ إلى الكلمة المجردة: يخاطب بها الناس كما فعل يوم صعد على الصفا قال:

«يا معشر قريش» فقالت قريش محمد على الصفا يهتف فاقبلوا:

١ ـ واجتمعوا فقالوا مالك يا محمد؟

فقال النبي: ارأيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقوني؟

فقالوا نعم، انت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط.

قال النبي: فاني نذير بين يدي عذاب شديد، يا بني عبد مناف، يا بني زهرة... عدد الافخاذ كلها.

وقال إن الله امرني أن انذر عشيرتي الاقربين، واني لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا ان تقولوا لا إله إلا الله[1]

٢ ـ واما الدعوة بصورة عائلية: كحديث الدار اذ دعا بني عبدالمطلب إلى وجبة طعام وقال لهم: اني لا اعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد امرني الله ان ادعوكم اليه[2].

٣ ـ واما الدعوة بصورة فردية هو واتباعه كما فعل مع خديجة زوجته، ومع علي بن أبي طالب[3] وأبوبكر الصديق[4].

أو الدعوة عن طريق اتباعه كما فعل أبوبكر الصديق[4]. فقد اسلم على يديه: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبدالله التميمي[5]. والخلاصة ان أبابكر أسلم على يديه خمسة من المبشرين في الجنة وهم: عثمان وطلحة والزبير وسعد[6].

٤ ـ وأما بعرض نفسه على قوافل الحجيج: حتى انه ليسأل القبائل قبيلة قبيلة ويقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم واذا آمنتم كنتم ملوكا في الجنة.

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠٠.

(٢) راجع تاريخ الطبري جـ٢ ص٢١٧ وجـ٢ ص٢٢ من تاريخ ابن الأثير وجـ١ ص٢٦٣ وجـ٣ من الشرح الحديدي.

(٣-٦) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص٢٦٨ و٢٧٣ و٢٧٦-٢٧٧

وكانوا يقولون له اسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك، ويكلمونه ويجادلونه ويدعوهم إلى الله ويقول: اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا.
فكان ممن سمي من القبائل التي عرض نفسه عليها، بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفه وفزاره وغسان ومرة وحنيفه وسليم وعبس وبنو نضر وبنو البكاء وكنده وكلب والحارث بن كعب وعذره والحضارمه، ولم يستجب له احد منهم[٧].

٥ - وساقه الله إلى حي من الأوس والخزرج، فجلس اليهم فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا له فقيل آمن به رجل وقيل رجلان وقيل ستة وقيل ثمانية واخذوا يدعون الله ويتكاثرون في يثرب[٨].

والخلاصة: انه عليه السلام دعا عليا قريش، ودعا عائلته بني عبدالمطلب مجتمعين، ودعا بشكل افرادي، وعرض نفسه على القبائل، وكلما آمن به فرد ارتبط به ذلك الفرد فشكل هؤلاء الافراد قطاعا من الشعب.

وما يميز هذه المرحلة ان الذين آمنوا، نتيجة الكلمة المجردة فقط بغض النظر عن قناعات الذين آمنوا أو دوافعهم.

— موقف أهل مكة من الدعوة الإسلامية:

منذ اللحظة التي اعلن فيها محمد دعوته انقسم أهل مكة إلى ثلاثة اقسام.

١ - بنو هاشم وبنو المطلب ابناء عبدمناف: بزعامة عميدهم عبدمناف بن عبدالمطلب (ابوطالب).

٢ - الذين اتبعوا محمداً من كانت له منهم قبيلة فقد أوذي ولكن ليس بالقدر الذي أوذي فيه الذين لا قبائل لهم كسميه وياسر وعمار وبلال. هؤلاء آمنوا بمحمد كأشخاص واخذوا يترددون عليه ويجتمعون به ما اتيحت لهم الفرصة ليسمعوا منه، ويعتبرونه نبيهم ووليهم، وهؤلاء هم الذين عرفوا ببعد النظر، والذين قد مستهم البشرية بعبوديتها مسا اليما.

(١-٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢١٦-٢١٧ و٢١٨.

٣ ـ كل افخاذ قريش وبطونها ومن لف لفهم بزعامة بني أمية وبالتحديد أبوسفيان لأن له القيادة بلا كلام ولا جدال.

وسنحاول الآن ان نحلل هذه المر تف الثلاثة ونوضحها.

١ ـ موقف بني هاشم وبني المطلب:

اعلنوا منذ البداية ان محمدا منهم، وانهم لن يسلموه ولن يسمحوا لأحد ان يصيبه بمكروه، وما شذ عن هذا الموقف غير أبولهب. وعندما مات أبوطالب اعلن أبولهب وقوفه إلى جانب النبي، وما زالت به قريش حتى غيّر موقفه، فأصبح هو الشاذ الوحيد من بني هاشم وبني المطلب[١].

حاولت قريش ان تتفاوض مع عميد هذين البيتين عندما رأت ظهور الإسلام وجلوس المسلمين حول الكعبة، فمشوا إلى ابي طالب حتى دخلوا عليه فقالوا له: انت سيدنا وافضلنا، وقد رأيت هذا الذي فعل هؤلاء السفهاء مع ابن اخيك من تركهم لآلهتنا وطعنهم علينا وتسفيههم احلامنا، وجاؤا بعماره بن الوليد بن المغيرة فقالوا قد جئناك بفتى قريش جمالا ونسبا ونهادة وشعرا ندفعه اليك فيكون لك نصرة وميراثه وتدفع الينا ابن اخيك فنقلته فان ذلك اجمع للعشيرة وافضل في عواقب الامور مغبة.

قال أبوطالب: والله ما انصفتموني تعطوني ابنكم اغذوه لكم، واعطيك ابن اخي تقتلونه، ما هذا بالنصف تسومونني سوم الغرير الضليل.

قالوا: فأرسل اليه نعطيه النصف، فأرسل أبوطالب إلى رسول الله فقال: يا ابن اخي، هؤلاء عمومتك واشراف قومك وقد ارادوا ان ينصفوك. فقال ﷺ: قولوا أسمع. قالوا تدع آلهتنا وندعك والهك. قال أبوطالب قد انصفك القوم فاقبل منهم.

فقال ﷺ: أرأيتم ان اعطيتكم هذه هل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم. فقال أبوجهل: ان هذه الكلمة مربحة نعم وابيك لنقولنها وعشر امثالها.

---

(١) فصلت ذلك في باب البيعة الخاصة (أهل البيت والعترة الطاهرة كجزء من أهل الشورى، ارجع إليه تجده موثقاً.

قال النبي (قولوا لا إله إلا الله).
فاشمأزوا وقالوا لا نعود ابدا وما خير من ان يغتال محمد.

فلما كان المساء فقد رسول الله ﷺ وجاء أبوطالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فتيانا من بني هاشم وبني المطلب ثم قال: ليأخذ كل منكم حديده صارمة ويتبعني، فاذا دخلت المسجد فلينظر كل فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم بما فيهم أبوجهل فانه لم يغب عن شر ان كان محمد قد قتل. فقال الفتيان نفعل.

فجاء زيد بن حارثه فوجد أباطالب على تلك الحالة، فسأله عن رسول الله فقال زيد كنت معه آنفا. فقال أبوطالب لا ادخل بيتي حتى اراه. فذهب زيد واحضر الرسول فقال له أبوطالب أكنت في خير؟ قال الرسول نعم. فقال أبوطالب ادخل بيتك. فلما اصبح أبوطالب غدا على النبي فأخذ بيده فوقف به على اندية قريش ومعه الفتية الهاشميون والمطلبيون، . فقال يا معشر قريش، هل تدرون ما هممت به؟ قالوا لا فأخبرهم الخبر، وقالوا للفتيان اكشفوا عما في ايديكم، فاذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة فقال، والله لو قتلتموه ما ابقيت منكم واحدا حتى نتفانى نحن وانتم فأنكر القوم وادركوا الجد الهاشمي[1].

— الحصار:

واخيرا تفتقت ذهنية قريش وزعامتها ومن لف لفهم عن فكرة مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ليحملوهم على التخلي عن محمد، وكتبوا فيما بينهم كتابا على بني هاشم إلا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يخالطوهم، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وحصروا بني هاشم في شعاب أبي طالب ومعهم بنو المطلب بن عبد مناف، وقطعوا عنهم الميرة والمائدة، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد، وسمع اصوات صبيانهم من وراء الشعب فأقاموا في الشعب ثلاث سنين.

كل افخاد قريش اشتركت بالمقاطعة، بنو أمية وبنو زهرة وبنو مخزوم وبنو نوفل وبنو عدي وبنو تيم.

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠٢-٢٠٣.

ويقول أبوطالب: جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما.

ويقول أبوطالب أيضاً: جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شرعاً عاجلاً غير آجل[1].

وخوفا من بني هاشم قررت قريش ان تختار من كل قبيلة رجلا وان تقتل النبي ﷺ حتى يضيع دمه بين القبائل، فلا يقوى الهاشميون والمطلبون على المطالبة بدمه. وبالفعل فقد نفذوا المؤامرة ولكن الله نجى نبيه وانسل من بينهم ووجدوا عليا نائما في فراشه[2].

وباختصار شديد فالإسلام مدين لبني هاشم ودولة الإسلام مدينة لهذين الفخذين من قريش فقد كان محمد في عزوهم حوله، انظروا إلى قول العباس في العقبة الأخرة: (ومحمد من اعز الناس في عشيرته).

ومن المفارقات المضحكة والمبكية معا ان اصبح هدف سادات قريش بعد الرسول ابعاد بني هاشم حتى لا يجمعوا مع النبوة الملك خوفا من اجحافهم[4].

ومن المضحك المبكي أيضاً انه قد حرم على بني هاشم الولاية حتى ولو كان من يتقدم للولاية ذا قوة وذا امانة[5].

ومن المحزن أيضاً ان الخلافة قد اخذت من الأنصار تحت شعار ان أهل النبي وعشيرته أولى بميراثه وتحت شعار القرابة منه[6].

ولقد ابعدوا عن الولايات طوال عصور أبي بكر وعمر وعثمان وطوال العصر الأموي. تنفيذا لهذا المبدأ الغريب.

---

(١) راجع ص٢٠٩ من الطبقات لابن سعد جـ١ وص٣٣٦ - ٣٣٨ جـ١ من السيرة الحلبيةوص٢٤٣ - ٢٤٥ جـ٢ من تاريخ الطبري.

(٢) راجع ص٢٢٧ - ٢٢٨ جـ١ من الطبقات لابن سعد وجـ٢ ص٢٤ من السيرة الحلبيةوص٢٤٣ - ٢٤٤ من تاريخ الطبري وص٣٠٥ - ٣٠٨ من السيرةالدحلانية هامش السيرة الحلبية.

(٣) راجع ص٢٢٢ جـ١.

(٤ـ٥) راجع ص٢٤ جـ٣ من الكامل في التاريخ لابن الأثير وص١٠٧ مجلد ٣ من الشرح للحديدي وص٥ـ٧ من الإمامة والسياسة وص٣٤٣ من المراجعات للعاملي.

ـــموقف قريش :

فقدت زعامة قريش رشدها، واستخفت بطون قريش واتخذوا التدابير التالية :

١ ـ محاولة قتل الرسول[١] .
٢ ـ مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ثلاث سنين في شعاب أبي طالب[٢].
٣ ـ تعذيب المستضعفين من الذين اسلموا مع محمد، اذ ثارت كل قبيلة بمن آمن من افرادها، فعذبوهم وسجنوهم وارادوا فتنتهم[٣]، كما فعلوا ببلال، وبالمسلمة زنيره التي عميت من التعذيب[٤] ، وبالمسلمة لطيفه التي عذبها عمر بن الخطاب حتى مل[٥] ، والخباب بن الأرث[٦]، وياسر وعمار واخوه عبدالله وسميه أم عمار[٧]، وأبوبكر فرض عليه المشركون ان يعبد الله في داره[٨] .
٤ ـ محاصرة من يريد الهجرة لمنعه من المهاجرة كما فعلت قريش بالمهاجرة الأولى الى الحبشه[٩] ، وكما فعلت يوم حاولت قتل الرسول عند هجرته، وخصصت الجوائز لمن يلقي القبض عليه حياً أو ميتاً كما مر.
٥ ـ محاولة طرد المهاجرين من مهاجرهم كما فعلت قريش يوم ارسلت عمرو بن العاص في اثر الذين هاجروا إلى الحبشه ومعه عماره بن الوليد بن المغيرة وهدية الى النجاشي ليرد من جاء من المسلمين اليه[١٠].

---

(١) راجع ص٢٠٢ ـ ٢٠٣ جـ١ من الطبقات لابن سعد وص٢٤٣ ـ ٢٤٤ جـ٢ من تاريخ الطبري وراجع ص٣٠٥ ـ ٣٠٨ من السيرةالدحلانية وجـ١ ص٣٢٢ من السيرة الحلبية.
(٢) راجع ص٢٠٨ ـ ٢٠٩ من الطبقات لابن سعد جـ١ وص٣٣٦ ـ ٣٣٨ جـ١ من السيرة الحلبيةوص٢٤٣ ـ ٢٤٥ جـ٢ من تاريخ الطبري.
(٣) راجع ص٢٠٣ جـ١ من الطبقات لابن سعد وص٢٩٨ جـ١ من السيرة الحلبية.
(٤) راجع ص٢٩٩ جـ١ من السيرة الحلبية.
(٥) راجع ص٣٠٠ جـ١ من السيرة الحلبية.
(٦ ـ ٧) راجع ص٣٠٠ جـ١ من السيرة الحلبية.
(٨) راجع ص٣٠١ جـ١ من السيرة الحلبية.
(٩) راجع ص٢٠٤ جـ١ من الطبقات.
(١٠) راجع ص٣٣٨ جـ١ من السيرة الحلبية.

٦ ـ الطعن بالرسول وبالقرآن الكريم كقولهم حاشا لرسول الله : انه كذاب، وانه ساحر وانه مفتري وانه شاعر وانه كاهن وانه مستضعف ﴿لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ وطعنوا بالقرآن العظيم فقالوا : ﴿ان هذا الا اساطير الأولين﴾ وآيات القرآن الكريم حافلة باتهاماتهم .

٧ ـ محاولات قتل الرسول لم تتوقف[١] .

٨ ـ تخصيص فرقة لتستهزىء بالرسول ﷺ منهم : الوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد والعاص بن وائل واسود بن عبدالمطلب والاسود بن عبد يغوث والحرث بن عيطله[١]، وعقبه بن ابي معيط والحكم بن العاص بن أميه جد ملوك بني أمية ووالد مروان باني المملكة الأموية وعم عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث وأبوجهل[٢] .

٩ ـ محاولة جذب الناس عن الرسول عن طريق الزعم بان القرآن اساطير الأولين، وبروز محدثين يحدثون عن الامم السابقة كما فعل النضر بن الحرث اذ كان يحدث قريش عن ملوك فارس لأنه كان يعلم احاديثهم[٣] .

١٠ ـ واخيرا، جيشت قريش الجيوش وحاربت الرسول واتباعه كما فعلت يوم بدر واحد والخندق، ففي وقعة الخندق استعانت حتى باليهود للقضاء على محمد، تلك حقائق ولا حاجة لتوثيقها .

١١ ـ التهديد بسب الله اذا سب محمد آلهتهم[٤] .

١٢ ـ وعندما حاصر محمد طرق تجارتهم، وحصر قريش بجزيرة من الشرك ودخل مكه فاتحا قال لهم الرسول : ما تظنون اني فاعل بكم؟ قالوا (اخ كريم وابن اخ كريم) . فقال لهم الرسول : اذهبوا فأنتم الطلقاء . ويشاء الحظ ان يسيطر هؤلاء الطلقاء على مقاليد الأمور، وان يصبحوا قادة الدولة الإسلامية

---

(١) راجع ص٣٢٢ جـ١ من السيرة الحلبية.

(٢) راجع ص٣١٨ ـ ٣١٩ جـ١ من السيرة الحلبية.

(٣) راجع ص٣١٦ ـ ٣١٧ جـ١ من السيرة الحلبية.

(٤) راجع ص٢٢ جـ١ من السيرة الحلبية.

(٥) راجع ص٣٢٢ جـ١ من السيرة الحلبية.

والاوصيــاء على المسلمين باسم الإسـلام بل اولياء امـورهم، وان يتـراجـم قدامى الصحابة وساداتهم وبالتالي يسلموا لهم بقادة الدولة.

موقف محمد والذين اتبعوه:

تذرع محمد بالوسائل التالية لمواجهة قريش:

١ - تشجيع اتباعه على الصبر: مرّ على آل ياسر وهم يتعذبون، فقال لهم: صبراً آل ياسر ان موعدكم الجنة[١]
وقال لعمار: صبرا يا اباليقظان، ثم قال: اللهم لا تعذب احدا من آل عمار بالنار[٢].

٢ - تشجيعهم على الهجرة: اذ قال لهم الرسول: تفرقوا في الأرض. واشار عليهم ان يذهبـوا الى الحبشـة. فهـاجر قوم رجالا ونسـاء منهم عثمان ب عفان وزوجته رقيـة بنت الـرسـول، وابـو حذيفـة بن عتبـة وامـرأته والزبير بن العوام بن خويلد ومصعب بن عمير وعبـدالـرحمن بن عوف وابـوسلمـة بن عبـدالاسدي وامرأته وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته وأبوسبره بن ابي رهم[٣].

٣ - وبـالهجـرة الثـانية هاجر إلى الحبشة ٨٣ رجلاً ومن النساء احدى عشرة امرأة من قريش ولمـا سمعـوا بمهاجرة الرسول إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً وثماني نسوة.

٤ - محـاولـة البحث عن مخـارج والاستمـرار بدعـوة النـاس، وخروجه إلى الطائف نموذج على ذلك[٤].

٥ - واجتماعه مع الأوس والخزرج وترتيب هجرته ليثرب لتكون مقرا دائما له، وأول اقليم من اقاليم الدولة الإسلامية، واستمر بعرضه نفسه على القبائل قبل الهجرة[٥].

(١-٢) السيرة الحلبيةجـ١ ص٣٠٠.

(٣) الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٠٤.

(٤) الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٢١١ على سبيل المثال.

(٥) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢١٦ - ٢٢١ والطبري جـ٢ ص٢٣٣ - ٢٤٩ والسيرة الحلبيةجـ١ ص٢٨١ - ٢٩٧ والسيرة الدحلانية.

— الهجرة المباركة وقيام الدولة بكل مقوماتها:

ادرك الرسول ﷺ ان بقاءه في مكة أمر لا طائل تحته، وبمثل ظروفه فانه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، وان الكلمة قد ادت دورها تماما، وان اللغة التي تفهمها زعامة قريش هي لغة القوة أو الكلمة المسلحة بالقوة. وان نبتة الأيمان التي زرعها في قوافل حجيج الأوس والخزرج قد اثمرت، وقد بايعوه، كما سيمر.

وانه ن الناحية الحقيقية قد عثر على الاقليم والمقر الدائم له وهو يثرب، وان أموره منظمة، واتباعه لهم الكلمة العليا في يثرب. وقد طلبوا منه ان يهاجر اليهم وان يتولى امورهم ويقود الدعوة والدولة معا بنفسه، وان الله المطلع على ذلك قد اذن له بالهجرة.

— اقليم الدولة:

يثرب: حاضرة حجازية تسكنها قبائل عربية أهمها الأوس والخزرج، وقبائل يهودية ترتبط مع هاتين القبيلتين بأحلاف عشائرية، كل قبيلة من الخزارجة ترى ان السيادة اذا آلت للأخرى حط من قدرها، وانتقاص من كبريائها، ولم تتوصلا مع الزمن إلى حل مشترك مما جرّ عليهما المتاعب والويلات.

والقبائل اليهودية كانت تحتكر التجارة، وتتمركز لديها رؤوس الأموال وتتعاطى الربا وتمارس اذكاء نار الفتنة بطريقة ذكية بين القبيلتين، لكنها لم تكن تتطلع الى السيادة على اعتبار انها عنصر اجنبي لا يقبل اليثاربة حكمه.

ان المعادلة يجب ان تأتي من خارج يثرب. وكان النبي يستعرض قوافل الحجيج، فاجتمع مع اعداد كبيرة من اليثاربة آمنوا بدعوته، وجاءت وفود كبيرة منهم واتفقوا معه على ان تتحول يثرب الى قاعدة للدولة والدعوة معا أي تتحول إلى اقليم بالمعنى الدستوري المعاصر. وطلبوا منه ان يهاجر إليهم، وان يتولى بنفسه مقاليد الأمور. وهكذا ترشحت يثرب لتكون اقليم الدولة الإسلامية وبدأت الخطوات الفعلية على هذا الطريق حتى غدت يثرب حقيقة أرض الدولة الإسلامية[1].

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢١٦ ـ ٢٢١ وراجع تاريخ الطبري جـ٢ ص٢٣٣ ـ ٢٤٩ وراجع السيرة الحلبيةجـ١ ص٢٨٢ ـ ٢٩٧ والحاشية السيرةالدحلانية.

— السلطة :

قلنا ان رسول الله بعث للناس نبياً وللمؤمنين ولياً أي إماماً، وهو أول اساس للدولة وأول مظهر من مظاهر سلطتها. وان الذين آمنوا به يعتبرونه ولياً لأمرهم. ولكن قضية الهجرة اعطت للموضوع طابعاً خاصاً.

— البيعة :

اثناء استعراض محمد للحجيج اجتمع مع ستة من أهل يثرب وعرض عليهم دعوته فآمنوا به ووعدوه بنشرها. ومما قالوه له: انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى الله ان يجمعهم بك، فسنقدم عليهم، وندعو إلى امرك، ونعرض عليهم الذي اجبناك له، فان يجمعهم الله بك فلا رجل أعز منك، وكانوا ينتمون الى مختلف فئات يثرب، ولما عادوا نشروا ما دار بينهم وبين محمد حتى اصبح مادة لكل احاديث المجتمع اليثربي. وفي السنة التالية رجع من هؤلاء خمسة ومعهم سبعة آخرين، ثلاثة من الأوس واربعة من الخزرج، وبايعهم الرسول كمبايعة النساء (أي مبايعة النساء) ومن جملة بنود البيعة (ان لا يعصون في معروف) أي طاعتهم للرسول[1].

وفي السنة الثالثة جاء مصعب بن عمير ومعه مجموعة من المؤمنين قوامها ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان للاجتماع مع الرسول. وعندما فرغوا من مناسكهم تسللوا ليلاً وفرادى حتى لا يثيروا انتباه قريش، واجتمعوا عند شعبة العقبة حيث سيأتيهم الرسول.

— البيعة الخاصة على صعيد الأنصار:

وحضر الرسول ومعه عمه العباس الذي كان يومذاك على الشرك، كما يقول الرواة، ولكن جاء ليطمئن على مصير ابن اخيه. وافتتح العباس الاجتماع بكلمة منه جاء فيها: ان محمدا منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا وهم على مثل رأينا، وهو في عز في قومه ومنعة في بلده، وقد أبى إلا الانقطاع اليكم واللحاق بكم، فان كنتم

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢١٦ - ٢٢٧ وتاريخ الطبري جـ٢ ص٢٣٣ وما فوق.

ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج فمن الآن فدعوه[1].

ولما انتهى العباس وقف الرسول وتكلم ثم بايعوه واحداً واحداً على ان يحموه كما يحمون نساءهم واولادهم. واشترطوا على الرسول ان لا يترك يثرب عندما تعلو كلمة الله ويظهر امره.

فقال لهم الرسول: بل الدم الدم، الهدم الهدم، انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم واسالم من سالمتم.

وبايعه الأنصار واحداً واحداً على الطاعة، وعلى ان يحموه كما يحمون نساءهم واولادهم.

— البيعة الخاصة على صعيد المهاجرين:

الذين احبوا محمدا وفضلوه على الأهل والمال والوطن آخى بينهم وامرهم ان يهاجروا إلى ارض الدولة الجديدة، وان يشتركوا مع اخوانهم الأنصار في تحضير مكان الدولة لتقبل قدومه ونجاح هذا القدوم.

وعندما وصل الرسول ﷺ الى اقليم الدولة آخى بين المهاجرين والأنصار، فأصبح المسلمون كعائلة واحدة تربطهم وشائج الأيمان واخوته. واصبح النبي ﷺ ولي هذه العائلة مجتمعة، وولي كل فرد من افرادها، علاوة على ولايته ورئاسته لكل مواطني يثرب. والمهم ان المهاجرين بايعوه على أنه وليهم وإمامهم وقائدهم وانهم ملتزمون بطاعته، وأول دليل على هذه الطاعة، هو انهم نفذوا أوامره وتركوا الأهل والمال والوطن تنفيذا لأوامره.

ويلاحظ ان النبي ولي المؤمنين قد اعطى توجيهات لنفر من الذين آمنوا معه. هذا النفر عمل بهذه التوجيهات. هذا النفر الذين نفذوا أوامر النبي ووطدوا له، وكانوا عضده وناصحين له في غيبته، وكانوا قنوات اتصاله مع الناس[2]

---

(1) راجع الطبقات لابن سعد جـ1 ص216 ـ 227 والطبري جـ2 ص233 وما فوق والسيرة الحلبية ص282 ـ 297 جـ1 والحاشية.

(2) راجع الطبقات لابن سعد جـ1 ص216 ـ 221 وتاريخ الطبري جـ2 ص233 ـ 249 والسيرة الحلبية جـ1 ص282 ـ 297.

— العقد الاجتماعي :

الـذين آمنـوا بمحمـد من أهـل مكـة ، اختاروه وآمنوا به ورضوا به ولياً بمحض ارادتهم واختيارهم وبدون اكراه .

والذين آمنوا بمحمد من أهل يثرب اختاروه ولياً لهم وآمنوا به بمحض ارادتهم وبغير اكراه .

هذا الـولي اتفق مع الـذين آمنـوا به من أهـل يثرب على ان يهاجر إليهم ، وان يكون وليهم وإمامهم وقائدهم وبايعوه على ذلك بغير اكراه .

كذلك فان هذا الولي طلب من الذين آمنوا ان يهاجروا إلى المدينة وان ينفصلوا عن مجتمعهم الكافر ليشكلوا مجتمعا ايمانيا جديدا مع اخوانهم الأنصار في يثرب .

هاجر المؤمنون من أهل مكة كاخوة تمت بينهم عملية المؤاخاة قبل الهجرة .

بوصول هؤلاء المهاجرين استقبلهم اخوتهم الأنصار وتمت بينهم عملية مؤاخاة .

فالـرابطـة الحقيقيـة بينهم هي رابطة الايمان . المهاجرون والأنصار هم شعب الدولة الإسلامية الاصليين ، اتفقوا مع الرسول على انْ يطيعوه وان يطبقوا قوانينه التي ذكرت في البيعة أو التي لم تذكر ولكنها فهمت ضمنيا .

قادة المهاجرين والأنصار كانوا يتصرفون بتخويل من تجمعاتهم تصرف حكومة فعلية مؤقتة في غياب الرسول وحضوره .

الطـرفـان اشتركا معه بترتيب أمر الهجرة وبايعوه البيعة الخاصة بحضور القرابة الطاهرة ورضوا به اماما لهم ولياً لأمرهم ورئيسا لدولتهم باتفاق ومبايعة أو معاقدة .

وهكذا تكون بالفعل ما يمكن ان نسميه بالعقد الاجتماعي لا خيالا كما تصور روسو انما حقيقة .

— محاولة اجهاض قيام الدولة بقتل رئيسها :

لقـد علمت قريش بالبيعـة الخـاصـة أو التعـاقـد الـذي تمّ بين محمـد وبين الأنصار . وعلمت بعزم النبي على الهجرة واعلان دولته .

اذ استطاعت مقاومة مكة ان تحاصر الدعوة محليا، فقد فشلت بمحاصرة الدعوة ووقف نشاطها خارج مكة.

فاذا استطاع محمد ان ينشر دعوته رغم القيود التي فرضوها عليه، فكيف اذا تحرر واصبح سيد يثرب وحاكمها المطاع. عندئذ سيحطم مجدهم ويزلزل الأرض من تحتهم إذاً لم يبق غير القتل طريقا للخلاص.

ولكن ليكن قتلا بلا ويلات ولا حل سوى ان تشترك كل قبائل قريش وبطونها بقتله، فيتوزع دمه بين البطون ولا يقوى الهاشميون والمطلبيون على المطالبة بدمه لأنه لا طاقة لهم بعداء الجميع.

وقد ارتاحوا إلى الحل، واختاروا من كل قبيلة رجلا حتى اذا دخل محمد بيته ليلة الهجرة احاطوا به احاطة السوار بالمعصم لينتظروا خروجه، ثم ينقضوا عليه ويضربوه ضربة رجل واحد.

حتى اذا وقف النجم وقفة الحيران، كما يقول شاعرهم، ولم يخرج محمدا بدأت الشكوك تساورهم، وكم دهشوا عندما علموا ان عليا هو النائم بفراش محمد ليفديه بنفسه.

ان هذا لأمر عجاب، لقد دخل البيت امام اعينهم، واقاموا بعد دخوله مباشرة حلقة محكمة حول البيت، كيف خرج الرجل؟

حبذا لو افترصوها وأعملوا عقولهم ذهلت قريش عندما عرفت بما جرى، واعلنت الجوائز لمن يلقي القبض على محمد حياً أو ميتاً[1].

وبالجانب الآخر، كان محمد يشق طريقه إلى يثرب، عاصمة الدولة الجديدة، منشرح الصدر ومع دليل مشرك هو ابن اريقط[2].

— البيعة العامة واعلان الدولة:

قلنا ان وفود الأنصار جاءت وبايعت الرسول ﷺ بالعقبة البيعة الخاصة.

(١-٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٣٨ وراجع ص٢٢٧ - ٢٢٨ جـ١ من الطبقات لابن سعد وجـ٢ ص٢٤ من السيرة الحلبية وص٢٤٣ - ٢٤٤ جـ٢ من تاريخ الطبري وص٢٤٣ - ٢٤٤ من السيرة الحلبيةوص٣٠٥ - ٣٠٨ جـ١ من السيرة الحلبية.

وتـربطهم مع ربـاط الأيمـان وشـائـج القـربى ، آخى الـرسـول بين المهـاجرين قبل سفـرهم ، فتكـونت بينهم رابطـة الأخـوة الأيمـانيـة مع رابطـة الولاء للنبي ﷺ. وأمر الرسول بالرحيل إلى اقليم الدولة .

تعاون الأنصار مع المهاجرين وخلقوا رأياً عاماً من المسلم والمشرك واليهودي يقبل بزعامة النبي(٣) .

كبار المهاجرين وكبار الأنصار حضروا العامة من المسلمين والعامة من غيرهم لاعطـاء البيعـة العـامـة للرسـول ﷺ. حتى اذا دخـل الـرسول يثرب ، بدأت الأيدي تصافحه وتبايعه نبياً ورئيسـاً للمسلمين ، ورئيسـاً لغير المسلمين ، باستفتاء عفوي بدءا من عبدالله بن ابي زعيم المنافقين وانتهاء بزعامة الأوس والخزرج وزعماء المهاجرين وعامة الأنصار وعامة المهاجرين ، وعامة اتباع الديانات الأخرى .

يحفونه بقلوب طافحة بالشوق بدون اكراه . تلك هي الهيبة التي صنعها الله من خلال الخاصة(٤) .

وهكذا تأكدت الحقائق التالية :

١ ـ ان رسول الله نبي ورسول إلى كافة الناس .
٢ ـ ان رسول الله إمام مسمى من الله ، وولي للذين آمنوا أو رئيس لدولتهم .
٣ ـ ان كبـار الأنصـار والمهـاجـرين بايعوه البيعة الخاصة ورضوا بتسمية الله له إماما ووليا للمؤمنين .
٤ ـ ان هؤلاء الكبـار هيأوا المجتمـع اليثـربي لتقبـل النبي كرئيس وولي للذين آمنوا منهم وكنبي أيضاً . وكرئيس للذين لم يؤمنوا منهم .
٥ ـ ان جميـع سكـان يثـرب عبـروا عن تأييدهم له والتفافهم حوله ورضاهم برئاسته ووقعـوا على عقـد معـه(٥) . قبلوا به رئيساً ومرجعاً لحل خلافاتهم وبالتالي بايعوه بيعة عامة بغير اكراه .

---

(١) راجع ص٢٣٨ جـ١ من الطبقات لابن سعد .
(٢) حتى ان عبدالله بن أبيّ دعاه ليكون في ضيافته قولاً واحداً بلا اختلاف .
(٣) راجـع سيـرة ابن هشـام ص٥٠١ جـ١ وراجـع مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميدالله ص١٥ وما

الفصل الثاني

— وهكذا تكونت كل عناصر الدولة:

١ ـ الإمام وهو رسول الله وأهل شوراه أو حكومته الفعلية.
٢ ـ الاقليم وهو يثرب.
٣ ـ الشعب وهم الذين آمنوا بشقيهم المهاجرين والأنصار وأهل الديانات الأخرى من سكان يثرب.

— الشعب:

من خلال البيعة العامة، تكون شعب الدولة الإسلامية الأولى من:

١ ـ المسلمين وهم أمة من دون الناس ويتألفون من:
أ ـ المهاجرين.
ب ـ الأنصار، الأوس والخزرج ومواليهم.

٢ ـ اليهود المتحالفون مع قبائل الأوس والخزرج وهم: يهود بني النجار، يهود بني الحارث، يهود بني ساعده، يهود بني جشم، يهود بني الأوس، يهود بني ثعلبه.
٣ ـ اليهود خارج المدينة ممن حولها.
٤ ـ من بقي على الشرك من الاعراب المتواجدين داخل المدينة وخارجها[1].

بعدها وراجع فقه السنة لسيد سابق آخر المجلد رقم ٢ وراجع الرسول العربي وفن الحرب عند العرب لمصطفى طلاس فقد أشار لهذه الاتفاقية ونقلها عن ابن اسحق وراجع نظام الحكم للقاسمي ص٣١.

(١) راجع السيرة الحلبية جـ١ ص٣٢٥ ـ ٣٣٤ والطبقات لابن سعد جـ١ ص٢٣٤ ـ ٢٣٨ وتاريخ الطبري جـ٢ ص٢٥٤ ـ ٢٥٧ راجع الاتفاقية المبرمة بين الرسول ﷺ وفئات مكة تجدها في آخر المجلد الثاني من فقه السنة لسيد سابق وص٣١ من نظام الحكم للقاسمي وص١٥ من الوثائق السياسية لمحمد حميدالله وقد أشار إليها السيد مصطفى طلاس في كتابه الرسول العربي وفن الحرب عند العرب.

— تنظيم الشعب والسلطة :

— المؤاخاة :

كان الرسول قد آخى بين المهاجرين قبل الهجرة . وباجتماع شمل المسلمين جميعا في يثرب آخى بين المهاجرين والأنصار اخوة حقيقية ، حتى ان الرجل المسلم من الأنصار كان يطلق زوجته الثانية بمحض اختياره ليتزوجها المسلم المهاجر الذي لا زوجة له[1] .

— اعلان الصحيفة :

اقوال الرسول وافعاله وتقريراته شرع بنص القرآن الكريم ، وهي المصدر الثاني من مصادر النظام السياسي الإسلامي .

والمسلمون يعرفون القواعد الشرعية ويرتبطون مع الرسول دائماً ويجتمعون معه خمس مرات في اليوم أو مرة واحدة في الأسبوع على الأقل .

أما العناصر الأخرى التي يتكون منها مجتمع الدولة الإسلامية والتي لا تدين بالإسلام فهي لا تعرف الحلال من الحرام ولا المحظور من المباح . فوضع الرسول ﷺ صحيفة تنظيمية بمثابة ملحق دستوري تنظم العلاقات بين افراد المجتمع الجديد وتنظم العلاقات بين فئاته ليعرفوا حدودهم فلا يتجاوزوها ، ولتتكرس فكرة سيادة الشريعة الإسلامية على الأمة المسلمة .

— تكييف الصحيفة :

هي عبارة عن كتاب من محمد النبي للمؤمنين ، وهي عبارة عن ملحق دستوري لكافة حقوق فئات المجتمع اليثربي ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم .

— الخطوط العريضة لهذه الصحيفة التنظيمية :

١ ـ المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم أمة من دون الناس .

٢ ـ قريش عدوة للمجتمع اليثربي لا تجار ابدا .

(١) راجع . . . .

٣ ـ يشترك اليهود بالنفقات الحربية ويقتسمون الغنائم .

٤ ـ يثرب للجميع وهي محرمة لا يقطع شجرها ولا يقتل طيرها ولا يروع ساكنها .

٥ ـ دين الدولة الإسلام ورئيس الدولة هو محمد رسول الله وهو مصدر الصحيفة وهو المختص بفصل النزاعات التي تنشأ في المجتمع اليثربي .

٦ ـ المجرم عدو للمجتمع لا يجوز ايواؤه ، والقاتل يقتل ويتعاون الجميع على تنفيذ الحكم ولو كان ابن احدهم .

٧ ـ الجريمة شخصية والمجتمع كله ضد البغي .

٨ ـ جار الانسان كنفسه لا يضار .

٩ ـ المجتمع مع المظلوم ضد الظالم .

١٠ ـ لا تجار المرأة إلا باذن أهلها .

١١ ـ من خرج من المدينة فهو آمن ومن قعد في بيته فهو آمن .

١٢ ـ وحتى يضمن الأمن لليهود لا يجوز لأي يهودي ان يخرج من المدينة إلا باذن محمد .

١٣ ـ على المسلمين سداد دين الغارم منهم .

١٤ ـ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

١٥ ـ يهود بني عون أمه مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، وكذلك يهود بني الحارث وبني النجار وبني ساعده وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبة وبطانتهم ، الجميع كأنفسهم ولا يخرج منهم احد إلا باذن محمد .

١٦ ـ الله ومحمد جار لمن بر واتقى ومن ظلم فلا أمن له .

— هذه الصحيفة تتكون من ٤٧ مادة :

المادة ٢٣ تكرس بوضوح شريعة الدولة الإسلامية وتكرس بوضوح رئاسة محمد للدولة واختصاصه بفصل الخصومات[١] .

---

(١) راجع سيرة ابن هشام جـ١ ص٥٠١ وراجع فقه السنة آخر مجلد ٢ للسيد سابق وراجع الوثائق السياسية محمد حميدالله ص١٥ وما بعدها وراجع ص٣١ من نظام الحكم للقاسمي وقد ذكر مصطفى طلاس في كتابه الرسول العربي وفن الحرب عند العرب نقلاً عن ابن اسحق .

الفصل الثالث

— منهج الرسول بتوطيد اركان الدولة وتوسيع رقعتها:

١ - مبدأ الكلمة الطيبة المسلحة بالقوة: رتب الرسول ﷺ أمور اتباعه في المدينة المنورة وجعلهم أمة من دون الناس وانتزع موافقة سكان المدينة المشرك والكافر واليهودي والمسلم بان محمداً هو الحاكم، والحكم، وبعد ذلك واجه المرحلة اللاحقة وهي اخضاع زعامة مكة تمهيدا لاخضاع الجزيرة كلها للحق.

فحاول ان يجمع كل الذين آمنوا به في المدينة ليشكل منهم ذراعا قويا حتى اصبحت الهجرة عنوان الايمان. وقد ركز الجزء الاعظم من جهوده بالضغط على زعامة مكة، فبدأ بمحاصرتها اقتصاديا، وجعل طرقها التجارية غير آمنة، وقاده هذا الأسلوب الى المواجهة المسلحة، لأن التجارة عصب الحياة في مكة.

وما زال يلاحق مكة ويضيق عليها الخناق حتى اضطرت زعامتها صاغرة ان تعقد معه معاهدة صلح الحديبية اعترفت به ككيان مستقل واعطت الحرية للعرب بان يتحدوا مع محمد ان شاؤ وا او يتحدوا معها، وما زال محمد يلاحقها حتى ركعت واسلمت قيادتها له.

٢ - موادعة القبائل التي تريد موادعته.

٣ - معاقبة الخائنين والناكثين لعهده.

٥ - قتل الذين لا علاج لهم إلا القتل.

٦ - وعندما تحول إلى ذراع قوي وطبقت سمعته الأفاق بدأ بالكتابة إلى ملوك الأرض ورؤ ساء الدول وشيوخ القبائل يدعوهم إلى الإسلام. وبدأ يقطف ثمرة هذا، فجاءته الوفود لتعلن اسلامها على يد محمد القوي ومحمد النبي، إذ هابته الجزيرة كلها واخذت الدول تحسب الف حساب لكل حركاته.

٧ - وخلال ذلك كانت دعوته بالهداية الربانية مرافقة وموافقة لكل تحركاته العسكرية وتجد ذلك مفصلا في كتب السيرة.

٨ - لم تتوقف قط تحركاته العسكرية، فكانت سراياه تجوب المنطقة ليل نهار تحسبا

من هجوم مفاجيء وترصدا لتحركات اعداء الدولة[٦].

١ ـ التركيز على الطرق التجارية لزعامة مكة ومحاولة السيطرة عليها:

لأن التجارة عصب الحياة في مكة. فاذا شعرت زعامة مكة ان تجارتها تحت رحمة محمد، فقد تلين وتخلي بينه وبين العرب، وقد تتوقف عن استغلال مكة والبيت الحرام في معاداة محمد. وقد تسلم، وبإسلامها تدين الجزيرة كلها بدين الحق.

وتحقيقاً لهذا الهدف خرج في غزوة الابواء بنفسه ليعترض عير قريش[١].

ولنفس الغاية قاد حملة بواط لاعتراض عير قريش، وكان يقودها أمية بن خلف ومعه مئة رجل[٢].

ولنفس الغاية خرج في غزوة ذي العشيرة لاعتراض عير قريش، ولكن القافلة نجت، وهي نفس القافلة التي اعترضها الرسول ولم يتمكن منها قبل معركة بدر[٣].

ولنفس الغاية ارسل عبدالله بن جحش في سرية لرصد عير قريش وتحركوا إلى قرب مكة[٤].

ولهذا السبب وحرصا على القافلة، خرجت زعامة مكة لتحمي تجارتها، والتقت برسول الله في بدر، ودارت أول معركة في التاريخ بين زعامة مكة الكافرة وبين زعامة المدينة المنورة المؤمنة.

فمرغ محمد الكافرين بأوحال الهزيمة وقتل منهم سبعين رجلاً، واسر مثلهم. وكردة فعل لهذه المعركة جرت معركة أُحد[٥].

وفي غزوة الخندق جمعت قريش اعدادا هائلة بتحريض يهودي، وهاجموا

---

(١) راجع على سبيل المثال السيرة الحلبية جـ٢ ص١٢٥ ـ ٣٣١ وراجع ص٥ـ١٦٥ من الطبقات لابن سعد جـ٢.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٩.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١.

(٥) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٠.

(٦) راجع الطبقات لابن سعد جـ؟ ص٣٦ـ٤٩ وص١١ـ٢٧.

المدينة، فحفر الرسول حولها خندقا. ورد الله كيد قريش وهزم احزابها[٦].

وفي غزوة لحيان تعمد الرسول ان تسمع به قريش ليذعرها[٧]. ومثل ذلك سرية زيد بن حارثة لاعتراض عير قريش، اذ اخذوا القافلة واسروا جزءا من حرس العير.

وقد حاول الرسول ان يؤدي العمرة، وان يتيح لقريش الفرصة لترى قوته وتراجع حساباتها، ولكن قريش منعته وعقدت معه اتفاقا يعود بموجبه في العام القادم، واعترفت بوجوده واباحت لمن يريد ان يتعاهد معه من العرب، وهذا انجاز عظيم[٨].

وفي غزوة خيبر دانت للرسول خيبر بكل خيراتها[٩].

اعتمر الرسول ودخل مكة وخرجت قريش منها، وطاف هو واصحابه الالفان، وأقام الرسول ثلاثة ايام في مكة.

— عام الفتح:

واخيرا، وبمنتهى السرية، جمع الرسول عشرة آلاف مقاتل واحاط بمكة، وارسل مجموعات إلى اكابر الالهة، فأرسل خالد بن الوليد إلى العزى ليهدمها، وعمرو بن العاص إلى سواع[١٠]، وسعد بن زيد ارسل إلى منات[١١]، وبانتهاء غزوة حنين دوخ الجزيرة كلها وأسلمت الطائف امورها في النهاية، وتم نصر الله[١٢].

٢ ـ تشتيت شمل القبائل التي تحاول غزوه ومهاجمتها قبل ان تقوم بالغزو «الحرب الوقائية»

كما فعل في غزوة قرقرة الكدر اذ بلغه ان جمعا من بني ثعلبة ومحارب قد تجمعوا، يريدون ان يصيبوا اطراف المدينة. فقاد ﷺ حملة بنفسه فيها ٤٥٠ رجلاً

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٦٥-٦٦.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٧٩

(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٩٥-١٠٦.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٠٦-١١٦.

(٥) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٤٦

(٦) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٤٧

(٧) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٤٩

واخبر الرسول انهم لن يلاقوا اذا سمعوا عيره، ولم يلاق رسول الله احد[1].

ومثل ذلك قاد الرسول حملة عندما بلغه تجمع بني سليم. اذ خرج بثلاثمئة رجل فتفرقوا لما سمعوا بمقدمه[2].

ومثل ذلك سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي التي ارسلها الرسول عندما بلغه ان طليحة ومسلمة بن خويلد قد سارا في قومهما يدعوان إلى حرب الرسول، فأرسل الرسول حملة قوامها ١٥٠ رجلاً وامر بمباغتتهم وشتت شملهم[3].

ومثل ذلك غزوة ذات الرقاع التي قادها الرسول لارهاب جموع انمار وثعلبة، فخرج بسبعمئة رجل، فتفرقوا لما سمعوا بمقدمه ولم يجد غير النسوة وهربت الاعراب[4].

ومثل ذلك غزوة دومة الجندل إذ بلغه ان بدومة الجندل جمع كبير، وانهم يريدون ان يهاجموا المدينة، ففاجأهم وشتت شملهم وهربوا[5].

ومثل ذلك غزوة المريسيع، إذ بلغه ان بمصطلق من خزاعة يجمعون الجموع وعلى رأسهم الحارث بن أبي ضرار لمحاربة الرسول، فردعهم الرسول وادبهم[6].

ومثل ذلك سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء وهي بطن من بني بكر، فسار ليلاً وكمن نهارا حتى غافلهم فشتت شملهم واستاق نعما وشاه[7].

ومثله سرية عكاشه بن محصن إلى الغمر ومحمد بن مسلمة إلى ذى القصة أيضاً بني محارب وثقله[8].

وسرية زيد بن حارثة إلى بني سليم[9].

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٣٤-٣٥.
(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٣٥-٣٦.
(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٥.
(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٦١.
(٥) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٦٢.
(٦) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٦٣-٦٤.
(٧) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٧٨.
(٨) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨٤-٨٥.
(٩) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨٦.

وسرية زيد بن حارثة إلى بني ثعلبة[1].

وسرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك لتشتيت شمل جمعهم الذي يريدون ان يمدوا به يهود خيبر، فشتت علي جمعهم وهربوا[2].

ومثل ذلك سرية عمر بن الخطاب إلى هوازن، فلما سمعوا بمجيئه تفرقوا وهربوا[3].

وسرية عبدالله بن رواحه لاسير بن زارم في غطفان فاحتال عليه عبدالله بن رواحه وقتل اصحابه ولم يصب من المسلمين احد وتشتت جمعهم[4].

ومثله سرية أبي بكر إلى بني كلاب في نجد[5].

وسرية عبدالله الليثي إلى بني عواد وبني عبد بن ثعلبة[6].

وسرية بشير بن سعد الأنصاري إلى عين اجبا لتشتيت جمع من غطفان واعدوا عيينه بن حصن ليكونوا حربا على الرسول[7].

ومثله سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سليم، واخفق بن أبي العوجاء لعدم المفاجأة[8].

ومثلها سرية بني الملوح[9].

ومثلها السرية التي ارسلت إلى هوازن[10].

ومثلها غزوة ذات السلاسل لتشتيت جمع قضاعه[11].

---

(1) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨٧.
(2) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨٩ـ٩٠.
(3) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١١٧.
(4) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٩٢.
(5) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ض١١٧.
(6) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١١٩.
(7) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٢٠.
(8) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٢٣.
(9) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٢٥.
(10) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٣٠.
(11) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٣١.

ومثلها سرية بن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى غطفان بمنطقة نجد [1].
وسرية عيينه بن حصن إلى بني تميم، اذ فاجأهم وشتت شملهم [2].
وسرية قطبة بن عامر بن حديده إلى خثعم [3].
وسرية علقمة بن مجزز إلى الاحباش في جده[4].
وسرية الضحاك بن سفيان إلى كلاب [5].

٣ ـ معاقبة الخائنين والناكثين لعهده ﷺ:

كما فعل مع بني قينقاع، اذ غدروا به في وقعة بدر واظهروا الحسد، فهاجمهم الرسول واخذ اموالهم وجلاهم إلى اذرعات، وكان الرسول يرى قتل مقاتليهم.

فما زال عبدالله بن أبي يكلمه ويلح عليه حتى قال الرسول: «خلوهم لعنه الله ولعنهم» [6].

وكما فعل مع بني النضير، اذ نقضوا العهد وهموا ان يقتلوا الرسول، فأرسل إليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلادي بسبب غدركم، وامهلهم عشرا وحرضهم بن أبي ان لا يخرجوا فرفضوا الخروج، فحاصرهم الرسول، وبعد الحصار الذي استمر خمسة عشر يوما، رضوا بالخروج بما حملت الابل إلا الحلقة[7].

وكما فعل ببني قريظة: اذ همت بغدر الرسول والتحالف مع قريش يوم زحفت الاحزاب واتفقت قريظة ان تطعن المسلمين من ظهورهم، فحاصرهم الرسول بعد جلاء الاحزاب حتى سلموا فحكم فيه سعد بن معاذ على اختيارهم.

فحكم سعد بأن يقتل من جرت عليه المراسي وتسبى النساء والذرية وتقسم الاموال[8].

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٣٢.
(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٦٠.
(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٦٢.
(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٦٣.
(٥) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٦٣.
(٦) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٢٨ـ٢٩.
(٧) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٥٧ـ٥٨.
(٨) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٧٤ـ٧٥.

ومثله غزوة بني لحيان: اذ وجد الرسول على عاصمة بن ثابت واصحابه وسار إلى بني لحيان الذين غدروا بأصحابه، فلما سمعوا بمسيره، هربوا إلى الجبال، وبنو لحيان كانوا بناحية عسفان[1].

وسرية زيد بن حارثه لمعاقبة الهنيدي بن عارض وابنه من بني جذام لاعتراضهم دحية الكلبي اذ اغار عليهم وشتت شملهم وقتل منهم[2].

ومثله معاقبة الذين اعترضوا زيد بن حارثه اثناء سفره إلى الشام بتجارة وهم من بني بدر، فأرسل الرسول زيدا نفسه فصبحهم ونكل بهم[3].

ومثل ذلك النفر الذين قدموا من عرفيه واسلموا ثم قتلوا مسلما، فأرسل الرسول في إثرهم سرية، فقطع الرسول ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم[4].
ومنها سرية مؤته، لمعاقبة قتلة الحارث بن عمير وهم من بني غسان[5].

٤ - موادعة القبائل الواقعة بينه وبين مكة ومحاولة هدايتها للإسلام:

كما فعل مع بني ضمره، إذ اتفق مع سيدهم مخشي بن عمرو الضمري ان لا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعا، ولا يعينوا عدوا، وتعهد الرسول ان لا يغزوهم[6].

وسرية عبدالرحمن بن عوف، ارسله إلى كلب بدومة الجندل وقال له: ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم. فمكث عندهم واسلم عدد كبير منهم[7].

ومثلها سرية الخبط بقيادة أبي عبيدة إلى حي من جهينه مما يلي ساحل البحر[7].

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٧٨-٧٩.
(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨٨.
(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٩٠.
(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٩٣.
(٥) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٢٨
(٦) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨.
(٧) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨٩.
(٨) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص١٣٢.

٥ ـ قتل الذين لا علاج معهم غير القتل:

مثلما فعله مع عصماء بنت مروان من بني أمية كانت تجيد الشعر وتعيب على الإسلام وتؤذي النبي وتحرض عليه، فذهب إليها عمير بن عدي وقتلها[١].

ومثله مقتل أبي عفك اليهودي الذي كان يحرض على الرسول ويقول الشعر، فعلم به سالم بن عمير ونذر ليقتلنه[٢].

ومثله كعب بن الاشرف اليهودي، الرجل الشاعر الذي كان يهجو النبي واصحابه ويحرض عليهم ويؤذيه، فلما كانت وقعة بدر خرج إلى مكة وبكى قتلاها، وحرض قريشا بالشعر فقال الرسول: من لي بابن الاشرف، فقال محمد بن مسلمة انا به يا رسول الله وانا اقتله. قال الرسول، افعل، فذهب ومعه نفر من المسلمين فقتلوه[٣].

ومثل ذلك عبدالله بن انيس لقتل سفيان بن خالد الهذلي أو اللحياني الذي كان يجمع الجموع لحرب الرسول، فقتله واخذ رأسه معه[٤].

وكما فعلت مجموعة عبدالله بن عتيك بأبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري بخيبر، اذ اجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب وجعل لهم الحقل العظيم لحرب رسول الله، فبعث إليه الرسول عبدالله بن عتيك ومعه نفر وامرهم بقتله[٥].

أرسل أبوسفيان رجلاً ليغتال الرسول، فنجا الرسول، وقام الرسول بالرد على ذلك بارسال رجل ليغتال أباسفيان ولكن أباسفيان قد نجا[٦].

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٢٧.
(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٢٨.
(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٣١-٣٢.
(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٥٠-٥١.
(٥) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٩١.
(٦) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٩٤.

٦ ـ **معاقبة من يعتدي عليه:**

كما فعل عندما قاد حملة لمعاقبة كرز بن جابر النهري، الذي اغار على سرح المدينة فاستاقه وتعقبه الرسول حتى وادي بدر ولكنه لم يدرك كرز[1].

بعد معركة بدر حلف أبوسفيان ان يثأر من محمد قبل ان يغتسل، فجاء المدينة وقتل رجلاً من الأنصار واجيرا، واحرق ابياتا وتبنا، فلحقه الرسول في حملة السويق ومعه مئتا رجل، ولكنه لم يدرك أباسفيان[2].

ومثله غزوة الغابة: اذ قادها الرسول لينتقم من عيينه بن حصن الذي هاجم ضاحية الغابة وقتل ابن ابي ذر، وما زال يلاحقه حتى قتل منهم اناسا، منهم حبيب بن عيينه بن حصن[3].

ومثل ذلك سرية غالب بن عبدالله التي ارسلها إلى مصاب اصحاب بشير بن سعد فصبحهم.

٧ ـ وقد يقصد الرسول بمنهجه احيانا رفع الروح المعنوية واجبار العدو على التفكير بردة فعله:

كما حدث في غزوة حمراء الاسد، اذ باليوم التالي لعودته من أحد، وجيشه منهزم أمر بالاستعداد والتجهيز لملاحقة قريش. ولحق بها، واوقد المسلمون ٥٠٠ نار ولم يحدث صدام.

لكن الغزوة كانت تعبر عن عبقرية قيادية منقطعة النظير، فقد عكر على قريش صفو انتصارها وافقدها زهو هذا الانتصار، واعاد للمسلمين هيبتهم في نظر قريش ونظر سكان المدينة من الديانات الأخرى[4].

قال أبوسفيان بيننا وبينكم بدر الصفراء رسل الحول نلتقي ونقتتل.

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٩.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٣.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٨٠ـ٨١.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٤٨-٤٩.

وبالموعد المحدد كره أبوسفيان الخروج بسبب القحط والجدب . فأرسل من يخذل محمدا واصحابه عن الخروج، فأبى الرسول إلا الخروج، فخرج في ١٥٠٠ رجل، فرجعت قريش عندما سمعت بخروج الرسول ﷺ[١].

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد جـ١ ص٥٩-٦٠.

الفصل الرابع

— مظاهر وجود الدولة الإسلامية الأولى (دولة الرسول):

الـدولـة التي انشأهـا الـرسـول في صدر الإسـلام دولة لا تختلف عن أية دولة بالمعنى الـدسـتوري المعـاصـر، اللهم إلا بكون رئيس الدولة الإسلامية الأولى نبي ورئيس أي دولة أخرى شخص عادي.

فعنـاصـر الدولة من سلطة واقليم وشعب، متوفرة في دولة الرسول تماما، وهذا أمر من الوضوح بحيث انه لا يحتاج إلى بيان، ولكن اضطررت ان اوضح مظاهر وجود الدولة الإسلامية الأولى على أثر مناقشة بيني وبين عالم ازهري ينكر وجود هذه الدولة.

فمن مظاهر وجود الدولة الإسلامية الأولى:

١ ـ **امـام الـدولـة أو رئيسـها**: وهو النبي ﷺ اختاره الله نبياً وسماه ولياً، فبايعه خاصة الذين آمنوا به وعامتهم ولي وإمام لهم، التزموا بطاعته واعتبروا ان طاعته كطاعة الله وارضائه ارضاء لله.

كلامه نافذ، واوامره مطاعة، وهو الذي:

أ ـ يعين الولاة على الاقاليم التابعة للدولة ويعزلهم[1].

ب ـ وهو الـذي يقود الجيش بنفسه أو يعين قادته[2].

جـ ـ وهو الذي يفصل المنازعات أو يعين من يفصلها[3].

د ـ وهو الذي يعين نائبا له على العاصمة اذا غادرها[4].

٢ ـ **شريعـة الـدولـة**: أو قانـونها النافذ وهو القرآن الكريـم والسنة المطهرة، بفروعها الثلاث، القول والفعل والتقرير، وقد نظمت هذه الشريعة حقوق الفرد من تاريخ تكوينه كجنين في بطن أمه، حتى وفاته وتسديد ديونه وتوزيع تركته.

(١-٤) راجـع مسـاعـدو الإمـام وأنظـر الـولاة الـذين عينهم الرسول ومات وهم على أقاليمهم وراجع قادته العسكريين في باب مساعدي الإمام وراجع نوابه على المدينة في غيابه تجدها موثقة ومؤكدة.

ونظمت علاقـات الافـراد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، ونظمت علاقات الدولة مع رعاياها، وعلاقات الدولة مع الدول الأخرى ومع الجماعات السياسية التي لم تصل إلى مرحلة الدولة.

٣ ـ السلطـة التنفيـذية والشرع: الإسلام يتمنى على الفرد ان يقوم بواجباته الشرعية وان يتجنب المحظـورات الشـرعية بطريقة طوعية وبحافز وجداني وذهني. ومع هذا، اذا اتى الفـرد أي محظـور شرعـاً، فيعـاقب تمـامـاً كما نص الشرع. وقد اقيمت الحـدود على عدد من الافـراد لارتكـابهم جرائم توجب اقـامة الحدود، وبعد محاكمة عادلة تنفذ العقوبة باشراف الدولة وامرها.

ومن يخالف الشريعة ويخرج على قوانين الدولة، يعاقب سواء كان ذكراً أم أنثى فرداً أم جمـاعـة. ولقـد عوقبت جماعات كانت تعتبر من رعايا الدولة المسلمة، مع انها لا تدين بدين الإسلام.

فبنـو قريظـة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، عقوبوا كجماعات خرجت على قوانين الدولة وبعد محاكمات عادلة، وصدور قرارات قضائية بغض النظر عن الشكليات[١].

والمـرأة المخـزوميـة مثـلا التي سرقت قطعت يدهـا وعـوقبت كمواطنة انتهكت قوانين الدولة وبعد محاكمة عادلة وصدور قرار بالحكم.

٤ ـ تعيين ولاة على المـدينـة (العاصمة): ما غادر الرسول قط عاصمته إلا وقد عين واستخلف نائباً له عليها[٢].

٥ ـ كذلـك فان الـرسـول عين امراءه على الاقاليم يمارسون سلطة الدولة، فكان له أميـر على مكـة، وآخـر على الطائف، وثالث على نجران، ورابع على صنعاء، وخامس على مأرب[٣].

٦ ـ ومن مظاهر وجود الدولة فرض الضرائب على المواطنين وكما هي محددة بالقرآن والسنة، وتعيين الجباة لتحصيل تلك الضرائب، فعدي بن حاتم على صدقات طي ومـالـك بن نويره على صدقات حنظله، وعلي بن أبي طالب أرسل ليجمع

---

(١) راجع منهج الرسول بتوطيد أركان الدولة وتوسيع رقعتها من هذه الدراسة تجد ذلك مفصلاً.

(٢) راجع نوابه على المدينة من باب مساعدي الإمام في الدراسة تجد ذلك موثقاً تماماً.

(٣) راجع الأمراء الذين عينهم الرسول ومات وهم على أقاليمهم من باب مساعدي الإمام.

صدقات نجران وأبوسفيان على صدقات نجران أيضاً[1].
كذلك فقد فرضت ضريبة على أهل الذمة لانهم لا يساهمون بالنفقات الحربية ولا يجوز اجبارهم على الدخول في حروب دينية ليست لديهم قناعة فيها. فالضريبة التي فرضها الإسلام على أهل الذمة ضريبة الدفاع عنهم.

٧ ـ **الجيوش والتحركات العسكرية المنظمة**: فلم تتوقف التحركات العسكرية ولا تجييش الجيوش طوال حياة الرسول كرئيس للدولة. فلقد بلغت غزواته ٩٠ غزوة وسرية كان يعين قادتها أو يقودها بنفسه، وهو يعين من يحمل اللواء. وكانت دورياته وعساكره يجوبون الجزيرة وتتناوش مع اطراف الدولتين الاعظم، ويخضعون سكان الأراضي المفتوحة لحكم الدولة الإسلامية، وكانت جيوشه منظمة. وقد عرفت مجموعة من الاصطلاحات العسكرية مثل حامل الراية، وتقسيم الجيش إلى مقدمة وجنبين وقلب وساقه والوازع الذي يأمر الخيل ويتقدم عليها. واستخدام لفظ المخلفين كتعبير عن القواعد.
وعرفت فكرة المخابرات أو العيون كاستعماله لعمه العباس ليكتب له عن اخبار قريش[2].

٨ ـ **المعاهدات**: مثل معاهدة صلح الحديبية ومعاهدة أهل مقنا.

٩ ـ **المراسلات الدبلوماسية**: مثل رسالته لقيصر أرسلها مع دحيه الكلبي، ورسالته لكسرى أرسلها مع عبدالله بن حذافه، ورسالته لملك الحبشه أرسلها مع عمرو بن اميه الضمرى، ورسالته لمقوقس مصر أرسلها مع حاطب بن بلتعه، ورسالة أمير البحرين أرسلها مع العلاء بن الحضرمي، ورسالة ملك غسان أرسلها مع عمرو بن العاص، ورسالة صاحب اليمامة أرسلها مع سليط بن عمرو العامري[3]

١٠ ـ **عاصمة الدولة**: وهي مدينة يثرب وسميت فيما بعد بالمدينة المنورة وفيها يقيم رئيس الدولة ومساعدوه، واليها تفد الوفود، ومنها كانت تسير الجيوش والبعوث.

---

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٥٢٩ و٥٢٦ و٥٣١ و٤٩٧ وراجع مساعدي الإمام من بحثنا.

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٥٢٩ و٥٢٦ و٥٣١ و٤٩٧.

(٣) راجع السيرة الحلبيةص٥٥ـ٩٠ جـ٣.

زح۱۱ ـ اذاعة الدولة: وهم شعراء الرسول وخطباؤه، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحه[1].

١٢ ـ منفذو الاحكام: كعلي بن أبي طالب والزبير والمقداد وعاصم بن ثابت والضحاك بن سفيان[2].

١٣ ـ مجلس الوزراء: وهم كبار الصحابة والعترة الطاهرة وهم مجلس الشورى أيضاً[3].

١٤ ـ ولاية العهد: وهو علي بن أبي طالب كما اثبتنا[4].

١٥ ـ حرس رئيس الدولة: سعد بن معاذ حرسه ليلة بدر، ومحمد بن مسلمة حرسه ليلة أحد، والزبير بن العوام يوم الحديبية، وأبوايوب الأنصاري ببعض طرق خيبر، وسعد بن أبي وقاص وابن أبي مرثد الغنوي يوم حنين، وبعد نزول آية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ الغى الحرس[5].

١٦ ـ ادارة الاسواق: الحسبه: كان على مكة سعيد بن سعد بن العاص وعلى المدينة عمر بن الخطاب[6].

وهذه أمور لا تقوم بها إلا دولة ومظاهر لا تدل إلا على وجود دولة حقيقية.

---

(١) راجع السيرة الحلبيةجـ٣ ص٣٢٨

(٢) راجع السيرة الحلبيةجـ٣ ص٣٢٧.

(٣) راجع مساعدي الإمام من دراستنا هذه.

(٤) راجع السيرة الحلبيةجـ٣ ص٣٢٧.

(٥) راجع السيرة الحلبيةجـ٣ ص٣٢٧

الباب الثالث

مفهوم الدولة وطبيعتها في النظام السياسي الإسلامي

١ ـ شكل الحكم في النظام السياسي الإسلامي:
٢ ـ مبادىء الحكم في النظام السياسي الإسلامي:
٣ ـ مميزات الشريعة في النظام السياسي الإسلامي كقانون سائد في الدولة:
٤ ـ مصادر قواعد النظام السياسي الإسلامي:

من خلال عرض هذه المواضيع الأربعة وتفرعاتها نستطيع ان نقف على حقيقة مفهوم وطبيعة الدولة في النظام السياسي الإسلامي.

الفصل الأول

١ ـ شكل الحكم في النظام السياسي الإسلامي:

أ ـ ليس نظاماً ملكياً:

نظام الحكم الإسلامي ليس نظاما ملكيا. فالانظمة التي كانت سائدة عند ظهور الاسلام انظمة تسيرها سياسة القهر والغلبة والجبروت، وغايتها استعباد الشعوب واستغلالها من أجل خدمة مصالح الحكم من افراد وطبقات، وابرز مثالين على هذه الانظمة هما الدولتان الأعظم آنذاك، فارس في الشرق وروما في الغرب.

الأولى الكسروية والثانية القيصرية، ويقال لهذه الأنظمة الملك. الفرد فيها يتحكم بمصير أمة يحكمها وفق هواه دون ان يكون خاضعا لقانون يعلو ارادته، طبقة تسود وتتنعم والسواد الاعظم من الناس يعاني الويل والثبور، وتسمى هذه الانظمة عند العرب بالجبرية أو الجبارية، ويقال للحاكم الملك أو الجبار أو العنيد أو المسرف أو المتكبر[١].

وهي تخضع لنظام الوراثة، فرئاسة الدولة تؤول من رئيس لآخر وفق قواعد الوراثة، وينحصر منصب الملك في أسرة معينة أو في ذرية الحاكم لا لشيء إلا لأنه حاكم وغالب، وكل الأنظمة المشابهة لها يمكن ان تدرج في تلك الزمرة بغض النظر عن التسميات، ملك، شاه، قيصر، كسرى، ميكادو، أمير، شيخ، سلطان[٢].

وباقتضاب عبقري يعرف بن خلدون هذه الانظمة من خلال حكمه على ممارستها فيقول: انها حمل للكافة على مقتضى الغرض والشهوة[٣].

هـ ـ منطقياً انطلقت الجيوش الإسلامية لتحرير البشرية من عبودية الملوك وتغيير أنظمة الطاغوت، فهل من الممكن عقلاً ان يخلص الإسلام الناس من ملوك ظالمين ويستبدلهم بملوك جدد.

---

(١) راجع النظريات السياسية في الإسلام د. محمد ضياءالدين الريس ص٩٩.

(٢) السلطات الثلاثة في الدساتير المعاصرة د. سليمان طماوي ص١٥.

(٣) المقدمة لابن خلدون ص١٥٨ و١٦٨.

و ـ ثم ان الملك لقب الهي: قال تعالى: ﴿ملك الناس، إله الناس﴾.
ز ـ ولغة: الملك يعني الحوزة والاختصاص، والأمم لا تحاز عقلاً والملك يعني ضرب الشيء ببعضه ليشتد، ولا خلاف بين أهل المله بأنه لا يجوز التوارث (١).

— ايضاح شبهه:

ورد في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا...﴾

مما يعني جواز النظام الملكي عند النظرة الأولى، وبالتدقيق تجد ان ما يميز النظام الملكي عن غيره ان ابن الملك أو وارثه السياسي هو الذي أصبح ملكاً.

بينما لم يرث ابن طالوت اباه، انما الذي جاء بعده هو داود عليه السلام.

وقد عبر الله عن مسؤ ولية طالوت بالملك لانها لغة مفهومة باصطلاحات العصر آنذاك.

وعندما يعين الله شخصا كولي لفئة مؤمنة به تعالى، فان الله العادل يضع الشخص الملائم والمناسب، فلا يخشى منه ظلما ولا جورا ولا عسفا، وتلك أمور ملازمة للملك.

وبالتالي جلت قدرته يوجب على الفئة المؤمنة ان تكون مع هذا الشخص بظاهرها وباطنها تحت رقابة الله. بينما الملك يطمع بذلك ولكن همه الأوحد ملك الاجساد وطواعيتها.

٢ ـ النظام السياسي الإسلامي ليس نظاما استبدادياً:

في الأنظمة الاستبدادية، ارادة الحاكم هي القانون الفعلي.

فلأنت كسرى ما ترى تحريمه   كان الحرام وما تحل حلالا

ان وجد قانون فهو يخضع لهواه فيعمله ان شاء ويبطله إن شاء.

لا يقيم لحقوق ولا لحريات الانسان وزنا، ظالم لأن شريعته هي الهوى، يعز فئة ويذل أخرى، ويكمم الأفواه.

---

(١) راجع الفصل والنحل جـ٤ ص١٦٧ وراجع المقدمة لابن خلدون ص١٦٩ وراجع ابن الأثير جـ٣ ص١٤٧ و٢١١ و٢٠٩ وجـ٤ ص٥٤ تجد الأمثلة التي سقناها. وراجع مروج الذهب للمسعودي.

وبتعبير ابن خلدون: انه يحمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة[1]. بينما في النظام السياسي الإسلامي، الشريعة مقيدة للامام وللأمة، بل ان الرسول يطبق الشريعة تحت اشراف الله نفسه ويوجهه الله. وآيات القرآن حافلة بتوجيهات الله لرسوله ورسول الله هوولي المؤمنين وحاكمهم سياسياً. وموقف الحاكم من تطبيق الشريعة أوعدم تطبيقها يبين وضعه الايماني.

﴿ون لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون﴾. ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون﴾. ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾.

والأمة آثمة إن رضيت بغير حكم الشرع، وستعاقب بالدنيا بالذل والهوان والتمزق جزاء وفاقا على رضاها. والامام ملزم بالعدل ولوبع اعدائه، والأمة مكلفة بذلك لأن الخطاب للذين آمنوا. ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا﴾.

يقول الرازي في تفسيره: أجمع المفسرون على انه من كان حاكماً وجب عليه ان يحكم بالعدل[2].

والحكم وظيفة الولاة فالخطاب موجه لهم[3].

والنظام الإسلامي نظام يقر المساواة. انظر إلى قوله ﷺ: «انما أهلك الذين كانوا من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد. فوالذي نفسي بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

والنظام السياسي نظام يقوم على الشورى، وهي مفروضة على الرسول وعلى الأئمة من بعده. وقد نزلت آية الشورى بعد معركة أحد بالرغم من النتائج المفجعة التي جرّ لها رأي الاغلبية[4].

---

(١) راجع المقدمة لابن خلدون ص١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) راجع تفسير الرازي جـ٣ ص٣٥٥.

(٣) راجع تفسير البيضاوي ص٧٠.

(٤) راجع تفسير الزمخشري جـ٣ ص١٢٠.

٣ - النظام السياسي الإسلامي ليس نظاما ديموقراطيا :

لا بالمفهوم الديموقراطي عند الاغريق ولا بالمفهوم المعاصر. فالشعب عند اليونان هم طبقة الحكم، بينما الشعب في النظام السياسي الإسلامي هو كل الأمة. والشعب في الأنظمة الديموقراطية يضع قوانينه بنفسه بواسطة ممثليه ولا معقب على ارادته بالأنظمة الديموقراطية الحقة. ومن يدقق يجد أن الديمقراطية نظام طبقي.

بينما في النظام السياسي الإسلامي ارادة الشعب مقيدة بحكم الله ورسوله، لأن الشريعة هي صاحبة السلطان ولا يملك الفرد أو الشعب ان يشرع. والنظام الديموقراطي يحدد مدة الرئيس، بينما في النظام الإسلامي يبقى الامام على رئاسة الدولة ولا ينزله عنها غير الموت.

ثم ان اهداف الديموقراطية الغربية أهداف مادية ترمي لتحقيق سعادة أمة معينة أو شعب معين، بينما في النظام الإسلامي الأهداف الروحية ملازمة تماما للأهداف المادية وغاية النظام تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية معا.

والإسلام يتعالى عن القومية واطارها الضيق ويهتم بالانسانية جمعاء لانها مداه. ﴿وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[١]، ﴿يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا﴾[٢]، ﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾[٣].

فالنظام الديموقراطي هو حمل للكافة على مقتضى النظر العقلي، كما يقول ابن خلدون، وتلك حقيقة دستورية، لأن من خصائص الديموقراطية الغربية، كما يقول الاستاذ حسن الجلبي، انها عقلانية.

بينما النظام السياسي الإسلامي حمل للكافة على مقتضى النظر الشرعي في المصالح الأخروية والدنيوية[٤].

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٨.

(٣) سورة سبأ آية ٢٨.

(٤) راجع المقدمة لابن خلدون ص١٥٨ وما بعد، وراجع الاتجاهات الدستورية في الوطن العربي د. حسن الجلبي.

٤ ـ النظام السياسي الإسلامي ليس نظاما ثيوقراطيا :

بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة وكما طبق في بلاد كثيرة ومنها فرنسا قبل الثورة. فالملك بهذه الانظمة يزعم بأنه يستمد سطانه من الله ، وهذا قول بلا دليل ، فليس لدى الملك شريعة الهية، وليس لدية حجة على ذلك، وهو معرض للخطأ والصواب.

بينما في النظام السياسي الإسلامي ، النبي والولي مرسل من الله ، ويأتيه الوحي ولديه دليله ، وهو رئيس لدولة وهو معصوم عن الخطأ ، وأقام الحجة على ذلك وقد أهل النبي خليفته طوال حياته ووضعه بناء على أمر الله.

ومع هذا فالامام في الإسلام خاضع للشريعة ومقيد بها ومسؤول عن جنايات الانفس والاموال[1].

ثم ان الامام مقيد بالشريعة الواضحة والمعممة على الناس، ويخضع هو لها أيضاً، وهو يدور مع الأمة في افقين متداخلين ويهدفان إلى غاية واحدة وهي تنفيذ احكام الدين المبررة بمصالح العباد طلبا لرضوان الله.

ومن واجب الرعية ان تنصح للامام وتبحث معه وتسأله لأن الأمة حرة ضمن الشرع. بينما في الانظمة الثيوقراطية على عكس ذلك. فسلطة الملوك مستمدة من تفويض الخالق حسب زعمهم، وتنحصر مسؤ وليتهم امام الله عن كيفية استعمال هذه السلطة.

كما يقول لويس الرابع عشر ملك فرنسا. ويقول لويس الخامس عشر في تبريره لقانون (اننا لم نتلق التاج إلا من الله ولنا وحدنا سلطة سن القوانين ولا نخضع في عملنا لأحد)[2].

وحول هذا النظام تتمركز طبقة من رجال الدين والنبلاء واصحاب الحظوة يتنعمون لقاء الموافقة على هذا التصور وتشقى بقية الرعية، وفساد هذا الرأي واضح وغني عن البيان.

---

(١) راجع سنن الكنز وشرحه للزيلقي جـ٣ ص١٨٧.

(٢) راجع المبادىء والنظم السياسية د. محمد كامل ليله ص٢٥٢ ـ ٢٥٣.

٥ ـ النظام السياسي الإسلامي:

تبين لنا انه لم يكن نظام حكم مطلق، ولا نظاما ديموقراطيا على نحو ما عرف عند اليونان، ولا نظاماً ملكياً أو جمهورياً أو قيصرياً على نحو ما عرف عند الرومان.

بل هو نظـام عربي إسـلامي خالص، بين الإسـلام حدوده العـامـة، وهو ليس نظاماً ثيوقراطياً، فهو لم يكن ملكياً ولا دينياً بالمعنى المفهوم.

ولم يكن قيصـريـاً بالمعنى المفهـوم عنـد الـرومان، فلم يكن للجيش دور في اختيار الامام.

هو نظام لم يسبق اليه ولم يقلد[1].

فالنظـام الإسـلامي نظـام فريد في شكله ومضمونه ومتميز ومغاير لكل الانظمة السـابقـة له والـلاحقـة به. فالنظام الذي تضعه البشرية لا يخلو من الثلمات، ثم ان الذين يضعون النظام البشري يجهلون الماضي وتجاربه والمستقبل واحداثه، فيأتي النظام افتراضي لمعالجة اوضاع مفترضة، مما يجعله مع الأيام مناقضاً للواقع وقاصراً على بلوغ الغاية.

بينمـا النظـام الإسـلامي صنع الله، المطلع على ما كان ومـا سيكون، وعلى نزعات فطرة النفس البشرية مما يجعل قواعده ضربة لازبة. ويحقق السعادة للحاكم والمحكـوم معـا، وفي الـدارين، وفي الجـانبين الـروحي والمـادي، وهو مستمد من العقيدة الإسلامية التي جمعت العقائد السابقة على منهج جديد، ورسمت الشريعة الإسلامية تصورات واصولاً فاصلة لكل تصورات المستقبل.

فالأمور التي تتغير أجملت اجمالاً عجيباً، والأمور التي لا تتغير فصلت تفصيلاً دقيقاً.

وفي تجاعيد النظام السياسي الإسلامي نظام عالمي انساني اخلاقي، دنيوي وأخـروي، فيـلاحق الجـاني نفسه بنفسه حيث يقصر سلطان الدولة. وهكذا يتشكل المجتمع العقائدي الذي تحلم به البشرية.

---

(١) راجع الإسـلام عقيـدة وشـريعـة للإمام الأكبر محمود شلتوت ص١٠ـ١٥ وراجع الحق ومدى سلطان الدولة في تفسيره. وراجع الفتنة الكبرى باب عثمان ص٣١ـ٣٢ و٢٢ـ٤٦ للدكتور طه حسين.

وقد شخص الإسلام غايات القواعد الشرعية، فردية كانت أم جماعية، ورسمت نصوص الشريعة وروحها العامة الوسائل المؤدية إلى تلك الغايات بأقرب الطرق وأقل التكاليف.

﴿ واجمال القواعد يتيح للبشرية ان تفكر وتشترك الأمة المؤمنة بصنع وتنفيذ قرارات حياتها السياسية مع الله ومع الشريعة ﴾

والحكومة الإسلامية لا تشبه الاشكال الحكومية المعروفة. فهي ليست حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه، عابثا بأموال الناس ورقابهم، انما هي دستورية ولكن لا بالمعنى الدستوري المتعارف عليه الذي يتمثل في النظام البرلماني والرئاسي أو المجالس الشعبية، وانما هي دستورية بمعنى ان القائمين على الأمر يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المبينة في القرآن والسنة[1].

ويكمن الفرق بين الحكومة الإسلامية والحكومة الملكية منها والجمهورية في ان ممثلي الملك هم الذين يقننون ويشرعون، في حين تنحصر سلطة التشريع بالله عز وجل وليس لأحد أيا كان ان يشرع وليس لأحد أيا كان ان يحكم بما لم ينزل به الله من سلطان. فالحكومة الإسلامية تعني اتباع القانون وتطبيقه[1]

---

(١) راجع الحكومة الإسلامية للإمام آية الله روح الله الخميني ص٤١-٤٥ مجموعة محاضرات ألقاها في النجف الشريف قبل سقوط الشاة.

الفصل الثاني

— مبادىء الحكم في الإسلام: وهي الغايات الشرعية الكبرى للدولة الإسلامية:

المبدأ الأول: اقامة حكم الله في الأرض: النبي سبيل الله، وطواغيت الكفر سبل الضلالة، وباقامة حكم الله في الأرض يتحرر الإنسان من حكم الطبقة التي تشرع، ومن حكم الفرد، ومن تحكم المزاج والغوغائية والافتراض كالمحكوم. لأن القواعد منزلة من عند الله، وتنفيذها تنفيذ لأمر الله والحاكم مكلف كالمحكوم. وواضع القواعد الشرعية أعلم بمصلحة الناس لأن الله يعلم السر واخفى، يعلم الحاضر والمستقبل، كما يعلم الماضي، يعرف ما يترتب على الأفعال في الحال والمال، والرسول يتصرف وفق الوحي الالهي، فمن يطع الرسول يطع الله. وما وضعه الرسول كرئيس للدولة كأنما وضعه الله لأنه بوحيه وهداه.

وإقامة حكم الله هو الذي يفرق مجتمع الكفر عن مجتمع الايمان، مجتمع الكفر يحكم بهواه أو بعقله، ومجتمع الايمان يخضع للشرع الالهي. ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون﴾. ﴿وم لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون﴾. ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون﴾.

المبأد الثاني: تكوين دولة الإيمان المثال: لتكون بسلوكها العملي دعوة عملية لتقليص رقعة الكفر والضلالة، لأن الأرض كلها لا تتسع إلا لدارين، دار الكفر بكل مفاهيمه، ودار الايمان بمفهومه الواضح الوحيد.

دار الكفر منظمة وفق الهوى أو العقل أو هم معا، وتحكمها دول تترجم هذا التنظيم، ودار الأيمان منظمة وفوق الشرعية الإلهية، ودولة الايمان ترجمة لهذا التنظيم.

فاذا طبقت الشريعة الإلهية بدقة يتكون المجتمع المثالي الذي تديره وتسوسه دولة الأيمان المثال وتتحقق النتائج التالية:

أ - **اقامة العدل:** فواجبات الرسول كإمام يمكن ان تجمل بكلمة العدل. قال تعالى: ﴿ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات إلى اهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل﴾. ﴿وقل آمنت بما انزل من كتاب وأمرت لأحكم بينكم﴾. ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا﴾.

والعدل واجب بكل لفظ يلفظه الانسان لأنه مسجل عليه. ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾، ﴿واذا قلتم فاعدوا ولو كان ذا قربى﴾. والعدل والاحسان فرض عين على كل مسلم ومسلمة في مجتمع الدولة الإيمانية. والعدل نقيض الظلم، وما جاء الرسول إلا لرفع الظلم.

ومن لم يحكم بما انزل الله فهو ظالم ﴿ان الظالمين لهم عذاب إليم﴾، ﴿بئس مثوى الظالمين﴾.

ويوم حنين قال ذو الخويصره التميمي: يا محمد قد رأيت اليوم ما صنعت فقال الرسول: كيف رأيت؟ فقال: لم ارك عدلت. فغضب الرسول وقال له: ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون[1].

ويوم حنين قسم الرسول الفيء ولم يعط الأنصار ودهش الأنصار وظنوا الظنون فقال لهم الرسول: يا معشر الأنصار، إلا ترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم؟

ب ـ المساواة: عندما ظهر الإسلام، كانت السيادة وكان الرق، كان العرب وكانت الموالي كان الاقوياء وكان الضعفاء. كان الناس يتفاخرون بالانساب والاحساب وجاء الإسلام ليعلن بوضوح: ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾[2].

وها هو الرسول يقول في حجة الوداع: «كلكم لآدام وآدم من تراب». «لا فضل لعربي على عجمي». «الناس سواسية كأسنان المشط».

ولم تبق الاحاديث قواعد نظرية انما شقت طريقها إلى الواقع العملي طوال حكم الرسول.

عقبة بن عامر كان يقود بغلة الرسول في الاسفار، قال: قدت برسول الله وهو على راحلته رتوة من الليل، فقال لي الرسول انخ، فأنخت. فنزل عن راحلته ثم قال اركب يا عقبة. فقلت سبحان الله، أعلى مركبك يا رسول الله وعلى راحلتك؟ فأمرني فقلت

(١) راجع سيرة ابن هشام ص٤٩٦.

(٢) سورة الحجرات آية ١٣.

أيضاً مثل ذلك، ورددت مرارا حتى خفت ان اعصي رسول الله فركبت راحلته ورحله ثم زجر الناقة فقامت وقادني[1].

المساواة في مستوى المعيشة: كان الرسول يحيا حياته الخاصة كأفقر مسلم حتى انه كان يضع الحجر على بطنه من الجوع وهو إمام الدولة وبيده اموالها ومات ولم يترك درهما ولا دينارا. وهكذا فعل أهل بيته الكرام.

المساواة امام القانون: وهو نفسه ﷺ القائل لأصحابه عندما راجعوه حتى لا يقيم الحد على المرأة المخزومية التي سرقت «والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ونفذ الحكم بالمرأة المخزومية.

جـ ـ الشورى: وهي قضاء للواجب وعلى ولاة الأمور ان لا يمنعوا الناس من اداء هذا الواجب ولم يفترض الله نظام الشورى، ولم يطبقه الرسول لحاجة، فالله ورسوله يملكان الحقّ دائما والصواب دائما، انما فرض نظام الشورى تطييبا لنفوس الناس واشراكا لهم بادارة شؤونهم. وهي مفروضة على رسول الله، فمن باب أولى ان تفرض على الائمة الطاهرين من بعده.

وليست الشورى قواعد فقط، انما طبقت وبدقة زمن الرسول ﷺ.

أ ـ في معركة أُحد كان رأي الرسول ان يبقى في المدينة، وامام رغبة الاكثرية بالخروج خرج[2].

ب ـ وفي معركة بدر لم يقاتل المشركين حتى اشار كل اصحابه الموجودين معه بالقتال.

جـ ـ وعندما انزل الجيش في بدر في موقع، رأى غيره ان هذا الموقع غير ملائم، غيره بناء على مشورة احد اصحابه، وهو الحباب بن المنذر.

د ـ وفي غزوة الاحزاب حفر الخندق بناء على مشورة الصحابي سلمان الفارسي.

هـ ـ وفي غزوة الاحزاب كان ينوي إبرام اتفاقية بينه وبين زعماء غطفان، ينسحبوا من تجمع الاحزاب مقابل جزء من ثمار المدينة، وجلسوا في مجلس العقد،

---

(١) نظام الحكم للقاسمي ص٨٦.

(٢) تاريخ الطبري جـ٢ ص٥٠٣.

وعنـدمـا استشـار السعـدين سعد بن عباده وسعد بن معاذ انفض المجلس ولم يعقد الاتفاقية بناء على مشورة صاحبيه.

د ـ الحـريـة: الحـريـة متاحة لكل مسلم ومسلمة ولكل مواطن في الدولة الإسلامية وبالحدود التي رسمها الشرع. وقد اذن لهم الشرع بتوخي الخير والصواب وترك لهم الحرية ضمن ذلك.

أ ـ الحرية الدينية: (لا اكراه في الدين) اي لا يكره احد على الدخول في الإسلام كما قال ابن الاثير، وسبب نزول هذه الأية ان بعض الصحابة استأذنوا الرسول في اكراه اولاد بني النضير على الإسلام فلم يأذن لهم الرسول بذلك.

والجـاريـة ريحـان كانت ملك الـرسول ورفضت الدخول في الإسلام وبقيت على يهوديتها ولم يكرهها الرسول حتى اسلمت بنفسها[1].

ووفـود رؤسـاء نجران خير مثال على الحرية في الإسلام، فقد دخلوا المسجد على الـرسـول ﷺ وقت الصـلاة، وصلوا إلى المشـرق داخل المسجد فقال الرسول لأصحابه دعوهم[2].

وحـريـة التعبيـر مضمـونـه: انظـر الى قول الخويصرة وانتقاده المرير لرسول الله عند توزيع الغنائم، تابع سيرة عمر واعتراضاته على رسول الله طوال حياته وانظر إلى ابي حذيفـة بن عتبـة يقول للرسول بعد معركة بدر، نقتل آباءنا ونترك بني هاشم والله لئن ظفـرت بالعبـاس لأقتلنـه. فمـا كان جواب رسـول الله إلا ان قال لجليسـه عمـر بن الخطاب: انظر يا ابا حفص يريد ان يقتل عم رسول الله.

ماذا فعل النبي بالذين قالوا اذا مات النبي سننكح نساءه من بعده. ومن شروط صلح الحـديبيـة انـه من اتى محمـدا من قريش دون اذن وليـه رده عليهم، ومن جاء قريش ممن مع محمد لم يردوه[3].

وفي الدساتير المعاصرة حرية التعبير والانتقاد مضمونة ضمن الدستور والقانون.

---

(١) تاريخ الطبري جـ٢ ص٥٩٢.

(٢) راجع سيرة ابن هشام ص٥٧٤ وص٥٥ من نظام الحكم.

(٣) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص١٢١ و١٢٩.

وفي الإسلام كانوا ينتقدون الرسول نفسه بما هو خارج عن الشريعة وبما لا تسمح به الشريعة، ومع هذا لم يتعرضوا لأية عقوبة.

المبدأ الثالث: انقاذ الجنس البشري كله:

قال تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾. ﴿ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾، ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾. ﴿... ويظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

ورسالة الرسول كانت للناس كافة، كما هو ثابت، والرسول يؤكد: «والله ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار وليلقين اجرانه في الأرض». فالدولة الإسلامية كتعبير عن وجود الأمة الإسلامية وعن نظامها السياسي، جسر تعبر منه الهداية إلى كافة اقطار المعمورة، واداة ذلك هي الجهاد في سبيل الله باليد واللسان. والغاية انقاذ الجنس البشري من عبودية الانسان ومن عبودية مظاهر الطبيعة ومن عبودية الطبقات الحاكمة والمفاهيم الخاطئة، ومن عبودية وظلم ائمة الكفر، وبهدف توحيد الجنس البشري وهدايته وتقليص رقعة الكفر. وتلك أمور من صميم الواجبات الدينية المفروضة على الدولة المسلمة والأمة المسلمة.

المبدأ الرابع: الرحمة: وهي باكمال الغاية من الشريعة ومن الرسالة

قال تعالى: ﴿وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. والرحمة ثمرة المصلحة الشرعية وغايتها، وباطارها تنمو الاخوة الاسلامية «انما المؤمنون اخوة». «اصبحتم بنعمته اخوانا». وتلك صلة بين الفرد وبين غيره من فرد أو مجموعة، وباطارها تدخل الولاية والتناصر «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» وهي تقضي التناصر والتناصح بين افراد مجتمع الدولة في جميع شؤون الحياة.

وباطارها تدخل المحبة «لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وهذا قول الرسول ﷺ وهي ثمرة الاخوة، والاخوة ثمرة الايمان. وتلك دوافع طبيعية

يخلقهـا الايمـان في جميـع المجـالات الحيـويـة، وهي التي تخلق التكـافـل بين المؤمنين «والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا».

والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والتعاون على البر والتقوى، ومجانبة الاثم والعـدوان يدخـل في هذا الاطـار، فالفـرد مرتبـط مع الفـرد ومع الجماعة باطار الخير المشترك أو البر أو الصالح العام[1].

ومهمة الدولة ان ترعى السعي للخير المشترك ضمن اطار الإسلام.

---

(١) راجع الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ص٢٢٦ لفتحي الدريني.

الفصل الثالث

شريعة الدولة في النظام السياسي الإسلامي

الشريعة هي القرآن والسنة بفروعها الثلاثة. وهي القانون النافذ في الدولة الإسلامية

مميزات شريعة الدولة تلقي اضواء على مفهوم وطبيعة الدولة. وهذه المميزات هي:

١ ـ **انهـا قانـون عالمي عام** يضـع الحلول الملائمة والمعللة بالتجربة الانسانية عبر الاعصار وبطبيعة التكوين النفسي الانساني وهي غائيّة لتحقيق مقاصد الفطرة السليمة.

وبينما القوانين الوضعية السائدة والبائدة والمعاصرة دوما قوانين شعوبية أو قوميـة أو قاريـة بأحسن احـوالهـا، واذا خلعت عليهـا صفـة العمـوم تبقى قواعد اخـلاقيـة، امكـانيـة تطبيقهـا مرهونة بهوى الاشخاص الخاضعين لها أو الذين وضعـوهـا كقـوانين عصبـة الأمم المتحـدة أو هيئـة الأمم، فضلا عن ذلك فانها تتعـامـل مع الانسـان بطـريقـة غيـر مباشرة وباسلوب فوقي. ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾. ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾. ﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾.

فالـدعـوة الى الخيـر قيمة مطلقة والأمر بالمعروف طريقها وتجسيدا لها. والشهادة رقابة، وتلك معاني تنبو عن الحصر والتقييد.

٢ ـ **انهـا قانـون الهي**: فالقـرآن كلام الله، وسنـة الـرسـول وحي من الله، والرسـول معصـوم وخضـوع الانسـان لهـذا القـانـون ليس خضوعا لطبقة أو لفرد انما هي خضوع لله.

٣ ـ **انهـا قانـون له صبغـة دينيـة**: فاذا طبق، فانه يؤيد بزاجرين، زاجر دنيوي وآخر

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٣) سورة البقرة آية ٤٣.

أخروي، وتنخلق رقابة الضمير على السلوك الانساني.

٤ - انها قانون أبدي بعمر الحياة الانسانية: لانه لا نبي بعد محمد، ولا شريعة بعد شريعته، وهذه الشريعة حددت القيم الانسانية التي لا غنى عنها، واعطت معاني الخير والشر معالم محددة واوصافا حقيقة، وبالتالي شخصت الغايات الكبرى ورسمت روحها العامة وسائل تحقيق تلك الغايات بأقرب الطرق وبأساليب بيانية في غاية البساطة والعجب والشمول. ففصلت ما لا يتغير تفصيلا دقيقاً، يصعب اضافة كلمة واحدة إليه، واجملت ما يتغير.

٥ - انها شريعة للبشر: فلم تتنزل قواعدها لتحكم مجتمعا من الملائكة، انما لحكم البشر بكل ما لدى البشر من قابليات للخير والشر.

تقود النفس لتعطي اقصى ما لديها بيسر، فاذا حاولة النفس الانسانية ان تعطي فوق طاقتها، تتدخل الشريعة فتوقف الانسان، لأن الشيء لا يملك إلا طاقته، فاذا تجاوزها دخل دائرة التهلكة.

وبنفس الوقت تلجم قابليات الشر في النفس الانسانية، فاذا افلتت لم تطلب الشريعة من الانسان ان يركع وان ييأس، وانما تضمد جراحه وتساعده لينهض ويبدأ عملية العطاء. فباب التوبة مفتوح.

مصادر قواعد النظام السياسي الإسلامي:

في الحقيقة لا يوجد مصادر للنظام السياسي الإسلامي إلا مصدر واحد هو القرآن، والمصدر الثاني هو السنة جاءت لبيان المصدر الأول ولتطبيقه عمليا.

ومع هذا فقد درج الفقهاء على تقسيم هذه المصادر إلى نوعين:

١ - مصادر رئيسية.

٢ - مصادر فرعية.

المصادر الرئسية وهي أربعة:

المصدر الأول واساس كل المصادر هو القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم هداية تدلُّ على الله، وتزيل ما لحق بهذه الدلالة من اوضار عبر التاريخ وهي معجزة لرسول الله أوحيت اليه باللفظ تدل على صدق مصدريته. وهو

دليـل محمـد ﷺ، بالنبـوة لان بامكـان أي واحـد ان يزعم بانـه نبي وان يتقول اقوالا ينسبها إلى الله فالقرآن في جانب منه الهداية الإلهية للبشرية يروي بصديق ما مر على البشـريـة، من هم الـذين آمنـوا، ومن هم الـذين كفروا، وماذا كانت عاقبة كل فريق حتى يكـون هذا التـذكـر ينـابيع للذكرى النافعة. والقرآن الكريم يقدم تعليلا للبداية والنهـايـة، ويقـدم بالتالي تصوراً كاملاً للحياة ووسائل دوامها وغاياتها، ويرسم السبل التي تؤدى لتلك الغايات، مما يجعل منه دستورا حقيقيا لحياة كاملة وفاضلة.

ويجعـل منـه مجمـوعة القواعد الشرعية واساس النظام الحقوقي الذي يحكم مجتمع الدولة الإيمانية، وبتعبير ادق ان القرآن وتوابعه عقيدة وشريعة كلما ورد فيه هو قول الله يلقي انوارا على ذاته وصفاته، ويرسم طرق التقريب الى تلك الذات ينسجم الانسـان مع الكـون، ومـع ثنائية المسيرة الكونية، ويدين الكون بالعبودية الولائية لله الحق الخالق.

وقـد نظم هذا القـرآن باسلوب عجيب يشهـد وينطق بكـل غايـاته يشفيهـا ويـرويهـا، ويمـزج فيهـا الحكمة مع الواقع والعقل مع الروح، والجسد مع الوجدان بعجب عجاب شمولي.

هذه المشتملات القرآنية لا بد لها من رجل يعرف اسرارها ويكشف ما غمض منهـا عن الاذهـان لقصورها، ويسهل عملية وضعها تحت تصرف السعادة البشرية أو تحقيق هذه السعـادة. واقتضت حكمـة الله ان يكـون هذا الـرجـل أول رئيس لدولـة الايمان ليوطد اركانها ويطبق قواعد الشريعة على مجتمعها.

هذا الـرجـل هو الـرسـول المـوحى إليه هذا القرآن ليبينه للناس. ﴿الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب﴾.

فالكتاب بلا عبد لا يحقق الغاية، والعبد بلا كتاب كرجل بلا بصر.

فالقـرآن الكـريـم هو المصـدر الأول واصـل كل المصادر الأخرى لنظام الدولة الإسلامية السياسي.

المصـدر الثـاني: البيـان أو السنة وهي ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقـريـر. اقـوالـه هي الاحاديث، وافعاله هي السنن العملية، وتقاريره هي سكوته في معرض الحاجة إلى البيان.

— انواع السنة من حيث الثبوت :

أ ـ المتواترة : وهي التي رواها عن الرسول جمع من الناس يمتنع ان يتفقوا على الكذب عقلا ، كالصلوات وهي قطعية الثبوت .

ب ـ المشهورة : وهي التي رواها عن الرسول صحابي أو اثنان ثم روي بطريق جمع من الناس يمتنع عقلا اتفاقهم على الكذب ، مثل لا يرث القاتل ، وهي قطعية الثبوت برواية الصحابة وليست قطعية عن الرسول .

جـ ـ الاحادية : وهي التي ليست متواترة ولا مشهورة ، وهي ظنية الورود عن الرسول وكل هذه الانواع حجة واجبة الاتباع .

— السند الشرع لحجية اقوال الرسول :

﴿يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله والرسول﴾ . ﴿ومن يطع الرسول فقد اطاع الله﴾ . ﴿وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ .

— المصدر الثالث : وهو الاجماع :

وهو الاتفاق التام بين مجتهدي الأمة الإسلامية جميعا بعد موت الرسول وفي أي عصر من العصور على حكم شرعي .

وغني عن البيان ان الاجماع يجب ان يكون حقيقياً ورضائياً وتاماً ، وهذا ما لم يحدث قط . ومع هذا فالاجماع لا قيمة له اذا وجد النص الشرعي . ولا يكون الاجماع إلا على حكم شرعي ظني ، وعندما يستوفي الاجماع شروطه لصبح حجة في عصره فقط .

السند الشرعي للاجماع : قول الرسول ﷺ : «لا تجتمع امتي على الخطأ» . (لا تجتمع امتي على الضلالة) . (يد الله مع الجماعة) .

— ما معنى المجتهد :

هو الشخص القادر على استنباط حكم شرعي في مسألة معينة .

— ما هي شروط المجتهد :

يصبح الشخص مجتهدا اذا توفرت فيه الشروط التالية :

١ ـ معرفة بآيات الاحكام القرآنية واسباب نهزولها ومراميها.
٢ ـ معرفة الاحاديث المتعلقة بهذه الاحكام ومعرفة اساليب الرجوع إليها.
٣ ـ معرفة اللغة العربية المعرفة التي تؤهله ان يفهم مدلولات النص.
٤ ـ معرفة اصولية للسيرة النبوية ومجريات الاحداث الإسلامية التي ادت لقيام الدولة الإسلامية الاولى.

— **المصدر الرابع: القياس:**

ومعناه استنتاج حكم شرعي لواقعة لا نص عليها من واقعة ورد فيها نص لوحدة علة الحكم.

— **اركان القياس:**

١ ـ الاصل أو المشبه به أو المقيس عليه: وهو ما ورد نص في القرآن والسنة.
٢ ـ الفرع أو المشبه أو المقيس: وهو ما لم يرد عليه حكم شرعي.
٣ ـ الحكم الشرعي: وهو الغاية من عملية القياس.
٤ ـ العلة: وهو الوصف المبني عليه الحكم.

السند الشرعي للقياس: الأيات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم والداعية إلى التبصر.

— **المصادر الفرعية:**

١ ـ **الاستحسان**: وهو العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر لوجه أقوى يقتضي هذا العدول. فالحكم الشرعي معروف بناء على نص أو قياس، ولكن تطبيقه يؤدي لفوات المصلحة.

فالمرأة المطلقة في مرض الموت لا ترث من حيث الظاهر لانتهاء العلاقة الزوجية المعتبرة شرعا سببا للارث، فعدل عن هذا الحكم الظاهر إلى آخر يتلاءم مع غايات الشريعة بدفع الضرر. وهذه نظرية الاحناف.

٢ ـ **المصالح المرسلة**: أي ان يطبق على مسألة من المسائل الحكم الذي تقتضيه المصلحة في حالة انعدام الحكم الشرعي، ويقصد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع من الخلق، وهذا المقصود ضمنا كما يرى الغزالي: المحافظة

على الدين، النفس، العقل، النسل، المال.

٣ - **العرف**: وهو ما اعتاده الناس واستقر في اذهانهم بأنه ملزم وواجب الاتباع، واقره الشرع كبعض الاعراف التي كانت سائدة في الجاهلية، مثل فرض الدية على عشيرة الجاني.

الباب الرابع

الأحزاب السياسية في الإسلام

الفصل الأول

١ ـ موقف النظام السياسي الاسلامي من نظام تعددية الاحزاب:

تعددية الاحزاب في القرآن الكريم:

وردت كلمة الاحزاب في القرآن الكريم عشر مرات وبالنص الموجز التالي:

١ ـ ﴿ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده﴾[١].

٢ ـ ﴿ومن الاحزاب من ينكر بعضه﴾[٢].

٣ ـ ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم﴾[٣].

٤ ـ ﴿وان يأتي الاحزاب يودون لو انهم بادون في الاعراب﴾[٤].

٥ ـ ﴿ولما رأى المؤمنون الاحزاب﴾[٥].

٦ ـ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم﴾[٦].

٧ ـ ﴿وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب﴾[٧].

٨ ـ ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم﴾[٨].

٩ ـ ﴿يحسبون الاحزاب لم يذهبوا﴾[٩].

١٠ ـ ﴿جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب﴾[١٠].

---

(١) سورة هود آية ١٧.

(٢) سورة الرعد آية ٣٦.

(٣) سورة مريم آية ٣٧.

(٤) سورة الأحزاب آية ٢٠.

(٥) سورة ص آية ١١.

(٦) سورة غافر آية ٥.

(٧) سورة غافر آية ٣٠.

(٨) سورة الزخرف آية ٦٥.

(٩) سورة الأحزاب آية ٢٠.

(١٠) سورة الأحزاب آية ٢٢.

— معاني هذه الآيات:

١ ـ الأيات التي تحمل رقما متسلسلاً ٤ و٥ و٩ تشير إلى التجمع العربي اليهودي ضد محمد في غزوة الخندق، هذا التجمع الذي كان هدفه اطفاء نور الله والقضاء على رسوله محمد ﷺ.

وتجمع بشري أو تجمعات بشرية تهدف لاطفاء نور الله لا يمكن ان تكون مشروعة في الإسلام

٢ ـ الآية التي تحمل الرقم ١ تفيد بأن محمدا على بينة من ربه، وكل الذين يقفون ضده هم من الاحزاب سواء أكانوا من مشركي العرب أو من غيرهم. ولأنهم لا يوجد بينهم رباط مشترك أو فكر مشترك، لذلك سموا أحزابا، فمصير من يكذب محمدا منهم بالنار.

٣ ـ الآية التي تحمل الرقم ٢ تنوه بالذين آمنوا مع محمد من العرب ومن بني اسرائيل وبأنهم آمنوا بكل ما انزل إلى النبي، وتعيب على الفئة التي أوتيت الكتاب من بني اسرائيل انكارها لبعض ما انزل على محمد وايمانها ببعض، وتلك خصلة مذمومة في الإسلام. يقول تعالى: ﴿افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا﴾.

٤ ـ وكلمة الاحزاب الواردة في الآية رقم ٣ هم الذين اختلفوا وهم الذين كفروا ويتهددهم الله بالمشهد العظيم.

٥ ـ الآية التي تحمل الرقم ٦ هم الذين كفروا وساروا على درب الكافرين.

٦ ـ الآية التي تحمل الرقم ٧ هم الذين عوقبوا بكفرهم بالانبياء.

٧ ـ الآية التي تحمل الرقم ٨ فهم الذين ظلموا انفسهم بشأن عيسى، وهم نفس الفئات المنوه عنهم بالآية رقم ٣.

٨ ـ اما الآية العاشرة فيشار بها إلى الاحزاب كتجمع يقف بمواجهة جند الله.

— حكم الإسلام على نظام تعددية الاحزاب:

تلاحظ ان كلمة الاحزاب جاءت تعبيرا عن الكفر، وعن انكار الحق، وعن الاختلاف، وعن الرعب، وعن الكذب، وعن الوقوف ضد الحق.

وفي الآيات الكثيرة التي اوردناها فيما مضى، فان كلمة الاحزاب دلت

وابـرزت صفـات مجمـوعـات مشبـوهـة تجمعت ضد الخيـر، وضد الحق. والرباط الوحيد المشترك بينها هو انها ضد الحق وضد الخير، واتجاه تلك المجوعات اتجاه خاطيء، فهدفها معاداة الحق ومعاداة الانبياء وما جاؤ وا به. ولم ترد كلمة الاحزاب ولو مرة واحدة في القرآن الكريم كدليل على خير.

.وهذا قمة التنفير من كلمة الاحزاب وبالتالي من نظام تعددية الاحزاب. وعليه فان نظام تعددية الاحزاب في النظام السياسي الإسلامي غير وارد قطعا ومحظور.

٢ ـ موقف النظام السياسي الإسلامي من نظام ثنائية الاحزاب:

وردت كلمـة حزبين في القـرآن الكـريم مرة واحدة وهي: ﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين احصى لما لبثوا امدا﴾[١].

ومجمـل الآيـة ان احـد الحـزبين يعـرف الحقيقة أو المفترض ان يعرفها، فهو بالتالي على صواب، وان الحزب الآخر لا يعرف الحقيقة فهو على خطأ.

ومن ناحيـة ثانيـة فان الحقيقة جاءت من اللهورصدت له .وان المعرفة الحقيقية هي من عنـد الله وحـده، فالحـزب الـذي يقف مع الله ويتلقى الحقيقـة من عنـده هو الحزب الجدير بالمعرفة والجدير بالبقاء، اما الحزب الآخر فهو تجمع لا طائل منه لأنه مخمن ليس إلا.

ـــ حكم الإسلام على ثنائية الاحزاب:

الحزب الذي يقف مع الله هو الحزب الذي ينبغي ان يسود، ولا وجود لحزب آخـر في النظـام السيـاسي الإسـلامي، إلا اذا كان خاضعـا لنظـام الـدولـة، مطيعـا لشـريعتهـا، مواليـا لامامها. وهذا يسـلبه مبررات بقائه ويؤدي لزواله وبالتالي لحتمية وجود الحزب الواحد.

ومن الممكن تصور حزب آخر لأهل الذمة فقط العائشين في مجتمع دولة الأيمان.

---

(١) سورة الكهف آية ١٢.

موقف النظام السياسي الإسلامي من نظام الحزب الواحد

— الحزب الواحد في القرآن الكريم :

١ ـ **حزب الشيطان** : وردت كلمة حزب الشيطان في القرآن الكريم مرتين في اللفظ ومرة بالمعنى . بداية .

بداية السياق : تولوا قوماً غضب الله عليهم[١] .

وقد حدد القرآن المعالم الرئسية لهذا الحزب ووصف اعضاءه وصفا يميزهم عن غيرهم .

— مميزات اعضاء حزب الشيطان :

١ ـ تولوا قوما غضب الله عليهم[١] .
٢ ـ اتخذوا ايمانهم جنة ليصدوا عن سبيل الله[٢] .
٣ ـ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله[٣] .

هذه الصفات الثلاث هي السمة التي تميز اعضاء حزب الشيطان عن غيرهم .

قال تعالى : ﴿ اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون﴾[٤] . ﴿ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير﴾[٥] .

ونلاحظ ان الصفة البارزة لعضوية حزب الشيطان هي انهم تولوا قوما غضب الله عليهم ، ولم يتولوا رسول الله أووليه من بعده ، أي ان قادة هذا الحزب ليست رسول الله ولا الذين آمنوا أي وليه من بعده ، أي انهم من الناحية الحقيقية لا يسلمون بولاية رسول الله لهم ، ولا بولاية وليه من بعده .

انهم صدوا عن سبيل الله ، وسبيل الله هي قيادة الرسول ﷺ أومن ينيبه ولياً بعده ، فتراهم متشككين بالقيادة المحمدية أوبالولاية من بعده ، ويرون كما يسول لهم الشيطان ان القيادة لا ينبغي ان تكون لمحمد ، ولا لوليه من بعده . .

(١-٣) سورة المجادلة الآيات من ١٣-١٩ .

(٤) سورة المجادلة الآيات من ١٣-١٩ .

(٥) سورة فاطر آية ٥ .

وان هؤلاء نسوا ذكر الله، فكتاب الله ذكر وحديث رسول الله بيان لهذا الذكر وكأنه جزء منه. وذكر الله الزمهم لو يذكرون باطاعة رسول الله واتخاذه ولياً لهم، لأن من يطع الرسول، حسب قواعد الذكر، تماما كمن يطع الله.

وهم يعلمون انهم كاذبون، ولكنهم اتخذوا ايمانهم جنة أي وسيلة لاخفاء كذبهم وتفرقهم بين الله وبين رسوله. ولكثرة ترديدهم لهذا الكذب تصوروا انهم على الحق، انهم يرفعون شعارات الحق ويريدون بها باطلا.

هذه الصفات هي التي جعلت من المؤمنين بها، والمتحلين بها والفاعلين لها اتباعا للشيطان واعضاء لحزبه.

— حكم الإسلام على حزب الشيطان:

من الطبيعي ان الإسلام لا يسمح بقيام حزب يطلق على نفسه حزب الشيطان. واعضاء الحزب انفسهم يرفضون ان يسموا بهذا الاسم.

والإسلام لا يسمح لأعضاء هذا الحزب بأن يتخذوا لهم قيادة غير قيادة رسول الله أو وليه من بعده. ولا يسمح لهم باستبدال ذكر الله بأفكار من عند اعضائه.

ولكنه يسمح لأعضاء الحزب بالاقامة في موطنهم اذا اعلنوا خضوعهم لقيادة النبي أو لقيادة الولي من بعده والتزموا، ولو ظاهريا، بالذكر والنطق بالشهادتين والقيام بالواجبات الدينية ولو ظاهريا..

فاذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم مما يحولهم إلى اعداد لا قيمة لهم ما دام حزب الله مستمرا.

وهذا يفتح امام اعضاء هذا الحزب ابواب التوبة للرجوع إلى الله قلبا وقالبا وموالاة الله ورسوله أو ولي الرسول من بعده.

لكن وجود اعضاء هذا الحزب في مجتمع الايمان يشكل دمارا حقيقيا إذا تفرق حزب الله، خاصة وان الامور لا تجري بهذه البساطة، فعبدالله بن أبي يعرض على الرسول ان يكون في ضيافته عندما قدم إلى المدينة ويقول للرسول: صلى الله عليك يا رسول الله وآلك وسلم. وبنفس الوقت ينسق مع اعداء الإسلام اليهود ويحاول ان يكيد للرسول بالخفاء ولا يعترف بقيادته من الناحية القلبية.

ومعاوية بن أبي سفيان يرفع شعار، يجب ان يعاقب قتلة عثمان، ويقول له الامام علي، ادخل في الطاعة وحاكم القوم إلى احكم بينكم بالحق، ومع هذا يستمر بعرض القميص على الجماهير ويطالب بمعاقبة قتلة عثمان، ويشق عصا الطاعة للولي.

وعندما يقتل عمار بن ياسر ويواجه بحقيقة ان الفئة الباغية هي التي تقتل عمار، كما اخبر الرسول ﷺ، ويذكره عمرو بن العاص بهذا الحديث فيذهل معاوية ويصيح بعمرو (قبحك الله من شيخ. اننا الفئة الباغية بدم عثمان). اي المطالبة بدم عثمان، كما يروي ابن الاثير في باب مقتل عمار من تاريخه.

اي ان الشعارات التي ترفع هي شعارات حق ولكنها تهدف في النهاية الى زعزعة اركان الحق والتشكيك بولي رسول الله من بعده. بهدف الحصول على مغنم دنيوي، فمعاوية كان يريد الامارة ويعد لها، وقد حصل عليها بعد ان دمر دولة الخلافة وزعزع اركان الإسلام زعزعة هائلة.

ويجدر بالذكر ان حزب الشيطان لا يكون إلا عندما يكون هنالك حزب الله. فهو بمواجهة حزب الله يرفع شعارات يعلم انها كاذبة ولكن بقصد استقطاب الغافلين وتقويض الدين وتدمير قادة المؤمنين أو سبيلهم أو على الاقل ليحل محل القيادة.

قال تعالى: ﴿الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم، ما هم منكم، ولا منهم، ويحلفون على الكذب وهم يعلمون. اعد الله لهم عذابا شديدا. انهم ساء ما كانوا يعملون. اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين. لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا. اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون. يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء إلا انهم هم الكاذبون. استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون﴾. ﴿ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير﴾.

الفصل الثاني

— حزب الله:

وردت كلمة حزب الله في القرآن الكريم مرتين:

أ ـ ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم المفلحون﴾[1].

ب ـ ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشريتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون﴾[2].

— مفهوم هاتين الآيتين:

١ ـ ان قيادة حزب الله هي لله، وللذين آمنوا. وعبر القرآن عن هذه القيادة بالولي أو التولي.

٢ ـ ان صفات قيادة حزب الله بعد الله ورسوله هي انهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم في حالة ركوع أي ان الزكاة تتم اثناء الركوع.

٣ ـ انهم يحددون موقفهم من كل الناس بما فيهم الآباء والابناء والاخوان والعشيرة على ضوء موقف هؤلاء من الله ورسوله، فاذا احبوا «أي هؤلاء الاقارب» الله ورسوله والذين آمنوا «وهم القيادة التي تأتي بعد الرسول» احبوهم، وان كرهوا «اي الاقارب» الله ورسوله كرهوهم.

٤ ـ ويبدو جليا ان الآية الأولى تصف القيادة والآية الثانية تصف الاتباع.

٥ ـ ان كلمة الله هنا تعني الإسلام برمته، وكلمة الرسول قرآنه وسنته تعني قيادته الشخصية، وبالتالي تعني النظام السياسي الإسلامي كاملاً.

---

(١) سورة المائدة آية ٥٤ـ٥٥.

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢.

الفارق الدقيق بين حزب الله وحزب الشيطان :

يكمن الفارق الدقيق بين حزب الله وحزب الشيطان .

١ ـ ان اعضاء حزب الله وليهم الله ورسوله والذين آمنوا ، بينما اعضاء حزب الشيطان تولوا قوما غضب الله عليهم اي لم يتولوا الله ، ولم يتولوا رسوله ، ولم يتولوا الذين آمنوا .

بتعبير ادق ان اعضاء حزب الشيطان تولوا ولاية غير ولاية الله ورسوله والذين آمنوا .

ـــ الاشكالات :

١ ـ **الاشكال اللغوي** : كلمة الولي والولاية هي المفتاح والتولية بهاتين الآيتين تعني القيادة قولا واحدا لغة واصطلاحا .

ـــ من هو الحكم في فهم كلمة الولاية :

في اللغة : للولي معاني كثيرة ، ومن هذه المعاني الامارة والقيادة . وحسما للنزاع فاننا نلجأ إلى ثلاثة من كبار المسلمين وهم أبوبكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم . فمكانتهم عند المسلمين خاصة أهل السنة ، تشبه مكانة الانبياء ، حتى ان رجال الفقه السياسي الإسلامي اذا لم يجدوا لأمر من الأمور مخرجا يقولون : هكذا فعل أبوبكر أو هكذا فعل عمر ، أو هكذا فعل الاثنان ، أو هكذا قالت عائشة أو فعلت . فتحول قولهم وفعلهم عند هؤلاء الفقهاء إلى شرع بما للكلمة من معنى وابرز مثال على ذلك ولاية العهد . فهنالك اجماع بين منظري السياسة ان السند الشرعي المعتبر لولاية العهد هي فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

والخلاصة ان هؤلاء الثلاثة يصلحون علميا ليرجع اليهم بفهم مدلول كلمة التولية . يقول أبوبكر عندما استخلف عمر (انه ما ولي ذي قرابة)[١] . استعمل كلمة التولية لبيان عملية استخلافه لعمر . وقال بنفس المعنى ، اني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب[٢] ، وقال أبوبكر في كلمة وجهها إلى العباس بن عبدالمطلب (ان

(١) راجع الإمامة والسياسة ص١٩ لابن قتيبة الدينوري .

(٢) راجع تاريخ الطبري جـ٣ ص٤٢٩

الله قد بعث محمدا ﷺ نبيا وللمؤمنين ولياً)[1] ويقصد بالولي هنا الحاكم والقائد.

ويقول عمر: لو ادركت ابا عبيدة استخلفته ووليته فاذا سألني ربي من وليت على امة محمد...[2].

وقد ذكر كلمة التولية في نفس السياق ثلاث مرات وهو يعني بها استخلاف رجل من بعده لامارة المسلمين وقيادتهم.

ثم ها هي عائشة تقول لعمر استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا[3].

فالولي المقصود في تلك الآيات هو الخليفة أو الامام الذي يتولى أمور المسلمين وهذا واضح من بيان النبي ﷺ ومن اجماع المفسرين على ذلك، ومن فهم أبي بكر وعمر وعائشة لكلمة التولية.

— الاشكال اللغوي الثاني:

وهو معنى الذين آمنوا في آية الولاية بمن نزلت آية الولاية؟

الاحاديث الصحاح متواترة عن طريق أهل البيت بأن آية الولاية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكما تعود الناس بعكس أوامر النبي ﷺ فنترك أهل البيت جانبا ونجاري الناس ونرجع ونعتمد على ما وصلنا عن طريق غيرهم[4].

---

(١) راجع الإمامة والسياسة ص١٥.

(٢-٣) راجع الإمامة والسياسة ص٢٣-٢٤.

(٤) راجع صحيح نسائي وتفسير سورة المائدة من كتاب الجمع بين الصحاح الستة وراجع تفسير هذه الآية من كتاب أسباب النزول للواحدي وقد أخرجه الخطيب في المتفق وراجع مسندي ابن مردويه وأبي الشيخ وراجع الحديث ٥٩٩١ من أحاديث الكنز ص٣٩١ جـ٦ وراجع مسند الإمام أحمد جـ٥ ص٥٣٨ من الهامش وراجع الحديث ٦١٣٧ من أحاديث الكنز جـ٦ ص٤٠٥ وهناك اجماع بين المفسرين ونقل اجماعهم غير واحد كالإمام القوشجي في مبحث الإمامة والتجريد وراجع غاية المرام تجد ٢٤ حديثاً عن طريق أهل السنة تثبت أن هذه الآية نزلت في علي وراجع تفسير الإمام أبي اسحق احمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي الذي قال عنه خلكان في وفياته (إنه أوحد زمانه).

— اسباب نزول آية الولاية :

قلنا ان هنالك اجماع على ان هذه الآية (آية الولاية) نزلت في علي . وسقنا الكثير من مراجع أهل السنة المعتمدة :

أما سبب نزول هذه الآية ، فقد ذكر الإمام أبي اسحاق أحمد بن محمد إبراهيم النيسابوري الثلعبي الذي قال عنه ابن خلكان في وفياته أنه أوحد زمانه في التفسير قال الثعلبي في تفسيره :

ان سبب نزول آية الولاية ان علياً تصدق بخاتمه وهو راكع ، كما هو مفصل في تفسير الثعلبي .

هنالك دعا محمد ربه بالدعاء الذي دعا فيه موسى ربه والوارد في القرآن الكريم إلى ان قال واجعل لي وزيرا من أهلي ، علياً اشدد به ظهري .

قال أبوذر والله ما اتم الرسول دعاءه حتى نزل عليه جبريل ومعه آية الولاية . «طالما ان المقصود بالذين آمنوا علياً ، فلماذا يذكره بصيغة الجمع»؟ هل يعني ان القيادة في النظام السياسي الإسلامي ليست جماعية . اذن لم عبّر الله عن علي بالذين آمنوا فذكره بصيغة الجمع؟ العرب يعبرون عن المفرد بالجمع لنكتة تستوجب ذلك . فالله سبحانه وتعالى عبّر عن علي بالجمع وهو مفرد لنكتة استوجبت ذلك . وهذه الآية عنت ان علياً هو ولي الأمة من بعد الرسول .

— ما هو الدليل على ان المفرد يعبر عنه بالجمع :

١ ـ قال تعالى : ﴿الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ . فقد كان القائل نعيم بن مسعود الاشجعي باجماع المفسرين والمحدثين وأهل الاخبار ، فأطلق الله على نعيم ، وهو مفرد ، لفظ الناس وهو جمع ، تعظيماً لشأن الذين لم يصغوا لقوله .

٢ ـ وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم﴾ . فقد كان الذي بسط يده رجل واحد من بني محارب قال له غورث وقيل انما هو عمرو بن جحاس من بني النضير استل سيفه فهمّ ان يضرب به رسول الله فمنعه الله .

وقد اطلق الله على ذلك الرجل لفظ قوم وهي للجماعة تعظيما لنعمة الله عليهم بسلامة نبيهم. ذكر ذلك المحدثون والمفسرون وأهل الاخبار[1].

٣ - ثم انظر إلى آية المباهلة، فقط اطلق الله لفظ الابناء والانفس والنساء وهي حقيقة في العموم على علي وفاطمة وحسن وحسين بالخصوص اجماعا وقولا واحدا تعظيماً لشأنهم عليهم السلام.

وتلك ادلة قاطعة على جواز اطلاق لفظ الجماعة على المفرد لنكتة بيانية. فكلمة (الذين آمنوا) لا تنفي حقيقة ان الآية نزلت في علي وهي مختصة به.

ما هي النكتة البلاغية في اطلاق لفظ الجماعة (الذين آمنوا) على علي وحده وهو مفرد؟

١ - برأي الامام الطبرسي في تفسير الآية من مجمع البيان المقصود تفخيمه وتعظيمه، لأن أهل اللغة يعبرون بلفظ الجمع على الواحد على سبيل التعظيم. وقال ان ذلك اشهر في كلامهم من ان يحتاج الى الاستدلال عليه.

٢ - برأي الزمخشري في كشافه في معرض تفسير هذه الآية قال: ان الله اطلق على الامام علي لفظ الجماعة فقال الذين آمنوا وهو مفرد ليرغب الناس في مثل فعله حتى وهو في الصلاة لن يؤخر الزكاة إلى الفراغ من الصلاة.

٣ - وذكر الامام شرف الدين العاملي في مراجعاته التي اخذنا منها هذا التحليل رغبة بوضع الحقيقة تحت تصرف طلابها.

قول الامام العاملي: ان الله اتى بلفظ الجماعة دون المفرد بقيامنه على كثير من الناس، فان شانئي علي واعداء بني هاشم وسائر المنافقين واهل الحسد لا يطيقون ان يسمعوها بصيغة المفرد، اذ لا يبقى لهم حينئذ مطمع في تمويه، فيكون منهم ما يخشى عواقبه على الإسلام فجاءت الآية بصيغة الجمع مع كونها مفرد اتقاء معرتهم[2].

(١) راجع سيرة ابن هشام جـ٣ غزوة ذات الرقاع.

(٢) راجع المراجعات ص١٩٣ـ١٩٥ للإمام شرف الدين العاملي.

— هل في السنة النبوية ما يثبت ان احدا من الصحابة قاطبة اطلق عليه لفظ الولي أو ولي؟

نتحدى الدنيا كلها ان تثبت بحديث أو اشارة من علم ان أي صحابي على الاطلاق قال الرسول له أنه ولي أو الولي أو أي لفظة من اشتقاقه الولي.

هل في السنة النبوية ما يثبت ان علياً هو الولي أو الخليفة أو القائد الذي تصبح طاعته رمزا لعضوية حزب الله ومعاداته وعدم طاعته رمزا لعضوية حزب الشيطان؟

نعم، ما سقناه في باب تسمية الامام وبالتحديد موقف الشرع من تسمية الامام كاف جدا فليرجع اليه ومع هذا سنذكر بعضه ملخصا.

قال ﷺ عن علي: «ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا»[1].

---

(١) راجع ص١٥٥ من المراجعات للإمام العاملي وراجع تاريخ الطبري جـ٢ ص١٢٧ وراجع تاريخ ابن الأثير جـ٢ ص٢٢ وراجع تاريخ أبي الفداء جـ١ ص١١٦ وراجع نقض العثمانية للإمام أبي جعفر الاسكافي ص٢٥٧ وراجع ص٢٨١ و٢٦٦٣ مجلد٣ من شرح النهج الحديدي وص٢٥٧ ـ ٢٨١ من شرح النهج جـ٣ وراجع ص٢٨١ في باب استخفاء الرسول بدار الأرقم وص٤ من ذلك الباب وص٣٨١ جـ١ من السيرة الحلبية وراجع عدد جريدة السياسة لمحمد حسين هيكل عمود٢ ص٥ من الملحق للعدد ٢٧٥١ الصادر في ١٢ ذي القعدة ١٣٥٠هـ والعدد ٢٧٨٥ من جريدة السياسة ونقل هذا الحديث عن مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده وعبدالله بن أحمد في زيادات المسند وابن حجر الهيثمي في جمع الفوائد وابن قتيبة في عيون الأخبار وابن عبدربه في العقد الفريد وعمرو بن الجاحظ في رسالته عن بني هاشم والإمام أبي اسحق الثعلبي في تفسيره وراجع مقالة في الإسلام ص٧٩ لجرجس الانكليزي الذي نقله عما يسمي نفسه بهاشم العرب واختصره توماس كارليل في كتابه الأبطال وأخرجه بهذا المعنى الطماوي والضياء المقدسي في المختارة وسعيد بن منصور في السنن وراجع ص١١١ و١٥٩ جـ١ من مسند الإمام أحمد وص٣٣١ جـ١ من المسند أيضاً وراجع النسائي ص٦ من الخصائص العلوية والحاكم ص١٣٢ من المستدرك وأخرجه الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته وراجع ص٣٩٦ جـ٦ من كنز العمال الحديث ٦٠٤٥ والحديث ٦٠٥٦ من ص٣٩٧ والحديث ٦١٠٢ ص٤٠٤ والحديث ٦١٥٥ ص٤٠٨ وراجع ص٢٥٥ من شرح النهج وهذا حديث صحيح عن طريق أهل السنة فابن جرير وأبو جعفر الاسكافي أرسلا صحته ارسال المسلمات، راجع الحديث ٦٠٤٥ ص٣٩٦ جـ٦ تجد تصحيح ابن جرير ومنتخب الكنز ص٤٤ جـ٥ من مسند الإمام أحمد تجد تصحيح ابن جرير أيضاً وراجع ص١١ جـ١ من مسند الإمام أحمد.

وبفضل الله فان كلمة اخي معروفة، وكلمة وصي معروفة ومستقرة وكلمة خليفة معروفة تماماً.

ولا بديل عند الذين ينكرون ذلك غير التأويل وكيف يسعفهم تأويل الواضحات.

٢ ـ قوله ﷺ لعلي: انت وليي في الدنيا والآخرة[١].

٣ ـ وقوله ﷺ: ان علياً مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي[٣].

٤ ـ قال الرسول ﷺ لرجل اشتكى على علي: لا تقع في علي فانه مني وانا منه وهو وليكم بعدي[١].

٥ ـ قال ﷺ: اما علمت ان لعلي اكثر من الجارية وانه وليكم بعدي[٤].

---

(١) راجع ص١٦٣ ـ ١٦٤ من المراجعات وصرح الذهبي على تعنته بصحته في تلخيص المستدرك ص٢٦ وابن حجر الهيثمي على محاربته ذكره في صواعقه ص١١ باب١٢ وأخرجه مسلم في فضائل علي ص٢٤ جـ٢ من صحيحه والحاكم في ص١٠٩ جـ٣ من مستدركه وابن حجر في باب١ ص١٠٧ وقال أن الإمام أحمد أخرجه وصححه وأخرجه صاحب الجمع بين الصحيحين في فضائل علي وفي غزوة تبوك وهو موجود في غزوة تبوك من صحيح بخاري ص٥٨ جـ٢ وراجع صحيح مسلم ص٣٢٣ جـ٢ وص٢٨ جـ١ وص١٠٩ جـ٢ وراجع مسند الإمام أحمد ص١٧٢ و١٧٥ و١٧٧ و١٧٩ و١٨٢ و١٨٥ جـ١ وص٣٣١ و٢٦٩ وص٤٣٨ جـ٦ من المسند وص٣٢ جـ٣ من المسند، وراجع المقصد٥ من مقاصد الآية ١٤ من باب١١ الصواعق المحرقة ص١٠٧ وراجع ابن حجر في الحديث الأول عن الاربعين حديثاً التي أوردها في الفصل الثاني باب٩ ص٧٢ من الصواعق وذكره السيوطي في أحوال علي من تاريخ الخلفاء وذكره الطبراني والبزار في مسنده كما ذكر السيوطي في ص٦٥ من تاريخ الخلفاء وذكره الترمذي وصححه كما يدل الحديث ٢٥٠٤ من الكنز وراجع كنز العمال ص١٥٢ جـ٦ الحديث ٢٥٠٤، وأورده ابن عبدالبر في أحوال علي من الاستيعاب.

(٢) أخرجه النسائي في خصائصه وأحمد بن حنبل في مسنده ص٤٣٨ جـ٤ والحاكم في مستدركه وأخرجه بن أبي شيبة وابن جرير والمتقي الهندي ص٤٠٠ جـ٦ من الكنز والترمذي ونقله علامة المعتزلة في شرحه جـ٢ ص٤٥٠.

(٣) راجع مسند الإمام أحمد ص٢٥٦ وص٣٤٧ جـ٢ وص ١١٠ جـ٣ من المستدرك للحاكم وص٤٣٨ جـ٢ من مسند الإمام أحمد وأخرجه الطبراني بتفصيل وقال: من أبغض علياً فقد أبغضني ومن فارق علياً فقد فارقني، إن علياً مني وأنا منه، خلق من طينتي وأنا خلقت من طينته إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم ذرية بعضها من بعض.

(٤) راجع ابن حجر في ص١٠٣ من الصواعق وص٢٩٨ جـ٦ من كنز العمال وص١٨٥ من المراجعات.

٦ ـ قال ﷺ لعلي : انت ولي كل مؤمن بعدي[١].
٧ ـ قال ﷺ : يا علي سألت الله فيك خمسا فأعطاني في اربعة . . . واعطاني انك ولي المؤمنين من بعدي[٢].
٨ ـ قال ﷺ : الست اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا بلى قال من كنت وليه فهذا علي وليه[٣].
٩ ـ قال ﷺ لأحد اصحابه : لا تقل هذا لعلي فانه وليكم بعدي . وقال في رواية، فهو اولى الناس بكم بعدي[٤].
١٠ ـ قال ﷺ : علي مني وانا من علي ولا يؤدي عني الا أنا أو علي[٥].
١١ ـ قال ﷺ : من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن اطاع علياً فقد اطاعني ، ومن عصى علياً فقد عصاني[٦].
١٢ ـ قال ﷺ : يا علي من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك فقد فارقني[٧] .
١٣ ـ قال ﷺ : من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[٨] .

---

(١) راجع ص١٣٤ جـ٣ من المستدرك والذهبي في تلخيصه والنسائي في الخصائص العلوية ص٦ والإمام أحمد في مسنده ص٣٣١.
(٢) راجع الحديث ٦٠٤٨ ص٣٩٦ جـ٦ من الكنز.
(٣) راجع ص٣٩٧ جـ٦ من الكنز وص١٨٧ من المراجعات.
(٤) راجع الحديث ٢٥٧٥ ص١٥٥ جـ٦ من الكنز وأخرجه ابن أبي عاصم مرفوعاً عن علي.
(٥) أخرجه ابن ماجة ص٩٢ جـ١ من سننه والترمذي والنسائي في صحيحيهما وهو الحديث ٢٥٣١ من الكنز ص١٥٣ جـ٦ وص١٦٤ جـ٢ من مسند الإمام احمد وص١٥١ جـ١ من المسند أيضاً.
(٦) أخرجه الحاكم في ص١٢١ جـ٣ من المستدرك.
(٧) أخرجه الحاكم ص١٢٤ جـ٣ من المستدرك.
(٨) أخرجه الحاكم ص٥٣٣ جـ٣ من المستدرك وراجع ص٣٧٢ من مسند الإمام أحمد وص٤ من الخصائص العلوية للنسائي وص٢٥ وراجع تفسير آية ﴿فإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ للواحدي وراجع كتاب نزول القرآن ـ الفوائد للإمام إبراهيم بن محمد الحموني الشافعي ويعتبر يوم ١٨ ذي الحجة عيداً عند الشيعة شكراً لله على حديث الغدير، وحديث الغدير صحيح اعترف الذهبي بصحته راجع غاية المراجع النسائي والطبراني والبزار والسيوطي والحلبي ص٢١٤ وابن حجر ص٥ والمسند لأحمد ص٢٣١ جـ١ وص٢٨١ جـ٤ من السيرة الحلبية وهامش المسند ص٤١٩ جـ٥ وص٨٩ من غاية المرام.

هل ورد في القــرآن أو في الـسنـة ما يثبت أن غيـر علي هو الـولي أو القـائـد أو الخليفة حتى تصبح طاعة هذا الغير طاعة لله وبالتالي رمزا لعضوية حزب الله ومعصيته رمزا لعضوية حزب الشيطان؟

الجواب، لا لم يرد على لسان الرسول ﷺ ان اطلق لفظ ولي أو لفظ خليفة أو قائد «بمعنى رئاسة الدولة» على أي واحد من الصحابة بالذات.

معك الدنيا طولا وعرضا، وفوقا وتحتا، ومعك الجن والانس، اجتمعوا جميعا وآتوني باشارة من علم بان الرسول اطلق لفظ الولي على صحابي بذاته قط.

هذا على الـرغم من ان دولـة الإسـلام التاريخية كأي دولة كانت تسيطر سيطرة كاملة على وسـائـل الاعـلام بمـا فيهـا طريقة رواية الحديث، ومن يرويه تستطيع ان تزكيه الدولة أو ان لا تعيب عليه على الاقل.

ومـع الاخـذ بعين الاعتبـار ان مسبـة علي على المنابر كانت واجب ديني على ائمة الصلاة ومع الاخذ بعين الاعتبار بان علياً كان يقود المعارضة.

ومع الاخذ بعين الاعتبار بان عليا قد قتل قتلا، وان الحسن قد قتل قتلا، وان الحسين قد قتل قتلا.

هذا مع العلم بان حجـر بن عدي واصحـابـه المخبتين **قد قتلهم معاوية بن أبي** سفيـان، لانهم على دين علي، كمـا يروي الثقـات من المـؤرخين، كالطبري وابن الاثير وابن قتيبة الدينوري.

— كيف نعرف اعضاء حزب الله حال حياة الرسول:

١ ـ من يطع الرسول ويتبعه ولا يعصيه ويسلم بانه ولي المؤمنين فهو من حزب الله، لانـه من اطـاع الـرسول فقد اطاع الله، ومن عصى الرسول فقد عصى الله. فالرسول اعرف خلق الله بكتاب الله، لأنه أوتي القرآن مثله ومثله. فمن قال بانه يعرف القرآن اكثـر من رسـول الله فقـد كفر، لأن الرسول بعث ليبين للناس ما انزل اليهم. فالعضو في حزب الله يقـول رأيـه، لكن الـرسـول والـولي هو الذي يقدر هذا الرأي وقيمته لأن الهدف ليس ابداء الرأي وانما الهدف الوصول إلى الغاية من امره.

والـرسـول اقـدر على فهم الغـايـة الشـرعيـة من سواه واقـدر على فهم شرعية

الوسيلة ـ في زمن الرسول، حزب الله هم الذين اتبعوه ولم يعصوه. فلا اشكال على معرفة اعضاء حزب الله في زمن الرسول، انما الاشكال بعد وفاته.

وقد تبين لنا ان الولي بعد الرسول هو علي بنص القرآن الكريم. وقد تبين أيضاً ان الولي بعد الرسول هو علي بنص السنة المطهرة. وقد تبين بنص السنة المطهرة ان من اطاع علياً فقد اطاع الله وقد اطاع الرسول، وبالتالي من اطاع علياً فهو من حزب الله، ومن عصى علياً فقد عصى الرسول ومن يعصي الرسول فهو من حزب الشيطان.

— لماذا علي بالذات؟

لان الله اختاره كما اثبتنا.

لأن الرسول اعلن هذا الاختيار واكده كما اثبتنا.

لأن الرسول اعلن عصمة علي كما اثبتنا، فهو دائما مع القرآن والقرآن معه.

كيف نعرف اعضاء حزب الله بعد وفاة الرسول؟

لو ضربنا عرض الحائط بالنصوص والشرعية الدامغة التي سقناها، والتي تثبت ان علياً هو ولي المؤمنين، وبالتالي طاعة علي هي طاعة الرسول وهي برهان على ان المطيع عضو في حزب الله، ومعصية علي هي معصية لرسول الله، وبالتالي برهان بان العاصي هو عضو في حزب الشيطان.

لو رمينا عرض الحائط بالنصوص الآخذة بالاعناق واهملناها مجاملة للتيار القبلي الذي ساد والقائل بانه لا يجوز ان يجمع بنو هاشم مع النبوة الملك، فاننا بهذه الحالة بحاجة إلى رجل دائما مع القرآن، دائماً مع الحق يدور الحق معه حيث دار، بحاجة إلى بحر من العلم اللدني من الله لا بالاجتهاد، انما بالنص الشرعي. وبهذه الحالة كأن الناس يقولون انهم يرفضون اختيار الله ويختارون لأنفسهم وبهذه تهز فكرة الايمان هزا عنيفا.

وهنا أيضاً تتناقض هذه الأمور مع مبدأ تمام الدين وكماله وتمام النعمة، لانه ليس من المعقول ان يموت الرسول، الرحيم بأمته، دون ان يبين لها هذا الرجل الذي يميز لنا الله بطاعته اعضاء حزب الله وبمعصيته اعضاء حزب الشيطان.

فأبو بكر يتصدق ويصلي ويصوم، وعبدالله بن أبي يتصدق ويصلي ويصوم،

ومعروف الآن كل واحد من الاثنين، هذا تقي، وذاك منافق، لأن الرسول اخبرنا بذلك لأن الله انبأنا عنهما بواسطة رسوله.

— لا بد من وجود مقياس موضوعي:

رئيس للحزب مطاع، ونظام للحزب متبع، هذا هو المقياس. في زمن الرسول الرئيس الشرعي للحزب هو الرسول، والنظام الشرعي للحزب هو كلمة الله أو العقيدة والشريعة.

لكن بعد النبي، من هو الرئيس الشرعي للحزب حتى يطاع؟ وبالدقة من هو الولي لأن الذين يوالون الولي هم اعضاء حزب الله، والذين يتولون قوما غير الولي هم اعضاء حزب الشيطان. هذا هو النص الصريح والواضح من القرآن كما ثبت من آية الولاية وفي سورة المجادلة.

هل هذا الولي أهل لتفسير نظام الحزب ونظام الحزب هو القرآن كله والسنة كلها؟ هذا امر لا يعلمه إلا الله ومن غير المعقول ان يوكل للبشرية أمر فوق طاقتها.

وعليه فان الله يأبى ان يموت رسوله دون ان يعين من يبين للناس اذا اختلفوا، ومن يهديهم اذا ضلوا، من يقودهم في غياب القائد.

لا بد من وجود هذا الرجل حتى نعرف من هم الذين اتبعوه فكانوا اعضاء في حزب الله ومن هم الذين يخالفونه حتى يكونوا اعضاء في حزب الشيطان.

— ما هو معيار التفريق بين حزب الله وحزب الشيطان:

حزب الله وليهم محمد، كما ثبت بالنص وبالعقل. ومن بعد محمد علي، كما ثبت بالنص وبالعقل أيضاً. وحزب الشيطان وليهم قوم غضب الله عليهم كما اثبتنا.

ان لحزب الله سبيل واحد هو رسول الله، ومن بعده الذين آمنوا كما اثبتنا وهو علي بينما حزب الشيطان يتبعون ائمة مختلفين. ان حزب الله مرتبط بالله، وكلمة الله تعني الشريعة والعقيدة كلها. ومرتبط بولي الرسول وولي الرسول هو علي، بينما حزب الشيطان مرتبط بالهوى وبحاكمه والحاكم اما ان يكون مرتبطا بالهوى أو بالعقل أو بهما معا، فالهوى أمر مزاجي لا تعرف نتائجه، والعقل عملية محدودة، وبالتالي

هو مخلوق ضعيف لا يؤتمن جانبه وحده.

بينما ولي حزب الله أو قائده مرتبط بالنظام الاساسي للحزب، القرآن والسنة، ويقوم بوظيفة الرسول. ومن وظائف الرسول البيان، ومنع الناس من الانزلاق إلى الضلالة. وصفاته انه مع القرآن والقرآن معه.

وحقه انه السيد، وانه الامام، وانه العالم، بينما امام حزب الشيطان أو رئيسه في احسن الظروف قد يخطىء وقد يصيب، وعلى الغالب مخطىء، وأنه ضد البيان، ضد الحق الالهي، أو محرف له، وان اقسم اغلظ الايمان.

والخلاصة يعرف اعضاء حزب الله بعد رسول الله بولائهم لولي الله وولي رسوله وهو علي بن أبي طالب. وموالاة المؤمنين بعد موته لوليه، وهكذا..

هذا الحكم الذي ينطق به صريح القرآن وصريح السنة اذا تركنا التقليد جانبا.

— ما الذي يثبت لنا ان علياً على الحق دائماً وما الذي يثبت لنا انه مبين لأمته من بعد الرسول، وما يثبت لنا انه الامام وانه السيد؟

١ - ما اثبتناه في باب تسمية الامام كاف بفضل الله.

٢ - وما اثبتناه في مستهل موضوع حزب الله كاف جدا. والآية المحكمة تدمغ كل مكابر.

٣ - ثم ان الله بيده الفضل يؤتيه من يشاء، لماذا اذن لم ينزل القرآن على رجل من القريتين عظيم؟ لماذا اذن كان محمد هو النبي وليس أبوسفيان؟ الم يكن أبوسفيان يتوقع ان يكون هو النبي لأنه من بني عبد مناف، ولأنه حامل لواء قريش؟ أأنتم تقسمون رحمة ربكم.

وعلاوة على ما اسلفنا، فاننا نسوق الآن من النصوص ما يجبر الذين يكابرون بالحق على الابلاس والافلاس، وما يجعلهم يقنعون لو ارادوا الهدى، بان الله لم يترك امة محمد سدى، انما ترك لها علياً بعد النبي ولياً وهاديا.

— اجوبة تساؤلات المتشككين بولاية علي بالنصوص القاطعة:

هبو ان الله لم يأمر بتسمية علي ولياً، ولم يعينه بعد النبي هاديا ومبينا، هبوا انه

لا وجود لتلك النصوص القاطعة التي اسلفناها ووثقناها، وليس بوسعنا انكارها، فان في علي من المقومات ما يجعله ولياً للمؤمنين.

١ ـ علم الولي: قال ﷺ: انا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب[١].

قال ﷺ: يا عمار، اذا رأيت علياً قد سلك واديا وسلك الناس واديا غيره. فاسلك مع علي فانه لن يدلك على ردى، ولن يخرجك من هدى[٤].

قا ﷺ: ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.. واخيرا قال الرسول ﷺ انه علي[٥].

قال ﷺ: ابن ابي طالب يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين[٦].

قال ﷺ: يا علي، ستقاتل الفئة الباغية وانت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني[٧].

قال ﷺ: يا علي لك سبع خصال لا يحاجك بها احد، انت أول المؤمنين بالله، واوفاهم بعهد الله، واقومهم بأمر الله، وارأفهم بالرعية، واعلمهم بالقضية، واعظمهم مزية[٨].

قال ﷺ: علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض، وعلي مني بمنزلة رأسي من بدني[٩].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ص١٠٧ وأخرجه الحاكم في مناقب علي ص٢٢٦ جـ٢ من المستدرك.

(٢) اخرجه الترمذي في صحيحه وابن جرير وصاحب الكنز ص٤٠١ جـ٦ من كنز العمال والسيوطي في حرف الهمزة من جامع الجوامع ومن الجامع الصغير ص١٧٠ جـ١.

(٣) راجع ص٧٢ من المراجعات للإمام العاملي.

(٤) راجع ص١٥٦ جـ٦ من كنز العمال.

(٥) اخرجه الحاكم في مستدركه جـ٢ ص١٢٢ وأحمد بن حنبل في مسنده ص٨٢ و٣٣ جـ٣ وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان وراجع ص١٥٥ جـ٦ من كنز العمال.

(٦) راجع ص١٣٩ جـ٣ من المستدرك للحاكم.

(٧) أخرجه ابن عساكر راجع الحديث ٢٥٨٨ ص١٥٥ جـ٦ من كنز العمال.

(٨) اخرجه أبو نعيم في حليته راجع ص١٥٦ جـ٦ من كنز العمال.

(٩) راجع الصواعق المحرقة ص٧٥ لابن حجر الهيثمي وص١٢٤ جـ٣ من المستدرك للحاكم وأخرجه الذهبي في تلخيصه.

قال ﷺ: كفي وكف علي في العدل سواء[1].

قال عمر بن الخطاب: «علي اقضانا»[2].

وقال أيضاً لعلي: انت خيرهم فتوى[3].

وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس فيها أبوحسن[4].

كان ابوبكر يجيد الشعر، وعمر يجيده، وعلي يجيده، وكان علي اشعر الثلاثة [5]. وذلك علم لم ينله غيره، ولا يجاريه فيه احد، ومن المحال ان يؤتى هذا العلم عبثا [6].

٢ - بيان الولي:

قال ﷺ لعلي: انت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي[7].

قال ﷺ عن علي: انه رأية الهدى، وامام اوليائي، ونور من اطاعني، وهو الكلمة التي الزمتها المتقين[8].

قال ﷺ عن علي: هذا أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الاكبر، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين.

قال ﷺ: يا معشر الأنصار، الا ادلكم على ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا، هذا علي فأحبوه بحبي وكرموه بكرامتي، فان جبريل امرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل[9].

---

(١) راجع الحديث ٢٥٣٩ ص١٥٣ جـ٦ من كنز العمال.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٣٣٩.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٣٣٩.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد جـ٢ ص٣٣٩.

(٥) راجع صبح الأعشى في صناعة الانشاء القلقشندي جـ١، وراجع تاريخ الخلفاء للسيوطي في باب علي.

(٦-٩) راجع الأدلة ص١-١٣ في باب «حكم الشرع بتسمية الإمام» تجد هذه الاحاديث موثقة.

٣ ـ الولي هو الامام وهو القائد وهو السيد :

قال ﷺ : علي قائد البررة قاتل الفجرة[١].

قال ﷺ : اوصى الله الي في علي ثلاثة ، انه سيد المسلمين ، وامام المتقين ، وقائد الغر المحجلين[٢].

قال ﷺ لعلي : مرحبا بسيد المسلمين ، وامام المتقين[٣].

قال ﷺ : اول من يدخل هذا الباب امام المتقين ، وسيد المسلمين ، ويعسوب الدين وخاتم الوصيين[٤].

قال علي : ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم[٥].

وقال علي : حزبنا حزب الله ، والفئة الباغية حزب الشيطان ، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا[٦].

٤ ـ الولي هو أخ النبي :

قال ﷺ : ان عليا مني لحمه من لحمي ، ودمه من دمي ، وهو مني بمنزلة هارون من موسى[٧].

قال ﷺ : يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى[٨].

قال ﷺ : يا علي انت أول المؤمنين ايمانا واولهم اسلاما وانت مني بمنزلة هارون من موسى[٩].

---

(١) راجع تفسير الإمام الثعلبي لآية الولاية وراجع ص١٢٩ جـ٣ من المستدرك للحاكم وص١٥٣ جـ٦ من كنز العمال وراجع تفسير الزمخشري لاية الولاية.

(٢) راجع الحديث ٢٦٢٨ ص١٥٧ جـ٦ من كنز العمال.

(٣) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ص٤٥٠ جـ٢ والحديث ٢٦٢٧ ص١٥٧ جـ٦ من الكنز.

(٤) أخرجه أبو نعيم راجع ص٤٥٠ و٤٤٩ جـ٢ من شرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد.

(٥-٦) راجع ص١٨٥ و١٥٦ جـ٢ من شرح النهج.

(٧) راجع الحديث ٢٥٥٤ ص١٥٤ جـ٦ من الكنز وص٣١ جـ٥ من مسند الإمام أحمد، الهامش.

(٨) أخرجه النسائي في الخصائص العلوية ص١٩

(٩) أخرجه الحسن بن بدر والحاكم في الكنى والبرازي في الألقاب ص٦ وراجع الحديث ٦٠٢٩ و٦٠٣٢ من الكنز ص٣٩٥ جـ٦.

قال ﷺ : يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي [(1)].

قال ﷺ : انت أخي ووزيري تقضي ديني ، وتنجز موعدي وتبرىء ذمتي [(2)].

وآخى الرسول بينه وبين علي في المرتين قبل الهجرة وبعدها. وآخى الله بينهما ـ كما اثبتنا ذلك في حديث قدسي في باب تسمية الامام الشرعية ـ [(3)].

وقال ﷺ يوما لعلي : أنت أخي وصاحبي ورفيقي في الجنة وانت أخي وأبوولدي [(4)]. راجع علاقة الولي بالحساب الأخروي تجد ان الأخوة تمت بأمر الله وباشرافه.

٥ ـ علاقة الولي بالحساب الأخروي:

قال ﷺ : مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، علي أخو رسوله [(5)]. والاخوة بين علي وبين محمد تمت بأمر الله [(6)].

قال ﷺ : ان الله اوحى الى نبيه موسى ان ابن لي مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا أنت وهارون ، وان الله أوصى إلي ان ابني مسجدا لا يسكنه إلا انا واخي علي [(7)].

---

(١) اخرجه الإمام أحمد في مناقب علي وابن عساكر في تاريخه والبضوي والطبراني في مجمعيهما والباوردي في المعرفة وابن عدد وراجع الحديث ٩١٨ ص٤٠ جـ٥ وص٣٩٠ جـ٦ والحديث ٩٧٣ من الكنز وراجع مسند الإمام أحمد ص١٣ جـ٥ الهامش.

(٢) راجع ص٢١٧ جـ٣ من المستدرك للحاكم واعترف الذهبي بصحته وراجع ص١٧٨ من المراجعات للعاملي.

(٣) راجع ص٢٦٥ و١٦٨ جـ٣ من المستدرك للحاكم وص٩٨ جـ١ من مسند الإمام أحمد وابن عبدالله والذهبي في التلخيص والبضوي في مجمعه وابن عساكر وابن حجر في صواعقه ص١١٥ وص١٥٩ جـ٣ وابن حجر ب١١ ص٣٢ وراجع ص٣٢ جـ٥ من هامش أحمد.

(٤) راجع الحديث ٦١٠٥ ص٤٠٢ جـ٦ من كنز العمال.

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط والخطيب في المفترق والمتفق ونقله صاحب الكنز مع هامش ص١٥ جـ٥ من مسند الإمام أحمد وص٤٦ جـ١ من المسند نقله عن ابن عساكر.

(٦) راجع ص١٨٩ جـ٢ من تفسير الرازي وص١٧٩ من المراجعات للعاملي وص١١٢ جـ٢ من المستدرك للحاكم ومنتخب الكنز ص٤٠ جـ٥ من مسند الإمام أحمد وص١٢٦ جـ٣ من المستدرك للحاكم.

(٧) أخرجه الترمذي والبزار وهو الحديث ١٣ ص٢ من الصواعق لابن حجر، راجع ص١٨٤ من المراجعات.

قال ﷺ : علي باب حطه من دخله كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا [1].
قال تعالى : ﴿وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾ [2].

اخرج الحاكم بسنده عن علي قوله : نقف يوم القيامة بين الجنة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة، ومن ابغضنا عرفناه بسيماه [3].

قال النبي ﷺ : يا علي، انك والاوصياء على الاعراف، ويؤيد هذا حديث الدارقطني ان علياً قال للستة الذي جعل الأمر شورى بينهم كلاماً طويلا، ومن جملته انشدكم الله هل فيكم احد قال له رسول الله يا علي أنت قسيم الجنة والنار فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك.

وروى ابن السماك ان أبابكر قال لعلي سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز [4].

قال ﷺ : مكتوب على ساق العرش، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ايدته بعلي ونصرته بعلي [5].

اخرج الثعلبي في تفسير قوله تعالى : ومن يشاقق الرسول.. واخرج ابن مردوية في تفسير آية المشاقة في شأن علي وان الهدى قوله. وأخرجه العياشي في تفسيره واخرج ﴿انما انت منذر ولكل قوم هاد﴾ ان الرسول ﷺ قال: انا المنذر وعلي الهاد وبك يا علي يهتدي المهتدون.

وراجع تفسر قوله تعالى : ﴿وقفوهم انهم مسؤ ولون﴾ - في تفسير الواحدي.
وراجع تفسير مجاهد لقوله تعالى : ﴿واما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾.

راجع ص ٤١٨ جـ ٢ من المستدرك للحاكم وتفسير قوله تعالى : ﴿والذين

---

(١) راجع ص١٥٣ جـ٦ من كنز العمال.
(٢) راجع تفسير الثعلبي لهذه الآية.
(٣) أخرجه الحاكم راجع تفسير الثعلبي لهذه الآية.
(٤) راجع المراجعات ص٧٢ للإمام العاملي.
(٥) راجع ص٧٤ من المراجعات.

آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان﴾ (١) .

وراجع تفسير الطوسي لآية ﴿لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة﴾ .

قال ﷺ : والذي نفسي بيده ان هذا يعني علياً وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة . راجع تفسير فرات وباب ٨١ و٨٢ من غاية المرام وص٧٤ من المراجعات وباب ١١ من الصواعق المحرقة لابن حجر (٢) .

قال علي : انا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة (٣) .

وباختصار نزل في علي ٣٠٠ آية .

— والخلاصة فيما يتعلق بالولي وحزب الله :

لو طبق الشرع فان علياً سيكون ولي رسول الله وبالتالي هو رئيس حزب الله في غياب الرسول ، والمفسّر للنظام الاساسي لحزب الله وهو «القرآن والسنة» وبتعبير ادق دين الإسلام .

وتغدو طاعة الامام علي هي معيار التفريق بين اعضاء حزب الله ، واعضاء حزب الشيطان . ومن أجل هذا كما يبدو قال ﷺ : «والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» كما اسلفناه . وعليه فالشيعة هي تقوم الآن بوظيفة حزب الله ، اذا تركنا التقليد واتبعنا الشرع هذا اذا عرفت الولي الشرعي واطاعته .

— الاحزاب السياسية التاريخية :

في سقيفة بني ساعده ، وبعد الخروج من السقيفة ، نمت بذرة التحزب السياسي تاريخيا في ظلال الدول التي حكمت الأمة الإسلامية باسم النظام السياسي في الإسلام .

وما مضت ايام حتى وجد المسلمون انفسهم في واحد من حزبين :

١ - اما حزب الدولة : وهم الذين يؤ يدون الدولة اقتناعا أورغبة أو لأي سبب آخر وقد

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير وابن عساكر وراجع ص١٥٨ جـ٦ من الكنز وراجع ما أخرجه البزار ص٤٨ من الكنز الحديث ٦١٥٦ وص١٨٣ من المراجعات والحديث ٦١٣٧ ص٣٩١ جـ٦ وراجع ص٤٠٥ جـ٦ .

(٢) الحاكم في المستدرك ص٤٦٨ جـ٢ .

(٣) راجع المراجعات للإمام العاملي .

سمي هذا الحزب فيما بعد بأهل السنة، ويمكنك ان تقول تجاوزا انه الحزب الحاكم.

٢ - واما مع حزب المعارضة: وهم الذين اقتنعوا بان عليا هو أولى بالخلافة من غيره وان الخلافة حق له وانه ظلم عندما نحيت عنه الخلافة. وسمي هذا الحزب فيما بعد بأهل الشيعة.

— الايدلوجية السياسية لحزب الدولة أو حزب أهل السنة:

١ - فيما يتعلق برئيس الدولة أو الخليفة: رئيس الدولة يجب ان يكون من عشيرة الرسول والأمر محصور بهم. «والعرب لا ينبغي ان تؤمر قوما النبي من غيرهم، والعرب لا ينبغي ان تولي الامر إلا من كانت النبوة فيهم»[١].

والخلافة سلطان محمد وميراثه ولا ينبغي ان ينازع اولياؤه وعشيرته ذلك الميراث[٢] عندئذ صاح بشير بن سعد قائلا ان محمدا من قريش وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه فاتقوا الله ولا تنازعوهم هذا الأمر ولا تخالفوهم[٣].

تلك هي الأسس التي اعتمد عليها قادة حزب السنة حتى تمكنوا من الوصول إلى سدة الخلافة وامام عناد ومقاومة المعارضة ووضوح حجتها برزت مجموعة كبيرة من النظريات لتبرر الواقع وتحصنه وتضفي عليه ثوب الشرعية. وقد بحثنا هذه النظريات ونقدناها علميا في باب موقف أهل السنة من تسمية الامام، وسنذكرها الآن ذكرا ومن اراد التفصيل فليرجع إلى باب تسمية الامام. فقد برزت نظرية الصلاة[٤]، ونظرية الصحبة[٥] ونظرية كبر السن والخبرة في الانساب ونظرية التخلية[٦]، ونظرية الشورى[٧]، ونظرية الافتراض[٨]، واخيرا نظرية الحاكم القائم بتسمية خليفته أو ولي عهده[٩]. وما صيغت هذه النظريات ولا رفعت إلا لتبرر الواقع

---

(١) راجع الإمامة والسياسة ص٧.

(٢-٣) راجع الإمامة والسياسة ص٨.

(٤-٥) راجع الطبقات جـ٣ ص٧٨ وص٦ من الإمامة والسياسة.

(٦) راجع الإمامة والسياسة ص٢٣.

(٧) راجع الإمامة والسياسة ص٥ وما بعد، وراجع ص١٩٩ جـ٢ من تاريخ الطبري فقد اعتبر ما جرى في السقيفة شورى.

(٨) راجع الطبقات لابن سعد جـ٣ ص١٨٠.

(٩) راجع ص١٩٩ جـ٣ من تاريخ الطبري وراجع ص١٩ من الإمامة والسياسة وراجع جـ٤ ص٥٢ و٥٣ من تاريخ الطبري.

وللدفاع عن منصب رئاسة الدولة أو الخلافة الذي آل لقيادة حزب الدولة أو أهل السنة.

وفوق هذا كله، فان الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ولا تفتقر إلى العقد، كما روى الفرا عن الامام احمد فقال في رواية عبدوس بن مالك العطار (من غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يبيت ولا، يراه امام برا كان أم فاجراً).

وقال أيضاً في رواية ابي الحارث في الامام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم (فتكون الجمعة مع من غلب). واحتج بان ابن عمر صلى بأهل المدينة يوم الحره، وقال، نحن مع من غلب [1].

الا ترى كيف انتهت الأمور واقعيا بالنظام السياسي الإسلامي حسب نظريات أهل السنة، فعلى الأمة ان تبايع الغالب بغض النظر عن دينه وصفاته [2].

وتوطدت اقدام حزب أهل السنة بحكم الصديق والفاروق رضي الله عنهما. فقد وقفا في حفظ النظام ونشر دين الإسلام وفتح الممالك والاستيلاء على الثروة والقوة، ولم يتدنسا بشهوة، حتى علا امرهم وعظم قدرهم، وحسنت بهم الظنون وأحبتهم القلوب [3].

وهكذا امتزج الواقع بالشرع عند أهل السنة فيما يتعلق برئاسة الدولة، فأصبح جرح هذا الواقع أو خدشه جرحا للدين كله، بل والأهم من ذلك ان هذا الواقع الذي حدث اصبح جزءا من الشرع السياسي الإسلامي يقتدى به كسوابق دستورية ويقاس عليه ولا يسمح الا بتمجيده، وتهمل كافة النصوص التي تتعارض معه، امعانا من أهل السنة بالتذرع بكل وسيلة لاثبات ملاءمة ما حدث مع الشريعة الإسلامية، لأن هذا الواقع التاريخ المتعلق برئاسة الدولة في نظر أهل السنة هو المثال، وانهياره في رأيهم، يعني انهيار الإسلام وانهيار صلاحيته للحياة السياسية، ولعمري ليس من الإسلام إلا ما هو من نصوصه، فالنظام ميزان تقاس به الافعال، ويقاس به الرجال.

(١ - ٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص٢٤٤ - ٢٤٥.

(٣) راجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ص٢٩٩ - ٣٠٠.

والخلاصة: ان فكرة ولاية العهد اصبحت واجبة بسبب فعل ابي بكر وعمر عند أهل السنة. وما على الحاكم القائم، أي كان، سوى ان يعين ولياً لعهده، وما على خاصة هذا الحاكم سوى ان يبايعوا هذا الولي، وتأتي الأمة لتبايع إما طوعاً أو كرهاً. وهكذا استقرت أنظمة رئاسة الدولة عند أهل السنة بهذا المبدأ، مبدأ ولاية العهد.

٢ - **فيما يتعلق بالشريعة**: لا يوجد لأهل السنة شريعة مستقلة بهم، وشريعتهم هي شريعة الله، ولكنها تطبق بفهم ولي الأمر لها، وبما لا يتعارض مع الأسس التي استندت عليها رئاسة الدولة.

٣ - **وهنالك مبدأ كان مصانا عن أهل السنة**: وهو ان الخلافة لا ينبغي ان تجتمع مع النبوة لبني هاشم، ولا يجوز بالأصل ان يولى هاشمي حتى ولو كان ذا قوة وذا امانة ومن الطبيعي ان هذا مجرد اجتهاد في مواجهة النص، خوفا من اجحاف بني هاشم في نظر اصحاب هذا المبدأ[1].

— الأيديولوجية السياسية لحزب المعارضة أو حزب أهل الشيعة:

١ - **فيما يتعلق برئاسة الدولة أو الامامة**: قال علي لأبي بكر ومن معهم: انا احق بهذا الأمر، وانتم أولى بالبيعة لي، اخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، وتأخذونه منا أهل البيت غصبا؟

الستم زعمتم للأنصار انكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فاعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة؟ نحن أولى برسول الله حيا وميتاً، فأنصفونا

---

(١) راجع الكامل في التاريخ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ ص٢٤ جـ٣ وراجع علامة المعتزلة ابن ابي الحديد في ١٠٧ مجلد ٣ من شرح النهج. وقد أخرج هذا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في تاريخ بغداد بسنده المعتبر إلى ابن عباس وأورده علامة المعتزلة ابن أبي الحديد في أحوال عمر من شرح النهج ص٩٧ جـ٣ وراجع ص١٠٥ مجلد ٣ وراجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ص٣٤٢ - ٣٤٥ وراجع ص٢٦ من الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري وراجع مراجع منع الرسول من كتابة وصيته خاصة ص١١٤ سطر ٢٧ من شرح النهج.

ان كنتم تؤمنون، والا فبوؤا بالظلم وانتم تعلمون[1].

وقال لعمر: احلب حلباً لك شطره واشدده له اليوم أمره يردده عليك غدا[2].

وقال لأبي عبيده: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه. فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر ما كان فينا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بالرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية. والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله وتزدادوا من الحق بعداً.

فيقول علي:

«أفكنت أدع رسول الله في بيته لم ادفنه واخرج انازع الناس سلطانه»؟ فقالت فاطمة: «ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»[3].

«وهل يتسنى في عصرنا لأحد ان يقابل أهل السلطة بما يرفع سلطتهم ويلغي دولتهم، وهل يتركونه وشأنه لو أراد ذلك. هيهات فقس الماضي على الحاضر فالناس ناس والزمان زمان»[4].

وعلي لم ير للاحتجاج يومئذ إلا الفتنة التي كان يؤثر ضياع حقه على حصولها في تلك الظروف. فاحتفظ بحقه في الخلافة واحتج على من عدل بها عنه على وجه لا يشق عصا المسلمين ولا تقع بينهم فتنة.

ويعبر الامام عن شكواه فيقول: فطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذاء أو اصبر على طخيه عمياء.. فرأيت ان الصبر على هات احجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحق شجى، ارى تراثي نهبا[5].

(١-٥) راجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ٣٣٢ - ٣٣٤ وراجع الإمامة والسياسة ص١١-١٣ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد جـ١ ص٢٥ و٣٧ و٦٢ وجـ٢ ص١٠٣ وجـ٣ ص٦٧.

وكم من مرة قال: اللهم اني استعينك على قريش ومن اعانهم، فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي، واجمعوا على منازعتي امرا هو لي[1].

وقال يوما: ونظرت فاذا ليس لي معين إلاأهل بيتي فظننت به عن الموت، واغضيت على القذى وشربت على الشجى وصبرت على الكظم وعلى امرّ من طعم العلقم[2].

تلك ملامح الايدلويجة السياسية التاريخية لحزب المعارضة أو أهل الشيعة. ويحتجون أيضاً بالنصوص القاطعة التي سقناها في باب موقف الشرع من تسمية الامام وفي باب حزب الله وكلها موثقة ويمكن الرجوع إليها.

وهم يقولون ان الائمة الذين سموا شرعيا ائمة قد بلغوا اثني عشر اماما. وقد وثقنا ذلك، فارجع إليه ان شئت في باب موقف الشيعة من تسمية الامام، فقد ذكرنا اسماء الائمة كما يذكرها الشيعة.

٢ - فيما يتعلق بالشريعة: لا يوجد لأهل الشيعة شريعة مستقلة بهم، وشريعتهم كأهل السنة هي شريعة الله والفوارق بينهم وبين أهل السنة فوارق اجتهادية ليس إلا.

٣ - وعندهم مبدأ مصان: لا يجوز المساس به وهو ان الخلافة محصورة حصرا بأهل البيت.

٤ - ليس للشيعة رأي يختص بهم: في أصول الإسلام واركانه وفروعه، وهم أحرص المسلين على ما جاء به الرسول الأعظم من المبادىء ولا يقرون أية فكرة تتنافى مع المبادىء الإسلامية مهما كان مصدرها[3].

— المعنى اللغوي لكلمة أهل السنة:

تعني الطريقة: يقال امض على سننك أي على وجهك[4].

(١-٢) راجع المراجعات للإمام شرف الدين العاملي ٣٣٢ - ٣٣٤ وراجع الإمامة والسياسة ص١١-١٣ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد جـ١ ص٢٥ و٣٧ و٦٢ وجـ٢ ص١٠٣ وجـ٣ ص٦٧.

(٣) راجع التصوف والتشيع لهاشم معروف الحسني ص٦٤ و٩٧٥.

(٤) مختارات الصحاح للرازي ص٣١٧.

وتعني السيرة : وتعني التغير والمنهاج وتعني الركون للشيء واستساغته ، استقام فلان على سنن واحد أي مضى على طريق واحدة[1] .

سنة الله في الذين خلو من قبل[2] .

يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين قبلكم [3] .

فلن تجد لسنة الله تبديلا [4] .

ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون [5] .

— المعنى اللغوي لكلمة الشيعة :

شيعة الرجل اتباعه وانصاره ، والمسلمون شيعة النبي ، والشيعة الفرقة ، وتقع على الواحد والاثنين وتجمع مذكر ومؤنث

الشيع المشارك قال هذا شيع وغير مقسوم ، وشايعه تابع ووالاه على أمر ، تشايعت الابل أي تفرقت والمشيع الشجاع [6].

وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم بعضا فهم شيع[7] .

وهم الصحب والاتباع [8].

والتشابه والمشابه[9].

﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه﴾[10].

﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾[11].

﴿وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم﴾[12].

---

(١) المنجد في اللغة والعلوم والآداب ، لويس معلوف اليسوعي ص٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٨ .

(٣) سورة النساء آية ٣٦ .

(٤) سورة طـه آية ٤٣ .

(٥) سورة الحجر آية ٢٨ .

(٦) المنجد في اللغة والعلوم والآداب ، الأب لويس معلوف اليسوعي ص٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٧) مختار الصحاح للرازي ص٣٥٣ .

(٨-٩) نفس المرجعين السابقين .

(١٠-١١) سورة القصص آية ١٥ .

(١٢) سورة الصافات آية ٨٣ .

﴿. . . من قبلك في شيع الأولين﴾[1].

﴿أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾[2].

﴿ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء﴾[3].

﴿ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا﴾[4].

﴿ولقد اهلكنا اشياعهم فهل من مدكر﴾[5].

— معنى أهل السنة اصطلاحا:

تطلق كلمة سنة على كل اولئك الذين انكروا وجود نص من النبي بخلافة علي من بعده فالاشاعرة والمعتزلة والمرجئة وغيرهم ممن انكروا وجود النص بالرغم مما بينهم من تباعد، جميعهم سنه[6].

هم جمهرة المسلمين وتفكيرهم تفكير السواد الأعظم من المواطنين، وهم اشبه بحوض واسع اودع فيه ما استمد دعاة الفرق الرئيسية والفرعية، مادة تغذي دعوتهم في اطار الإسلام[7].

وأهل السنة في الواقع اصطلاح سياسي بحت. ويعني جمهرة المسلمين الذين اضطروا مقتنعين أو غير مقتنعين، بالتسليم لأي حكم، بدءا من الخلافة الراشدة وانتهاء بسقوط بني عثمان، دون ان يعارضوا حتى ليخال الناظر غير المتبصر انهم حزب الدولة، لأنه ليست لهم عقيدة سياسية ضد الدولة القائمة.

— معنى أهل الشيعة اصطلاحا:

تطلق هذه التسمية على كل الذين يقولون بوجود نص من الشرع «القرآن والسنة» على علي بالخلافة من بعده.

---

(١) سورة الحجر آية ١٠.

(٢) سورة الأنعام آية ٦٥.

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٩.

(٤) سورة القصص آية ٤.

(٥) سورة القمر آية ٥١.

(٦) معالم الفلسفة الإسلامية محمد جواد مغنية ص١٩٧.

(٧) الكلام والفلسفة للدكتور عادل العوا ص٤٥ - ٥١.

فالامامية والزيدية والاسماعيلية كلهم شيعة على اختلافهم في عدد الائمة لأنهم يؤمنون بوجود النص[1]

يطلق لفظ شيعة علي اتباع علي وبنيه ويؤمنون بحصر الخلافة في علي وذريته كل من يعتقدون ان عليا وبنيه أولى بالخلافة من غيرهم، فهم شيعه.

كل الذين يعتقدون ان أهل البيت وآل البيت أولى بالخلافة من غيرهم وهي حق لهم دون سواهم، هم شيعه.

والشيعة مفهوم سياسي بحت، وهو الحزب المعارض دائماً لأي حكم لا يقر لأهل البيت برئاسة دولة الخلافة ونصب اعينهم هدف محدد وهو توحيد الأمة الإسلامية تحت راية امام من آل البيت النبوي الشريف.

وترق مفاهيمهم فتغدو افراح أهل البيت افراح الشيعة، واحزان أهل البيت احزان للشيعة.

— تاريخ نشوء التشيع:

قال الشيخ: أبومحمد الحسن بن موسى النوبختي في كتاب الفرق والمقالات المطبوع في استانبول: الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمن النبي وبعده، معروفون بانقطاعهم اليه إليه وقالوا بإمامته من بعد الرسول.

وقال أبوحاتم السجستاني في الجزء الثالث من كتابه الزينة، ان لفظ الشيعة كان على عهد رسول الله.

وقال السيوطي في الدرر المنثور في تفسير قول الله بالمأثور في تفسير قوله تعالى ﴿اولئك هم خير البرية﴾ اخرج بن عساكر عن جابر بن عبدالله قال: كنا عند النبي، فأقبل علي، فقال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة».

وقال السيوطي أيضاً: وأخرج بن عدي عن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ:

---

(١) راجع معالم الفلسفة الإسلامية محمد جواد مغنية وراجع ص٦٤ و٩٧٥ من التصوف والتشيع لهاشم معروف الحسني.

ألم تسمع قول الله ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية﴾، أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جاءت الأمم للحساب مدعون غراً محجلين[1].

— منابع الرأي السياسي الذي تتبعه الشيعه:

١ ـ ما قاله علي والائمة الطاهرين من بعده. ويرددون فهمهم للنصوص الشرعية.

٢ ـ ما ورد في القرآن والسنة من نصوص تخص أهل البيت. وقد شرحنا بالتفصيل ووثقنا كافة النصوص الشرعية في باب موقف الشريعة من تسمية الامام وموقف أهل البيت من الواقع. وفي باب الذين يبايعون الخاصة ـ القرابة الطاهرة.

— منابع الرأي السياسي الذي تتبعه السنة:

١ ـ ما فعله أبوبكر وعمر رضي الله عنهما.

٢ ـ ما ورد في القرآن أو السنة فيهما.

٣ ـ منجزاتهما رضي الله عنهما.

الحكم على الحزبين:

ان جوهر الخلاف بين أهل السنة وأهل الشيعة يكمن فيمن يتولى رئاسة دولة الامامة أو الخلافة.

ففي حين ترى الشيعة ان الله قد اكمل الدين وأتم النعمة وسمى رسول الله ﷺ قبل موته ولي عهده وخليفته من بعده، وبيّن للأمة طريقة انتقال رئاسة الدولة من شخص لآخر ترى السنة ان الله قد خلى على الناس امرهم. والحقيقة انه ليس لأهل السنة وجهة نظر شرعية مستقرة يمكن الدفاع عنها بهذا الموضوع.

وعلى أي حال، فقد سقنا بالتفصيل وجهات نظر الطرفين وبمنتهى الموضوعية والتجرد وسقنا الحوادث التاريخية، واوردنا النصوص الشرعية، ووضعنا كل ما هو ضرروي للحكم بين ثنايا هذه الدراسة. ووثقنا ما وسعنا الجهد واتسع بنا الوقت وتجنبنا مسؤولية الحكم على الحزبين.

---

(١) راجع الشيعة بين الحقائق والأوهام للمجتهد الأكبر محسن الأمير.

وبقي ان نذكر بأن أهل السنة كان لهم دولة بسطت سلطانها على دار الإسلام ومدت نفوذها على كل المسلمين، وصيغ التاريخ تحت اشرافها، وعرضت وجهة نظرها كدولة لها السيطرة على وسائل الاعلام. وتعرضت تلك الدولة باعلامها ومن والاها من العلماء للشيعة كحزب معارض، وبالتالي تم عرض افكار ووجهات نظر الشيعة بصورة ليست موضوعية. فقد كانت دولة السنة هي الحكم وهي السلطة وهم الخصم، ومن خلال هذا الوضع الموضوعي ابرزت لنا صورة الشيعة، كحزب معارض لدولة الخلافة.

اما الشيعة فقد كانت حزب معارضة، وكانت تمارس نشاطها بطريقة سرية خوفا من بطش السلطة. وكانت ترى ان وجهات نظرها لم تعرض بصورة عادلة، ولكنها كانت عاجزة عن التصدي لهذا العرض.

هذه الأمور لا بد من اخذها بعين الاعتبار قبل ان نحكم على الحزبين الاسلامين الكبيرين.

فلا بد من سماع وجهات نظر الشيعة من ائمة الشيعة أو من علمائها مباشرة لا بالواسطة.

ولا بد من سماع وجهات نظر أهل السنة من علماء السنة مباشره لا بالوساطة. وبعد ذلك نعرف موقف الشرع من وجهات النظر تلك. ثم نحكم فيما بعد أي الحزبين اهدى سبيلا بمعزل عن التقليد والهوى وبالعدل الذي امرنا ربنا به.

الفهرس

الباب الثاني

الباب الرابع